أوراق فلسفية

مجلة غير دورية .. علمية محكمة

مستشارو التحرير

ناصيف نصار (لبنان)

عبدالستار الراوى (العراق)

محمد المصباحي (المغرب)

إسماعيل المصدق (المغرب)

نعيمة الريحي (تونس)

بوتشي مونتاد (إسبانيا)

لوريلا فنتورا (إيطاليا)

عبدالحليم بلوهم (الجزائر)

عبدالقادر بوعرفة (الجزائر)

العدد

(مائة وأربعة عشر)

2025

رئيس التحرير

أحمد عبد الحليم عطية

اللجنة العلمية

عمر الزاوي (الجزائر)

هشام النور (السودان)

محمود حيدر (لبنان)

مجدي عز الدين (السودان)

شايع الوقيان (السعودية)

ماهر عبد المحسن (مصر)

نورالدين السافي (تونس)

عفيف عثمان (لبنان)

يوسف بن عدى (المغرب)

مراسلات التحرير: أحمد عبد الحليم عطية عمارة 18 مدينة أعضاء هيئة تدريس

جامعة القاهرة، بجوار مدينة المبعوثين، الجيزة، جمهورية مصر العربية

تليفون: 37042574 موبايل : 00201020608230

البريد الإلكترونى : aorakphalsaphia@yahoo.com

موقعنا على الإنترنت: www.aorakphalsophia.com

فهرس مجلة اوراق فلسفية العدد 114

إلى القدس محطة الوصول من كونجسبرج	**أحمد عبد الحليم عطية**	**3**
فلسطين والحاجة إلى الفلسفة	**مونيس بخضرة**	**21**
فلسطين والعقل الصهيوني	**عبد الستار الراوى**	**45**
الفلسفة على جبهة الصراع في فلسطين	**عفيف عثمان**	**63**
الوهم الصهيونى	**ولتر ستيس، ترجمة: محمود سيد أحمد**	**75**
رؤية سيلا بن حبيب للصراع العربى الإسرائيلى	**عبير سعد**	**89**
جيبجيك وفلسطين	**أمير زكى**	**115**
السيطرة على الفلسطينين هيجل	**شيراز دوسا ترجمة: نوران عبد المنعم**	**123**
ملف مارسيلو سفيرسكي		
إنهاء الاستعمار للاقتصاد السياسي الفلسطيني	**ترجمة : حاتم بشر**	**133**
فلسطين من الحياة المشتركة إلى المقاومة المشتركة	**ضياء العزاوى**	**139**
ملف هيجل دولوز وفلسطين		
انهاء الاستعمار : دولوز فى فلسطين		**145**
رؤية دولوزية لفلسطين		**147**
هنود فلسطين حوار دولوز والياس صنبر	**جيل دلولوز ترجمة حسام موصللى**	**155**
جيل دلوز: مجد ياسر عرفات	**ترجمة حسام موصللى**	**161**
ملف حميد دباشى وغزة		
حرب غزة كشفت الأفلاس الأخلاقى للفلسفة الأوربية		**165**
الحرب على غزة كيف تعلم فلسفة هيجل العنصرية الصهيونية الأوروبية		**169**
لماذا ستفشل الجهود الصهيونية لقمع النشاط الصهيونى فى الجامعات الأمريكية		**173**

إلى القدس محطة الوصول من كونجسبرج تبيان الأصول

أحمد عبد الحليم عطية

تمهيد : القدس على ضوء القمر والبندقية

علينا أن نتوقف عند القدس، التى تمثل مقصداً أساسياً في بحثنا الحالى للتحول من أورشليم إلى القدس، ونبدأ الانتقال من الفلسفة إلى فلسطين ومن كونجسبرج إلى قدسنبرج، ومن هنا يكون الحديث عن القدس تاريخياً او جغرافياً وأنثربولوجيا؛ مسألة غاية في الأهمية تنقلنا إلى القدس فلسفياً والقدس مكانياً؛ فهى قلب الوجدان العربى ومركز الوهج الدينى للأديان السماوية ومقصد الروح, وهو ما ينقلنا إلى انصهار الأفاق، أفاق ثلاثة إذا وهن أحداها سانده الآخر هذه الأفاق الثلاثة **وهى الأفق الحاضر** على الساحة الحرب والقتال والمقاومة، **والأفق المنتظر** أفق السلام والتفاوض والبحث عن حلول سياسية وهما الجناحان، الذى تسعى بهما القضية الفلسطينية للتحليق لتجاوز الحصار والإبادة والأفق الثالث وهو العقل والوجدان، الفكر والثقافة **والأفق الثالث، صاحب الدور الغائب والمبعد عن آتون الصراع وآن الأوان أن يعود إلى القلب، يغذى جناحينا في الصراع.** أن تناول القدس اليوم في أتون الصراع، أرضها وأهلها ومنازلها، يتضمن عبق التاريخ وأنفاس البشر، وعتاقة المنازل القديمة، أهل القدس هم المقصد والغاية، سنتحدث عن وضعية القدس الراهنة وماذا أحدث تقسيم القدس من آثار، ووضعية الفلسطينيين فيها، ونشير إلى نظرة الفلاسفة إليها وكيف تعاملوا معها وكيف تهمنا القدس اليوم وفى المستقبل مقابل أورشليم وإذا كان البعض يريد التحول عن أثينا إلى أورشليم فنحن نرسم هنا طريق إلى فلسطين وهو نفسه طريق العرب إلى الفلسفة، والحديث عنهما بداية رحلتنا الحالية نحو الحق والعدل والحرية لنا وعلى أن ننصت إلى شدو جارة القمر، فيروز وهى تضيئ شوارع القدس بما يضيئ الرؤية ويحدد علامات الطريق.

مريت بالشوارع شوارع القدس العتيقة
قدام الدكاكين البقيت من فلسطين
عم صرخ بالشوارع شوارع القدس العتيقة،
يا صوتى ضلك طاير زوبع بها الضماير،
خبرهنى عللى صابر بلكى بيوعى الضمير

لأجلك يا مدينة الصلاة اصلى، لأجلك يا بهية المساكن
يا زهرة المدائن عيوننا إليه ترحل كل يوم
الطفل فى المغارة وأمه مريم وجهان يبكيان؛
يبكيان

*****

لأجل من تشردوا ،
لأجل أطفال بلا منازل
لأجل من دافع واستشهد في المداخل،
واستشهد السلام في وطن السلام
وسقط العدل على المداخل

*****

حين هوت مدينة القدس
تراجع الحب وفي قلوب الدنيا استوطنت الحرب
الطفل فى المغارة وأمه مريم وجهان يبكيان وإننى أصلى
الغضب الساطع آت الغضب الساطع آت
الغضب الساطع آت وأنا كلي إيمان

وتشدو فى أغنية ثانية وما زالت الأغانى ممكنة تقول ونقول معها

أنا لا أنساك فلسطين ويشد ليّ البعد
أنا فى أطيافك نسرين ، أنا زهر الشوق انا الورد
سندك ندك الاسوار، نستلهم ذاك الغار
ونعيد إلى الدار الدار نمحو بالنار النار

* * * *

هنا يأتى الشاعر المصرى أحمد فؤاد نجم والمغنى البصير، الشيخ أمام عيسى ليكمل مع اللبنانية، العربية الإنسانية الرائعة، التواصل مع الفلسطينيين وليؤكد شعور أفراد الأمة البسطاء أننا معهم ومنهم مخاطبا كل فلسطينى ، مبشراً أن العودة من الغربة وتحقيق

النصر لا يتم إلا بالثورة الدائمة يقول:

يا فلسطينية والبندقاني رماكو، بالصهيونية تقتل حمامك وفى حداكو
يا فلسطينية وأنا بدى أسافر حداكو ، ناري فى ايديه وايديه تنزل معاكو
على رأس الحية وتموت شريعة هولاكو،

****

يا فلسطينية والغربة طالت كفايه
والصحراء آنت م اللاجئين والضحايا
والارض جئت للفلاحين والسقايه
والثورة غايه والنصر أول خطاكو

****

يا فلسطينية والثورة هي الأكيدة،
بالبندقية نفرض حياتنا الجديدة
والسكة مهما طالت وباتت بعيده،
مد الخطاوي هوه اللي يسعف معاكو

* * * *

والتساؤل كيف تحول العالم من التنوير الأوربي إلى التدمير الصهيوني وهل شغل بنقد العقل النظرى ونقد العقل العملى وتغافل عن نقد العقل الاستيطانى المخرب، المدمر، القاتل؟ وهل عليه أن ينشغل بالمسألة الفلسطينية التى لن تموت مثلما شغل وما زال بالمسألة اليهودية؟ التى خدع بها العالم وما زال وهل فكرنا نحن في الدفع بمشروع السلام من كونجسيبرج إلى قدسنيبرج؟ هل يمكن أن تعاون الفلسفة ليس فقط فى الإسراع بتقديم المعونات إلى أهل غزة التى نحتاج نحن إلى توصيلها إليهم مثل اجتياح أطفالهم لهما، فقد قاتلوا واستشهدوا دون ان يذوقوا الطعام وهل ممكن أن تعبر الفلسفة معبر رفح حتى تفتح عقول العالم على حرية واستقلال فلسطين على أرضها كلها وسكانها جميعًا في عدل وسلام حرية واستقلال فلسطين؛ قضيتنا جميعًا قضية تحرر فلسطين ترتبط بالفلسفة العربية الحية صار الآن موعد ميلادها وحياتها واستمرارها. والفلسفة فى حاجة إلى فلسطين أكثر من كون فلسطين فى حاجة للفلسفة، حتى يعاد للأمة عقلها وللعالم العدل

وللعرب الكرامة والفلسطينيين الحياة.

تنقل هذه التساؤلات إلى كانط فيلسوف كونجسبرج صاحب إلى نقد العقل. وإلى كتابه السلام الدائم الذى كتبه في بلدته كونجسبرج، فماذا عن كونجسبرج حتى ننطلق سويا منها نحو القدس.

كونجسبرج:

كونيجسبرغ (Königsberg) حالياً كالينينجراد، وهو اسم تاريخي لمدينة كانت عاصمة لبروسيا الشرقية في أواخر العصور الوسطى في أوروبا الشرقية ، أسست سنة 1255م، واستمرت تحت الحكم التابع للإمبراطورية الألمانية . أثناء غزو بروسيا من قبل فرسان تيوتون في عام 1255، تم تدمير المدينة المسماة Twangste وتم استبدالها بقلعة جديدة تم تسميتها كونيجسبيرغ، والذي يعني جبل الملك، وذلك تكريما للملك أوتوكار الثاني والذي قام بتمويل بناء أول قلعة في هذا المكان خلال الحملة الصليبية البروسية. استخدم الحكم التيوتوني مدينة كونيغسبيرغ لتحصين هجومهم في شبه جزيرة سامبيا وكقاعدة لحملاتهم ضد ليتوانيا. وفي سنة 1946م، قامت الحكومة السوفيتية بتغيير تسمية كونيغسبرغ إلى كالينينجراد، وذلك بعد قيام الجيش السوفيتي بتدمير كل البنى التحتية وهجرة غالبية الشعب الألماني من مدينة كونيجسبرج بشكل نهائي وأزيلت بشكل نهائي وتحولت إلى مدينة روسية[1].

كالينينجراد كينسجبرج التاريخية مقاطعة روسية وهى بعيدة عن روسيا؛ وهى تقع في قلب أوروبا حصنها بوتين بالنووي لتقويض أمن أوروبا.. لو مشيت في شوارع كالينينجراد (Kaliningrad) وتأملت المباني التاريخية والتحف الهندسية الألمانية القديمة، لن تتمكن من أن تفرق بينها وبين برلين. قبل مدّة، خرجت تلك المدينة من مقبرة الصراعات الأوروبية التاريخية ونهضت لبث بذور الشقاق والنزاع، وتحوّلت من مدينة واعدة على المستوى الاقتصادي، إلى لغم روسي نووي يهدّد حلف الناتو، لتكون تلك المقاطعة تكملة لمسلسل الرعب الذي عاشه العالم، بعد اندلاع الحرب الأوكرانية وكثرة احتمالات تطورها إلى حرب نووية.[2]

وهى ليست بعيدة عن أوكرانيا، حيث الصراع المشتعل في أوربا الذى تزامن بعض الوقت مع الصراع المشتغل وحرب الإبادة في غزة وبين هذين الصراعين، يظهر صراع ثالث في الضمير العالمى، الذى يتضامن مع أوكرانيا ضد روسيا في الوقت الذى يغمض عينيه على ما يحدث في غزة، ليست تلك العلاقة الوحيدة بينهما الحرب الضروس لكن العلاقة أيضاً ما كتبه فيلسوف كونجسبرج كانط عن مشروع السلام العالمى، الذى ظل حتى اليوم نظراً يحتمل التحقق وتحققه حين يدرك العالم أصوات

فيروز والشيخ أمام عيسى وضمير شباب العالم وهو يردد **"أنا دمى فلسطينى"**.

حدد حاكم مقاطعة كالينينجراد الروسية كونجسبرج البروسية سابقاً، أنطون أليخانوف، مساهماً غير متوقع في الحرب في أوكرانيا، وهو الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط (1724-1804) . وهو ما يدهشنا، تحدث أليخانوف في مؤتمر لعلماء السياسة الروس عن الابن الأكبر لمدينة كونيجسبرغ. وقال إن فيلسوف التنوير، الأكثر شهرة صاحب «نقد العقل الخالص»؛ «أحد مبدعي الفكر الغربي الحديث.« ووصف أليخانوف كلماته أى كلمات كانط بأنها «استفزاز معين» لكنه قال وفقا لنص خطابه: «أود أن أظهر أن إيمانويل كانط، الذي ولد هنا منذ ما يقرب من 300 عام، له صلة مباشرة تقريبا بالفوضى العالمية التي نتعامل معها. والأكثر من ذلك، أن لديه صلة مباشرة بالصراع العسكري في أوكرانيا"[3]. والحقيقة أن هذا القول يفرض علينا طرح مسألتين، نجيب عليهما في سياق هذا البحث، الأولى هل هناك علاقة بين كانط والفوضي العالمية؟ والثانية ما ينتج عن صلته بأوكرانيا، والتساؤل هل هناك علاقة بين كانط والصراع الفلسطيني الإسرائيلي؟ وينتج عن السؤال الأهم وهو لما يتعامل الغرب مع هذين الصراعين بميزانين مختلفين؟ وقال أليخانوف إن كانط مهد الطريق للنسبية الأخلاقية حيث يمكن تبرير كل فعل وكل ظلم في الغرب، وقد يتضح لنا أن النسبية الأخلاقية هى من صنع الغرب نفسه، الذى وجد صورته في مرآة كانط مثلما يمكن أن يجد فيه الفلسطينيين والصهاينة تعبيرًا عن أنفسهم. أن هذا يتناقض مع روسيا «التي تلتزم بالقيم الأخلاقية وهو ما يدعيه الصهاينة أيضاً. هذا ينقلنا قبل التحول لمناقشة علاقة فلسفة كانط بالفلسطينيين واليهود ونحن متجهين إلى قدسنبرج أن نتحدث عن مدينة القدس اليوم.

أولاً: القدس من الإبادة إلى الإعادة من التباعد إلى التعايش

منذ استكمال احتلال مدينة القدس قبل أكثر من نصف قرن، إثر حرب حزيران/ يونيو 1967، عملت إسرائيل على تهويد المدينة، وقد استندت في إنجاز ذلك إلى منظومة قانونية وإدارية ترسّخ هذا التوجه السياسي. ومنذ هذا الحين تواجه مدينة القدس والمقدسيون سلسلة من المخاطر التي تهدد وضعها ووضعهم الحالي، ومصيرها ومصيرهم المستقبلي؛ فآلة التهويد؛ تعمل بكل قوّة على خلق وقائع جديدة على الأرض، وفي مقدمتها تقليص الحيّز والحضور الفلسطيني، وحصره في أحياء قليلة منعزلة عن امتداد المدينة.

والهدف من وراء ذلك تحقيق هيمنة وسيطرة، وتوجيه سياسي يومي، في جميع تفاصيل الحياة، وأيضًا خلق تفوّق حضوري يهودي في المدينة. بمعنى آخر، تعمل إسرائيل من أجل تهويد المكان والفضاء المقدسي وأسرلته، بإطلاق تسميات يهودية وعبرانية وإسرائيلية على الأماكن، وطرد متواصل لعائلات عربية من بعض الأحياء، بهدف السيطرة عليها، ونزع هويات مقدسيين، وتقديم خدمات يومية في الحد الأدنى لتزداد الفجوة بين المجتمعَيْن اليهودي والفلسطيني ... إلخ؛ فالمجتمع اليهودي يتمتع بخيرات الوطن وثرواته، ويستفيد منها، في حين أنّ ما يتلقاه الفلسطيني هو الفتات الذي يضمن له في الحد الأدنى التنفس يوميًّا.

تشير الدراسات إلى أن علاقات الغالبية المُسيطَر عليها من الأكثرية المسيطِرة، سوف تتزعزع وتتحول إلى صدامات إذا ما وصلت الأقلية إلى نسبة 30 في المئة من الحيز المحدد أو تجاوزت هذه النسبة. وتطالب هذه الأقلية بحقوقها في المشاركة المتساوية والمنصفة لها في الموارد والقرار السياسي. وحاليًّا، تجاوز الفلسطينيون المقدسيون هذه النسبة على مستوى المدينة، خصوصًا في محيط القدس الشرقية وعلى مستوى الوطن القُطري؛ ما يدفعهم إلى المطالبة بحقوقهم في المشاركة في الوطن والمدينة على نحو ندِّيٍّ ومتساوٍ؛ أي تحويل المدينة والوطن من حالة احتلال وسيطرة وتمييز على أساس عنصري إلى وطن ومدينة مشتركة، فيها تنوع يتساوى الجميع فيه، وهو ما يُعرف بحل الدولة الواحدة(*). هذا الحل يرفضه الإسرائيليون على نحو قاطع على المستوى القُطري والمديني؛ لأسباب ديموغرافية وأسباب متعلقة باقتسام الموارد والرواية والقرار السياسي.

منذ بداية المشروع الصهيوني في فلسطين ودفع الهجرة اليهودية إليها، خصوصًا الهجرة اليهودية المتدينة إلى مدينة القدس، ارتفع عدد اليهود وغير العرب الفلسطينيين فيها من نحو 33.9 ألفًا في عام 1922 إلى نحو 100 ألف في عام 1946، وارتفعت نسبتهم من 54.3 في المئة إلى 60.3 في المئة في الفترة نفسها. أوجد هذا الارتباط خطابًا وسلوكًا ديموغرافيَين يعتمدان على أن يكون الميزان الديموغرافي لمصلحة اليهود بموجب تقسيم الحيز وحداتٍ؛ ليُظهروا أنفسهم أنهم غالبية، وأنهم يستحقون حقوقًا في هذا الحيز المديني والإقليمي والقُطري، حتى صيغت قرارات تقسيم فلسطين على أسس وجود غالبية يهودية. وما زال هذا المنطق قائمًا وممارَسًا في مدينة القدس ومحيطها.(4)

مدينة القدس، اليوم، منقسمة إلى شطرين بواسطة حاجز أمني –جدار– والذي بدأت إسرائيل بفكرته ثم بنائه، في العام 2006. وبمجرد اتخاذ قرار بناء جدار أمني يقسم المدينة إلى تجمع فلسطينيو القدس الشرقية مع فلسطينيين آخرين وقسم آخر ينضوي فيه الإسرائيليين، تكون إسرائيل قد عملت على خلق حدودٍ مرئية واضحة مصمتة، بما يعني تأكيد الترسيم الحدود المكانية لأراضي العدو خلفها . يعمل مثل هذا الحاجز الأمني على حماية الحدود بين إسرائيل و ما يحيطها من عالم يُنظر إليه على أنه تهديد. وفي سياق الفصل هذا ، تعمل دراسات الصراع الإسرائيلي الفلسطيني في معظم الأحيان في ظل نظرية الهيمنة البسيطة، أي، علاقة أولية بين المسيطِرين (الإسرائيليين) والمسيطَر عليهم (الفلسطينيون)، حيث لا يمكن فهم الانتهاك والمقاومة إلا بوصفهما أجزاء من إجراءات

داخلية أو تواصل للسلطة يتم من خلالهما تجريد الشخص المعني من الاعتبارات الذاتية، مما يجعل من المستحيل وجود عالم مجتمعي.

وتقترح سيلفانه بيلا Silvaine Bille النظر في واقع الفصل من خلال النظر إلى مدينة القدس وحدودها وأسوارها، مع بيان القيود الحقيقية التي أوجدها الجدار وحدوده، تعنى هذه المقاربة أيضاً في التفاعلات الدقيقة بين السكان المنقسمين (الإسرائيليين والفلسطينيين.. اليهود والعرب) والسبل التي تشكل بها هذه التفاعلات الروابط بين هذه العوالم الاجتماعية.[5] وتطرح سؤالا هاما حول هل من الممكن إيجاد نموذج للعدالة المتوازنة التي تفترض هذه الحالة من الوقائع، وإمكانية تبادلها في فضاء مجزأ ومتضارب؟ **ألا تقدم الرؤية السياسة للعيش المشترك بديلاً للنظريات والسيناريوهات السياسية المجردة بهدف البحث عن حل للصراع المكاني والمجتمعي في القدس؟**

وبدلاً من تقديم حجة حول طبيعة السيادة الإسرائيلية في القدس "تبين مدى اختلاف التفاعلات على طول الجدار وكيف تتعايش هذه التفاعلات مع فكرة وجود الجدار بحد ذاته. وتوفر هذه المواقف طرقاً للتفكير في سياسات الفصل، وأنماط التفكير التي لا تعمل من خلال رؤية صارمة للسلطة المفروضة على المجتمع [6].

لقد صار يجب على السكان أو العمال الفلسطينيين امتلاك تصاريح عمل خاصة للدخول إلى القدس، وتستوجب هذه التصاريح شروطاً ومعايير مدنية أو عائلية أو أمنية معينة، فضلاً عن تلبيتها للاحتياجات الاقتصادية لإسرائيل (في حالة العمال). والوصول إلى مدينة القدس، بوصفها مكان عمل غير ممكن منذ اكتمال بناء الجدار الأمني، على الرغم من التجارة النشطة وشبكات العمل والمعرفة الواسعة التي كانت موجودة في الفترة السابقة. [7]

يوجد نوع آخر من الحراك الفردي يمثل الفلسطينيون؛ الذين يعيشون بالفعل داخل محيط القدس ويختارون العيش في الأحياء اليهودية عند مدخل القدس الشرقية. هنا نجد مثالاً على التعددية التي يتم التعبير عنها بقرار الحفاظ على حياة اجتماعية خارج المجتمع الخاص. **لقد أصبحت قرارات مغادرة الأحياء العربية لمحاولة الاندماج في أحياء مثل بسغات زئيف أو راموت خياراً يخاطب المخاوف المتعلقة بأسلوب الحياة مثل الرغبة في الارتقاء الاجتماعي الذي يجعل من الممكن أيضاً الاستفادة من المرافق الثقافية والتعليمية والصحية التي لدى اليهود الإسرائيليين، وهي مرافق يُحكم عليها بأنها أفضل من تلك الموجودة في الأحياء العربية.**

في حين غالباً ما يستخدم مصطلح "التعايش coexistence" في تعابير عامة وتاريخية وحتى دبلوماسية، دون اعتبارات عملية، وتتساءل ريبيكا براينت عما يعنيه التعايش على مستوى التفاعلات اليومية. تتحدث براينت عن ضرورة وجود غموض بنّاء لحدود الانتماء كلغة تسمح للأطراف بالتغلب على القضايا التي كانت موضع خلاف بينهم في بداية الأمر.

لقد كانت القدس، في أوائل القرن العشرين، موطناً للمقاهي العالمية والتفاعلات بين المثقفين والناشطين العرب واليهود، ومثلت جواً معيناً من ثنائية اللغة تميز "روح" العديد من المدن. إلا أن أن الحروب اللاحقة، والنزعة القومية، وأحياناً تدمير الأماكن العامة، ساهمت جميعها في إزالة هذه الميزة العمرانية الحضرية للمدينة. ومن المفارقات، أن المظهر المادي للصراع الإسرائيلي الفلسطيني أو الإسرائيلي العربي في المدينة المقسمة يسمح بالنظر في الجوانب الإيجابية للتعايش. حتى داخل المدينة المقسمة، لا يتم تقييد المواطنين في مسار على أساس التقارب المجتمعي؛ حيث نراهم ينسجون مساراتهم ويواجهون، في السياق ذاته، عقبات وفرص على حد سواء، فنراهم يتنقلون في مناطق "أجنبية"، ويتعرفون، بالضرورة، على الآخر.

تركز فكرة الوجود المشترك ، على التعايش كممارسة بدلاً من كونها مثالية وتعد فكرة الوجود المشترك مسألة لباقة أكثر من كونها مُثُل أو إيديولوجيات، ويفترض أن المواطنين في الفضاء العام يقدمون أنفسهم بمسافة وتحفظ، وثالث العناصر المعيارية للتواجد المشترك يتعلق بالتعددية، التي لا تُفهم هنا على أنها إطار قانوني ولكن كحكم عملي. وتبدأ التعددية بهذا المعنى بتشجيع الحراك وسياسة الاتصال. وتضمن القدرة على الزيارة، كفضيلة أخلاقية واجتماعية، إمكانية اللقاءات بين الأفراد. لا يمحو مثل هذا نوع من الوجود المشترك، الذي لا يزال قائماً، الحدود، لكنه يحدد أشكال ومساحات التواصل. ويجب أن تُفهم التعددية أيضاً على أنها لحظات تواصل علائقي وحضور بين الناس، تتجاوز عتبة القطيعة. هذه هي التعددية التي يمكن أن نطلق عليها التعددية المضيافة، والمنفتحة على الآخر مع الاعتراف أيضاً بمقاييس السيادة.[8]

يشكل، أصحاب المتاجر والسكان وملاك العقارات في القدس الشرقية (بيت حنينا)، الذين يشاركون بالفعل في الحفاظ على التبادلات، مجتمعاً مشتركاً. وتخلق مثل هذه الممارسات بدورها ظاهرة يمكن حشدها لسياسات أخرى. لقد أظهرت لنا الصور

الفردية والإثنوغرافية أشكالًا من التفاعل حتى في أكثر ظروف الانقسام والاستقطاب قسوة. وإذا ما نظرنا إليها ليس من منظور نموذج مثالي للتعايش بل من خلال ممارسته الفعلية، فسوف نلاحظ قدرة الأفعال الصغيرة لاحترام الآخر –ممارسة الهيمنة أو عدم ممارسة الهيمنة، أو اللباقة، أو الكياسة– على بناء فضاءً صالحاً للعيش، مما يخلق مكانًا للناس، بينما يساعد في نفس الوقت في بناء حياة مشتركة.

ثانياً: الفلسفة في القدس والقدس في الفلسفة

يذكرنا الفيلسوف الفلسطيني سري نسيبة أن مستقبل القدس، وبشكل أوسع معالجة الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، يعتمد على "أفكار جديدة" ، أن مثل هذه المقاربة البراجماتية للتعايش المشترك قد تشكل الأساس لسياسة تتجاوز المجتمع، وتقوم على الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والمساواة في الفضاءات. ومثل هذه الرؤية للعدالة لا تقوم على السيطرة على المؤسسات، بل على التواصل المكاني والاحترام الاجتماعي على نطاق الحي. وليس من المستبعد، أن تجعل السياسة العادية من الممكن إنجاز مدينة أكثر إنصافاً، وهذا يتطلب، بلا شك، زوال العنف حتى تأخذ الديمقراطية مكانها.[9]

سري نسيبة رئيس جامعة القدس (1995 – 2014) وأستاذ الفلسفة، فلسطيني مواليد دمشق 1949، أثناء هجرة عائلة والدته من الرملة، رجع أبواه إلى القدس حيث نشأ والتحق بمدارسها حتى تخرجه سنة 1966. حائز على شهادات الفلسفة من جامعة اكسفورد في بريطانيا سنة 1971 من جامعة هارفرد عام 1978. صاحب توجه فلسفي ليبرالي ضمن منظور إسلامي. حتى كانون الأول (ديسمبر) 2002 كان ممثلاً للسلطة الوطنية الفلسطينية في القدس.

في أكسفورد، التقى نسيبة بلوسي أوستن، ابنة الفيلسوف البريطاني جون إل أوستن، وتزوجا 1973. أثناء وجوده في أكسفورد، انجذب سري كثيرًا إلى الفلسفة اللغوية التي قدمها لودفيج فيتجنشتاين وطورها أوستن. بعد أمضى عامًا في معهد واربورغ بلندن، بعد سماعه محاضرة لعبد الحميد صبرة المؤرخ المصري، والتي شدته إلى دراسة علماء المعتزلة، وفكر الغزالي والأشعرية.

حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية من جامعة هارفارد، وحصل عليها في (1978). عاد إلى الضفة الغربية عين للتدريس في جامعة بيرزيت وانتخب رئيسا لرابطة أساتذتها بعد سنة واحدة (وظل أستاذاً للفلسفة والدراسات الثقافية حتى تم

إغلاق الجامعة من 1988 إلى 1990 خلال الانتفاضة الأولى). في الوقت نفسه، قام بتدريس الفلسفة الإسلامية في الجامعة العبرية في القدس. خلال أوائل الثمانينيات. [10]

في عام 2002 نشر سري نسيبة ومدير الشاباك السابق عامي أيالون »صوت الشعب«، وهي مبادرة مدنية إسرائيلية فلسطينية تهدف إلى دفع عملية تحقيق السلام بين إسرائيل والفلسطينيين، وكتبا مشروع اتفاق سلام دعا إلى قيام دولة فلسطينية قائمة على حدود عام 1967 ومن أجل حل وسط بشأن حق العودة للفلسطينيين. تم إطلاق مبادرة صوت الشعب رسميًا في 25 يونيو 2003. في عام 2002، عيّن ياسر عرفات نسيبة ممثلاً لمنظمة التحرير الفلسطينية في القدس الشرقية، وهو المنصب الذي تقلده بعد وفاة فيصل الحسيني المفاجئة. في عام 2008، قال نسيبة إن البحث عن حل الدولتين صار متعثرًا. ودعا الفلسطينيين إلى بدء نقاش حول فكرة حل الدولة الواحدة. [11]

إنّ الأوروبيين والغربيين لا يعرفون «القدس» بل «أورشليم»؛ و«نحن» العرب والمسلمين لا نعرف «أورشليم»، بل نفكّر في «القدس». هكذا كتب فتحى المسكينى عن قدس الفلاسفة إنّ أورشليم هي موضوعة لاهوتيّة وأدبيّة وفلسفيّة ورومانسيّة وسينمائيّة متواترة كتابات المؤلّفين الغربيين، منذ القرن السابع عشر إلى اليوم؛ **أمّا القدس فهي مدينة تاريخية ودينيّة وسياسية يعيش فيها سكّان عرب ومسلمون ومسيحيون ويهود حقيقيون منذ سنة 637 م، بعد معركة بين الخلافة الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية. نحن نفكّر في مدينة محتلّة وهم ينتسبون إلى ذاكرة سرديّة.** وهناك الحدث الفلسفي؛ الذي يذكره فتحى المسكينى هنا هو كتاب موسى مندلسون (1729–1786) والذي كان عنوانه هو «**أورشليم أو حول السلطة الدينيّة واليهودية**» ، والمنشور سنة 1783. الذى يريد بلورة يهودية مستنيرة، علمانية، ذات نزعة كونية وترفض أيّ فكرة شمولية. وبهذا المعنى؛ استدعى اسم أورشليم استدعاءً تنويرياً ولا علاقة له بأيّ أطماع تاريخية في مدينة القدس. وقد طوّر الفيلسوف الألماني شيلنغ تأويلات لدلالة أورشليم، كان شيلنغ يعرف كتاب مندلسون ويحيل عليه. لكنّه لا يستعمل أورشليم لأغراض تنويرية، بل في نطاق إشكالية أخرى. هي تلك التي تهدف إلى تملّك الدلالة الإنجيلية التي أخذتها أورشليم في سفر الرؤيا، في سفر يوحنّا.

إنّ صورة أورشليم هي منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى أواسط القرن العشرين، مرسومة من خلال نموذج سردي جديد عبّر عن نفسه بشكل عام في صيغة شهيرة اليوم، تقوم على التقابل بين رمزين روحيين جغرافيين، ألا وهما: «**أثينا**

وأروشليم». وهي صيغة اصطلاحية جرت تحت أقلام فلاسفة كبار، من حجم ليو شتراوس، وحنا أرندت، وإيمانويل ليفناس. فقد ظهر سنة 1869 كتاب عنوانه «**الثقافة والفوضى**» لكاتب اسمه ماتيو أرنولد، وجعل عنواناً لأحد فصوله عبارة « Hellinism and Hebraism» **(الهلّينية والعبريّة)**، عقد فيه مقارنة أخلاقية مفصّلة بين المفهومين على أساس التعارض بين مصدرين عميقين للحداثة الأوربية وللغرب بعامة هما: التراث الهلّيني أو اليوناني، من جهة، والتراث العبراني أو الإبراهيمي، من جهة أخرى.[12]

تبدو الدلالة الفلسفية لاسم أورشليم في النقاشات المعاصرة ، بوصفها تعود إلى تنشيط ثنائيّة رمزيّة قويّة، ألا وهي ثنائيّة سقراط من جهة وإبراهيم من جهة أخرى. ولكن مع التأكيد الصريح على أنّ أورشليم إنّما تبقى مسألة غربية أو تهمّ هويّة «الإنسان الغربي» بما هو كذلك، ولا تهمّ «المقدسيين» التاريخين، الذين ينتمون إلى القدس انتماءً تاريخيّاً ويعيشون حياتهم مثل بقية شعوب الأرض على أرضهم. [13]

إن محكمة الصلح الإسرائيلية في حيفا، أصدرت صباح اليوم حكماً بالسجن الفعلي لمدة عامين بحق الأسيرة المقدسية المحررة فدوى حمادة. وطالبت المحكمة بتنفيذ القرار في 17 نوفمبر المقبل، لكنه جُمّد حالياً بطلب من محامي حمادة، إلى حين الاستئناف ضده.[14]

وافادت مصادر مقدسية بأن عددًا من المستوطنين قد سرقوا ثمار الزيتون من أراضي المقدسيين في وادي الربابة ببلدة سلوان جنوب المسجد الأقصي المبارك. ومنذ عدة سنوات يعيق المستوطنون وبحراسة من قوات الاحتلال موسم قطاف الزيتون في وادي الربابة المهددة بمخططات الاحتلال الاستيطانية في سلوان.[15]

صادقت سلطات الاحتلال الإسرائيلي على الاستيلاء على 64 دونما من أراضي قرية ام طوبا. جنوب مدينة القدس المحتلة، واوضحت محافظة القدس، أن عائلات من بلدة أم طوبا. الواقعة جنوب مدينة القدس المحتلة، تقدمت بالتماس إلى محكمة الاحتلال، لوقف أعمال التسوية بعد أن تبين تسجيل نحو 63 دونمًا من أراضي البلدة باسم "الصندوق القومي اليهودي". ويهدد هذا الإجراء بإخلاء ما يقارب منزلاً مقدسيًا. يعيش فيها 139 مقدسًا، مما يضعهم أمام خطر التهجير القسري.

وأشارت المحافظة إلى أن احد المواطنين اكتشف هذه الإجراءات عندما تقدم بطلب رخصة بناء لدى سلطات الاحتلال. ليُفاجأ بأن الأرض التى ينوي البناء عليها مسجلة باسم "الصندوق القومي اليهودي". وبعد البحث، تبين أن عمليات استيلاء مشابهة شملت

عشرات الدونمات من اراضي البلدة[16].

منع الاحتلال المواطنين من التوجه إلى أداء الصلاة في المسجد الاقصى ترك آثارًا اقتصادية مدمرة على الوضع التجاري في البلدة القديمة. فالمسجد الأقصي رمزيتي وسياحي يحرك العجلة الاقتصادية في البلدة القديمة. وفي ظل استمرار الاحتلال في إجراءاته المشددة تبدو البلدة القديمة خالية من السياح والمتسوقين. الأمر الذي أقل كاهل التجار ووضعهم في حالة صعبة. (عن الحياة الجديدة 2024/10/31)

قالت صحيفة هارتس إن 139 فلسطينيا من سكان القدس الشرقية المحتلة يخشون فقدان أراضيهم التي سكنوها طوال عشرات السنوات ويملكون وثائق حيازتها. بعدما فوجئوا بقرار تسجيلها باسم مؤسسة يهودية. وتقدر مساحة الأرض بـ 20 دونما عاش فيها سكانها عشرات السنوات وشيدوا عليها بيوتهم. لكنهم كانوا يجهلون تمامًا وجود إجراء بضرورة تسجيلها. وأكدوا لهارتس أن لا أحد تواصل معهم ليخطرهم بذلك.

توقفت السلطات الإسرائيلية منذ 1967 عن تسجيل الأراضي في القدس الشرقية المحتلة. وكان من نتائج ذلك أن المعاملات العقارية لم تقيّد إطلاقا، فضلا عن أن السلطات لا تحتفظ بسجلات تفصّل هوية ملاك الأرض هناك حسب ما ذكرت الصحيفة الإسرايلية. وكان من نتائج ذلك أن كثيرًا من السكان بنوا بيوتهم على الأرض التي يملكون دون تسجيلها في دائرة الأراضي، لكن سكان أم طوبا، بعكس كثير من أحياء القدس الشرقية، سُلّمت لهم تراخيص بناء بعد ما دققت البلدية أراضيهم وتأكدت أنهم ملاكها الحقيقون.

يذكر السكان إنهم يستطيعون حتى استظهار وثائق بريطانية وأردنية تثبت حقهم فى الأرض، فضلا عن فواتير الضرائب التى دأبوا على دفعها لبلدية القدس على مدى عقود.

تلاحظ هارتس أن أغلب نشاط وزارة العدل خصّص فعلاً لتسجيل "بلوكاتط تشمل أراضي يملكها يهود أو يُخطَّط فيها لبناء حي يهودى.

أما التنظيم العقاري لأم طوبا، فطلبته دائرة أخرى في الوزارة لها صلة بمشروع بناء حي يهودي جديد اسمه "نوبى راحيل" يقع على بعد أمتار فقط من بيوت الفلسطينيين فى أم طوبا على أرض ملكها يهود في القرن الماضي، وهو واحد من 4 أحياء يهودية تقع وراء الخط الأخضر، وخُطط لها مسبقا بالتنسيق بين مسؤول التسجيل العقاري في الوزارة وناشطين يمينيين.

جدير بالذكر ان محكمة العدل الدولية عندما أبدت رأيها القانوني بعدم قانونية

الوجود الإسرائيلى في الضفة الغربية في يوليو/ تموز الماضي، أشارت في حكمها إلى إجراءات تسجيل الأراضي في القدس الشرقية.

وقالت إن هدفها توسيع المستوطنات على حساب أراض أخرى في الشطر المحتل من المدينة، بما يضع ضغطاً على الفلسطينيين هناك، ويضطرهم إلي المغادرة.

ثالثاً: أفلاطون فى فلسطين

ليس من المعتاد أن نبدأ تحليلاً فلسفياً حول القدس وحول القضية الأكثر راهنية فى العالم اليوم قضية تحرير فلسطين وعودة أهلها على كامل أراضيها المغتصبة بالعودة إلى أفلاطون. لكننا فى هذا السياق اخترنا طريق أثينا للوصول إلى القدس ونبدأ من رحلتنا مع الفلسفة وفلسطين ومن أفلاطون ننتقل إلى كانط ومنه لفلاسفة العصر، هذا ما فعله كارلوس فرانكل Carlos fraenkel أستاذ الفلسفة اليهودى فى الجامعة العبرية وجامعة مونتريال فيما كتبه تحت عنوان "**مع أفلاطون فى فلسطين Mit Platon in Palästina عن فائدة الفلسفة فى عالم ممزق**" حيث يستعيد قول سقراط "إن حياة تخلو من امتحان النفس لا تستحق أن تعاش". ما هى الحياة؟ وما امتحان النفس وكيفية استحقاق الحياة؟ حين يطرح فرانكل مثل هذه الأسئلة لكنه يندهش من أن مثل هذا التصور للحياة؛ الذى يقدمه سقراط يبدو غريباً لطلابه الفلسطينيين، كما يبدو غريباً لطلابه فى مونتريال. ولكى يوضح ما الذى يعنيه سقراط "بحياة ممتحنة" ولماذا ينطوى ذلك على أهمية "يحكى لنا كيف اتجهت أحد قريباته إلى الفلسفة. الفتاة التى يحكى قصتها؛ فتاة يهودية والداها يعملان طوال الوقت، ترعاها سيدة فلسطينية تعلمت منها العربية واجادتها وصارت طفولتها فى كنف العائلة الفلسطينية، تلك العبارة البسيطة تحمل معنى أكبر.

كما جاء فى بقية سرده، جاء الوقت؛ الذى عايشت فيه تلك الفتاة الصراع بين الأسرائيليين والفلسطينين من خلال وجهتى النظر متضادتين متصارعتين؛ فهناك من جانب الحياة المذلة للعرب فى إسرائيل ومن جانب أخر هناك الألم والغضب لكونها أى الفتاة فقدت أحد عماتها فى [الباص] فى عملية انتحارية قام بها فلسطينى. ولكونها نشأت فى سرديتين متناقضين، قادها ذلك إلى نوع من التشويش الأمر الذى أدى بدوره إلى الرغبة فى معرفة ما الصواب وما الخطأ ومن هنا اتجهت إلى دراسة الفلسفة. وهنا السؤال الأساسى الذى يطرحه فرانكل فى كتابه والذى نعيد طرحه فى عملنا الخاص وفى سياقنا العربى حول الفلسفة وفلسطين وكيف تضيئ الفلسفة أبعاد هذا الصراع، وهل يمكن أن يكون الفكر حقناً للدم الفلسطينى النازف دوماً.[17]

وإذا ما تساءلنا عن لماذا يعود الأستاذ اليهودى؛ الذى يدرس الفلسفة فى الجامعة العبرية إلى أفلاطون؟ ولماذا يناقش الصراع الدامى من خلال الحوار السقراطى؛ فإننا نجد الإجابة فى أول سطرين مما كتبه عن "**فائدة الفلسفة فى عالم ممزق**" فهل يمكن أن يكون للفلسفة دور فى أشلاء عالمنا الذى لا نحياه لكونه ممزق. فعلى الرغم من أن ظروف حياة تأملية غير ممكنة فى فلسطين، إلا أن ما يشغله هو أن كان من الممكن لمفاهيم مثل: العدالة؛ القانون؛ السلطة وغيرها يمكن أن يقود إلى حل الصراع الذى لا ينتهى والذى يطال جميع مناحى الحياة، يخبرنا فرانكل أنه غالباً ما يعود بعد التدريس إلى القدس فى سيارة **سرى نسبية** أستاذ الفلسفة الفلسطينى وبالطبع يتبادلان الأحاديث طوال الطريق[14]. هنا يظهر الحوار بين أستاذين للفلسفة فلسطينى ويهودى علينا التعرف عليهما. يقول فرانكل "لم يؤثر منبتى اليهودى ولا صلاتى فى أوربا وإسرائيل وأمريكا الشمالية بشكل سلبى على علاقتنا مع بعضنا (هو وسرى نسبية) على الأقل لم أشعر بشئ من هذا القبيل[18].

يأمل فرانكل تجاوز الأحكام المسبقة والتغلب عليها من أجل ذلك يجب الاستعانة بالنهج السقراطى، الذى يتم من خلاله أثناء اللقاء الشخصى عملية التشكيك فى الأحكام المسبقة، وقبل أن نواصل طرح تساؤلاتنا نذكر تقديم قريب من هذا الموقف تؤكده سارة ايما ديكر Sarah Emma Decker فى مقدمة أطروحتها[*] التى توضح العدالة والحق فى القضية الفلسطينية تحت عنوان "**العثور على فلسطين؛ العثور على أنفسنا: فلسفة الأحتلال والسرد والسلام**". إن هدفها كما تحدده هو المساعدة فى تقليل عدد وقوة الصور النمطية الخطيرة للمساعدة فى تعزيز التواصل الحقيقى عبر الاختلافات خاصة فى سياق الشرق الأوسط ووجهات النظر الغربية تجاه المنطقة.

يمكن أن نستشعر ايجابية ما كتبه كارلوس فرانكل فى عدد من الأفكار؛ التى أشار إليها ونستنتج منها بعض الأشارات؛ فى مقدمتها استدعاء أفلاطون إلى القدس وحضوره فى فلسطين حيث يوضح ضرورة دور الفلسفة؛ الذى لا نزال ننتظره حول المسألة الفلسطينية. وترجع أهمية هذا الاستدعاء، إلى التأكيد على المعايير التى يقدمها أفلاطون وفى مقدمتها قيم العدل والحوار.

إن الإشارة إلى الموقف الأفلاطونى والحوار السقراطى؛ الذى يؤكد ضرورة الفلسفة فى عالم ممزق يقتضى التوقف عند بعض المواقف الداعية إلى الحرية والحوار. والحقيقية أن تحليل مثل هذه المواقف لا يساعد على تعميق الفهم للمسألة الفلسطينية فقط بل يساعد

أيضاً على تحررنا من التبعية لهيمنة الفلسفة الغربية ويمهد الطريق لتأسيس فلسفة مغايرة تتجاوز مما ظلننا ندور فى أسره من قضايا.[19]

أوحت كونيجسبرج بلدة الحرب في أوكرانيا لمجلّة "فلسفة" في نسختها الفرنسيّة (العدد 158 – إبريل/ نيسان 2022) بتخيُّل حوار بين ثلاثة من فلاسفة ألمانيا الكبار: كانط وهيجل ونيتشه. وقد اختارت المجلّة أن يدور الحوار في مقهى مُعتم في مدينة كانط، والتي أقام فيها، وكَتَبَ أعماله الفلسفيّة التي لا تزال تُثير جدلاً إلى يومنا هذا.

يسأل هيجل: هل سمعتم ما قاله زيلينسكي؟ لقى أمس ستّة عشر طفلاً لقوا حتفهممع ذلك يتواصل القصف الجوّي على المُدن الأوكرانيّة. والسكّان الذين لجأوا إلى محطّات الميترو تحت الأرض، يعانون من نقصٍ فادح في الموادّ الغذائيّة.

يرد كانط : فما بالك والجماعات الإرهابية المنظمة التى نشطت في العام 1948 قد تحولت إلى دولة إرهابية منظمة تستقطب العالم كله وهذا ما يؤكده هيجل لكنّ الأمر مُختلف الآن؛ فنحن نرى أرتالاً من الدبابات ونعيش عمليات قصف متواصلة.

نيتشه: هل تعلمون السبب الذي يمنعنا من خَوض الحرب على الأرض في أوكرانيا؟ لأنّ الروسَ والأوكرانيّين، هُم وحدهم القادرون على ذلك، لأنّ الحرب في دَمهم وفي تقاليدهم. وهُم لم ينسوا الانفعالات الأرستقراطيّة. أمّا نحن فأقزامٌ ديمقراطيّون نخشى ارتفاع ثمن الغاز وسعر الطبق الذي سنعدّه للغداء أو للعشاء.

كانط: . أمّا أنا فما زلتُ أعتقد أنّ هذه الحرب ليست سوى لحظة، ومرحلة من العنف ومن المجازر الفظيعة. وهي مجرّد مُعْتَرَضة. وهي، أي هذه الحرب، دَورة من دَورات العنف التي انفتحت. لكنّها ستنتهي. وعلينا عندئذ أن نغلق الهلالَيْن، وأن ندفن الأموات، وأن نُعالِج الجرحى، وأن نُعيد بناء أوكرانيا وأنا أضيف وغزة والضفة وكل فلسطين. وسوف تظلّ هذه الحلقات الرّاهنة مجرّد ذكرى للبربريّة، وحدثاً شاذّاً في مَسار التاريخ.

قد نميل بعض الوقت إلى رأى كانط المتخيل هذا، لكن ربما يكون نيتشه أقرب إلى الموقع، فهو يرى أنّ هذا النَّزاع سوف يطول، وسوف يتعفن، وأنّ الروس لن يكون بإمكانهم السيطرة على أوكرانيا. والصهاينة لن تكون لهم هذه الأحلام من النهر إلى البحر؛ أيا كان هؤلاء الصهاينة ومهما كانت أحلامهم فالغربة مهما طالت وكانت بعيدة كالعودة هى الأكيدة.[20]

الهوامش

1- كونيغسبرغ
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D9%88%D9%86%D9%8A%D8%BA%D8%B3%D8%A8%D8%B1%D8%BA

2- وسيم عرابي ، نووي بوتين على بعد أمتار من أوروبا.. كالينينغراد لغم روسيا النووي
https://akhbaralaan.shorthandstories.com/Putins-nuclear-weapon-is-meters-away-from-Europe-Kaliningrad-is-Russias-nuclear-mine/index.html

3- حاكم مقاطعة روسية: الفيلسوف الألماني كانط ساهم في حرب أوكرانيا
https://aawsat.com/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85/%D8%A3%D9%88%D8%B1%D9%88%D8%A8%D8%A7/4850936-%D8%AD%D8%A7%D9%83%D9%85-%D9%85%D9%82%D8%A7%D8%B7%D8%B9%D8%A9-%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%8A%D9%84%D8%B3%D9%88%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%84%D9%85%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D9%83%D8%A7%D9%86%D8%B7-%D8%B3%D8%A7%D9%87%D9%85-%D9%81%D9%8A-%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%A3%D9%88%D9%83%D8%B1%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A7

4- أحمد جميل عزم وآخرين، القدس: التطهير العرقي وأساليب المقاومة، تأليف وتحرير آيات حمدان.. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
https://www.dohainstitute.org/ar/BooksAndJournals/Pages/jerusalem-ethnic-cleansing-and-forms-of-resistance.aspx

5- في خريف عام 1967، ذهب نسيبة لدراسة الفلسفة في كنيسة المسيح بأكسفورد. أمضى نسيبة فصل الصيف في القدس، حيث بدأ في عام 1968 بدراسة اللغة العبرية، وقضى فترة عمل في كيبوتس هازوريا، وفي العام التالي، ساعد في إخماد النيران التي تسبب فيها المتطرف المسيحي الأسترالي مايكل روهان عندما حاول حرق المسجد الأقصى.

SYLVAINE BULLE, A Conflict of Spaces´-or-of Recognition? Co-presence in Divided Jerusalem, POST-OTTOMAN COEXISTENCE: Sharing Space in the Shadow of Conflict. Edited by Rebecca Bryant. (March 2016), Berghahn Books OAPEN Library Edition. Chapter 9, pp.238-257.https://m.ahewar.org/s.asp?aid=770357&r=0

تهدف السياسة الديموغرافية لإسرائيل: أولاً إلى الحد من الوجود والتكلفة الاجتماعية للفلسطينيين في القدس الشرقية. يبلغ عدد سكان العاصمة 765000 نسمة، منهم 495000 يهودي (65%)، نصفهم يعيشون في القسم الشرقي، و 270000 عربي (35%)، معظمهم فلسطينيون يعيشون في القدس الشرقية. وعلاوة على ذلك، يوجد حالياً 80000 فلسطيني يتمتعون بوضع الإقامة الدائمة في القدس، لكنهم لا يعيشون ضمن الحدود البلدية للعاصمة. تسيطر الإدارة الإسرائيلية حالياً على الموقف بوضع حد لإقامة الأشخاص المتزوجين الذين يأتي شركاؤهم من الأقاليم لكنهم يعيشون في الخارج. سيلفانة بيلا: الصراع في وعلى القدس: صراع مساحات أم اعتراف بالآخرن ترجمة محمود الصباغ

6- يخضع كل فلسطيني يمر إلى منطقة من المناطق الفرعية الفلسطينية إلى التحقق عن طريق

الحاسوب والتحقق من الهوية على أساس الملف الشخصي الذي يتضمن معلومات حول المكان الذي يعيش فيه الشخص وأصوله العائلية ومستخدمه. وتخضع إدارة هذه الحواجز لسيطرة الجيش الإسرائيلي، وفي بعض الحالات يتم التعاقد من الباطن مع شركات الأمن الخاصة التي لها عقود مع الجيش. لا يُسمح للفلسطينيين الذين ينحدرون من الأراضي بالدخول إلى القدس إلا في ظروف استثنائية (المرض أو تصريح خاص). والزيجات وجمع شمل الأسر بين مواطني الأقاليم والقدس نادرة للغاية ويجب أن تندرج تحت معايير محددة (الولادة في القدس، ومعايير الأمن، والأطفال المولودين في القدس).

7- يعمل حوالي 25.000 فلسطيني في المستوطنات اليهودية (الإحصائية الإسرائيلية 2011). المستوطنات الإسرائيلية هي فضاءات مكانية عسكرية أو مدنية زرعت في أراضٍ احتلتها إسرائيل خلال حرب حزيران / يونيو عام 1967 وما بعدها. وتوجد مثل هذه المستوطنات حالياً في الضفة الغربية والقدس الشرقية وفي مرتفعات الجولان. ويعيش في 121 مستوطنة معترف بها رسميا في الضفة الغربية حوالي 300000 يهودي، وأكثر من 300000 إسرائيلي يعيشون في مستوطنات القدس الشرقية. ولدى هذه المستوطنات سلطاتها القانونية وقوانينها ولوائحها الخاصة بسبب وضعها خارج الحدود الإقليمية.

8- يمكن أن نشير هنا إلى تجربة حديثة في الترام، حيث خطط ستون شاباً إسرائيلياً لمظاهرة يتحدثون فيها العربية أثناء استخدام وسائل النقل العام من أجل تشجيع الاتصال. على سبيل المثال، هناك حالة الجمعية التي كانت ضد هدم قرية لفتا القديمة الواقعة عند مدخل القدس الغربية. وقد طالبت الجمعية، التي تتألف من نشطاء وكذلك من سكان يهود وعرب، أن تدرج القرية كموقع تراثي عالمي باسم الحفاظ على البيئة.

9- سري نسيبة، فيلسوف فلسطيني وقيادي محلي مؤثر ومقيم في القدس الشرقية.

10- بعد سنوات من العمل في سبيل إقامة دولة فلسطينية فاعلة إلى جانب دولة إسرائيل، صار نسيبة بحلول عام 2011 يشير إلى حل الدولتين على أنه »خيال«. في » كتاب ما هي قيمة الدولة الفلسطينية؟« (مطبعة جامعة هارفارد، 2011) دعا إلى »تجربة فكرية« لدولة واحدة تضم فيها إسرائيل جميع الأراضي، وأن يكون الفلسطينيون »مواطنين « يتمتعون »بحقوق مدنية وليست سياسية« يستطيع من خلالها اليهود »إدارة البلاد بينما يمكن للعرب العيش فيها«. تم رفض هذا الاقتراح وانتقاده واعتباره »مخادع«. صار نسيبة يتحدث عن خطوات نحو نسخة ما من حل الدولة الواحدة، كدولة ثنائية قومية مثلا. مؤلفاته

- هل يتساوى عود كبريت مع كل فلسفتنا ؟ باللغة الفرنسة 2012.
- ما هي قيمة الدولة الفلسطينية؟ منشورات جامعة هارفرد 2011.
- دون أبواق أو طبول: حل الدولتين للصراع الإسرائيلي الفلسطيني. مع مارك هيلر. نيويورك: هيل وانغ، 1991.
- »ولادة الدولة الفلسطينية«، مختارات من مقالات منشورة في جرائد ومجلات بين 1987–1990، مكتب المعلومات الفلسطيني، بلجيكا.
- القدس: نقاط الاحتكاك وخارجها« سري نسيبة وموشي موز، Kulwer Law International, 2000
- الوضع النهائي : القدس والعودة، مركزبحث للدراسات، بيروت، لبنان، 2007.10.

11- https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D8%B1%D9%8A_%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A8%D8%A9

12- كما كتب المسكينى إنّ القدس لا يمكن أن تكون من خلال أقوال بولس الرسول ويوحنّا سوى «أورشليم الحاضرة» أو الأرضية، نعني أورشليم هاجر أو أبنائها؛ أمّا أورشليم التي يتحدّث عنها

مندلسون أو شيلنغ فهي لا يمكن أن تكون القدس بل أورشليم سارة أو «أورشليم السماوية». وإنّ كلّ دلالات «أورشليم» في النصوص الفلسفية والأدبية الأوربية الحديثة إلى حدّ أواسط القرن التاسع عشر.

وفي هذا الإطار ظهرت كتب طريفة من قبيل كتاب ليون دوريسون ودافيد برمان «أورشليم الفلاسفة» المنشور سنة 1922، وكتاب ليو شيستوف «أثينا وأورشليم: محاولة في الفلسفة الدينية» والذي ظهر سنة 1938، وخاصة مقالة ليو شترواس «أورشليم وأثينا: بعض التأمّلات التمهيدية»، والذي ظهر سنة 1967.

13- فتحى المسكينى ، قدس الفلاسفة https://www.aletihad.ae/article/5719/2018/%D9%82%D9%8F%D8%AF%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%A7%D8%B3%D9%81%D8%A9

14- نقلا عن القدس البوصلة 30 أكتوبر 2024 ، خرق لصفقة التبادل.. قرار بإعادة اعتقال أسيرة محررة، اللجنة الملكية لشؤون القدس ، الأمانة العامة، أخبار وواقع القدس ، التقرير اليومين العدد 205، 31 اكتوبر 2024.

http://www.rcja.org.jo.https://facebook.com/rcjajo.https://youtube.com/rcjordan

15- عن موقع مدينة القدس 2024/10/30.

ترجمة / محمد غيث الحاج حسين أكتوبر 18, 2020

16- عن وكالة معا الإخبارية 2024/10/30. الاحتلال يصادق على الاستيلاء على 64 دونما من أراضي أم طوبا.

17- كارلوس فرانكل: مع أفلاطون فى فلسطين: فائدة الفلسفة فى عالم ممزق. ترجمة / محمد غيث الحاج حسين أكتوبر 18, 2020

https://www.palestineforum.net/%d9%85%d8%b9-%d8%a3%d9%81%d9%84%d8%a7%d8%b7%d9%88%d9%86-%d9%81%d9%8a-%d9%81%d9%84%d8%b3%d8%b7%d9%8a%d9%86-%d8%b9%d9%86-%d9%81%d8%a7%d8%a6%d8%af%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d9%81%d9%84%d8%b3%d9%81%d8%a9-/d9%81

18- نفس المرجع

19- الموضع السابق

20- حرب أوكرانيا في مرآة كانط.. هيغل ونيتشه ترجمة: حسّونة المصباحي 4يناير 2023 دكالة TV أفق 0https://doukkala.tv/?p=160400

فلسطين والحاجة إلى الفلسفة
قراءة في ديالكتيك الأرض والسماء

د. مونيس بخضرة(*)

تتناول هذه الدراسة مدى حضور فلسطين– كقضية راهنة وتراث له خصوصياته الثقافية والدينية واللغوية– في الفلسفة كخطاب ومواقف ومعرفة، والكشف عن مواقف الفلاسفة منها، سواء في معاناتها من جراء الاحتلال الإسرائيلي لها وما عرفته من جرائم بشعة في حق أبنائها الفلسطينيين، أو كمنطقة ساهمت بشكل مباشر منذ القدم في تواصل الحضارات وفي صناعة القيم وفي حوار الأديان السماوية، مما جعلها مرجعا للإلهام الديني وللتعايش، وهي كلها خصائص جعلتها تكون حاضرة في صلب تاريخ العلوم والمعارف بعامة وفي الفلسفة خصوصا، بما أنها أرض مرتّ عليها شعوب وقوميات مختلفة، جعلت منها ذاكرة للحضارات والشعوب المتديّنة.

يعد تعاطف بعض المفكرين والفلاسفة والفنانين العالميين مع القضية الفلسطينية في المنتصف الثاني من القرن العشرين مكسبا مهما لها، وصارت معيارا لمدى تقارب الشعوب فيما بينها حسب رؤية الفلاسفة.

شكّلت فلسطين–أرضا وتاريخا وتراثا–محورا أساسيا في العالم عامة وفي الشرق الأوسط خاصة، نظرا للأدوار المرجعة الكبرى التي لعبتها كنقطة إشعاع ديني مركزي هام، وكنقطة لقاء الشرق مع الغرب، والجنوب مع الشمال. فهي مهد الديانات الكبرى، وجغرافيا التفاعل الثقافي بين الحضارات المجاورة لها، مما أهلها تاريخيا لأن تكون محركا للأحداث الكونيّة التي ساهمت من قريب أو من بعيد في تغيير مجرى البشرية، وهي كلها جملة مؤهلات جعلت منها أرضا تعيش الحدث على الزمن، وأرضا ديناميكية لم تعرف الاستقرار أبدا وإلى يومنا هذا.

انطلاقا من البعد الثقافي والديني والتاريخي الزاخر لفلسطين، وبعيدا عن السجال السياسي والايديولوجي الذي لفّ القضية الفلسطينية ولازال كذلك، تهدف ورقتنا هذه للوقوف على موضوع لا طالما ظلّ مغيّبا من التناول المعرفي في العلوم الاجتماعية والإنسانية، ألا هو فلسطين والفلسفة، والغرض منه هو مدى حضور فلسطين في الفلسفة

(*)قسم الفلسفة، جامعة تلمسان/الجزائر

وفي أعين الفلاسفة، ومعرفة موقف الفلسفة كخطاب ومعرفة مشروطة بالتساؤل والنقد من فلسطين من زوايا عديدة، ثقافية ودينية وسياسية(...) إلخ.

عرفت الفلسفة كنشاط معرفي بشموليتها في تناول الموضوع، وهذا بغض النظر عن طبيعة المرجعيات التي ينطلق منها المشتغل بالفلسفة بملامسته للموضوع، سواء كان مثاليا أو واقعيا أو ذرائعيا(...)، ونظرا لتوفرها على أدوات معرفية ومنهجية مختلفة وعديدة، صارت أكثر المعارف قدرة على تفكيك الموضوع وإعادة بناؤه وفق منهج الفيلسوف الفرنسي "رينيه ديكارت" المفصل في كتابة (مقال في المنهج)، وهو طريقة من بين الكثير من الطرائق المهمة التي تزخر بها الفلسفة في تاريخها.

تأتي الحاجة لتفكيك إشكالية علاقة الفلسفة بأي شيء(ما) الأرض، الأخر، الغريب(...) من إمكانية وجود هذه العلاقة بالفعل، مما يجعل هذا الدور فكريا في غالب الأحيان، والذي يثبت أن جميع مزاعم التي تحصر أدوار الفلسفة في بعض النقاط فقط هي هاوية وبعيدة عن الصحة. فللفلسفة علاقة بالتاريخ والجغرافيا وطبائع الشعوب والثقافة والصنائع، وكل ما يفرضه الزمن من تحولات، وهذا ليس إلا لشيء واحد سبق لهيجل وأن حدده في مفهوم "المطلق"، وإدموند هوسرل سماه بالفلسفة الصارمة. وبرغم اختلاف التسميات والتعريفات لهذه القدرة، يمكننا أيضا تسميتها بمفهوم عملي وشائع جدا، وهو مفهوم الشمول، أي أن الفلسفة هي معرفة شاملة، ومن هذه الخلفية تأتي أهمية ملامسة فلسطين كموضوع ثري يحتوي على ملفات عديدة ومتداخلة.

ارتبطت الفلسفة بالمكان والجغرافيا بشكل كبير منذ ظهورها في بلاد اليونان، حيث آمن اليونانيون أنها هبة يونانية، وهو النهج نفسه سار عليه فلاسفة ألمانيا المحدثين على غرار هيجل وهيدغر فيما بعد. فغالبا ما نجد دراسات كثيرة قد انفتحت على هذا الترابط، بما أن المكان هو حامل للفكر وملهمه، فكل ما يهم الفلسفة من المكان هو صفائح الوعي التي ينتجها والعناصر الثقافية التي يفعّلها أفراده، وأيضا معالم الخطاب المتداول فيه وتجليات فكره في الفن والدين والفلسفة. وهي التعيّنات نفسها التي تتجلى في علاقة الفلسفة بفلسطين، كمكان لله وللأنبياء وللتسامح والصفح والحوار والنضال والقيم(...).

قبل أن تكون فلسطين قضية دنيوية تخص الإنسان كانت سماوية، فالقدس هي مدينة سماوية، ونموذج للمصالحة الكونّية، حيث تصالح الله مع الإنسان فيها أكثر من مرة، وتشكّلت النورانيّات السماوية فيها عبر الوحي والهدي، والتي عبرها أحسن الإنسان السماع إلى ربه، وأتّقن فيها تجربة النجاة أكثر من أي مكان آخر في هذا الوجود. وهي

التجربة ذاتها التي دفعت بعض الفلاسفة لأن ينفتحوا على هذه الأرض بجميع مكوناتها الثقافية والتاريخية والدينية، فلهذه الأرض علاقة متجذرة بالكتابة حسب جاك دريدا. أما هيجل فقد ربطها بالترحال الذي هو خاصية بارزة للنبي إبراهيم–النبي الرحّالة–وهي أرض شهدت تداخلات مع اليونان والرومان في عز تشكل الخطاب الفلسفي فيهما.

منذ القدم وفلسطين تبحث عن السلام، وقد عاشت بعض النماذج منه، وهي نماذج لم تكتمل بعد، وكأنها عبره تبحث عن الحقيقة والحق، وبه علّمت البشرية كيف يقبل الإنسان الآخر، ويزيل كل فرص التهديد والتخويف، ويتواصل البشر فيما بينهم بما تعلموه من دياناتهم وما تمليه عليهم عقولهم المخصبة بالثقافة العالية، حيث أن الرجوع للتأمل في فلسطين كواقعة أمر مهم للنخب وللمثقفين والفلاسفة.

لعبت فلسطين دورا ثقافيا أساسيا في ربط ضفاف المتوسط فيما بينها، بين الشمال والجنوب وغربه بشرقه، كمعبر لمرور قوافل العلماء والمثقفين من روما وأثينا عبر القدس وبلعلبك إلى الإسكندرية وقرطاجة وسيرتا والقيصرية (مدينة شرشال حاليا في شمال الجزائر)، وبها تشكّلت مدراس في كبريات الحواضر ساهمت في علوم مختلفة مثل: الحقوق والفلسفة والجغرافيا والآداب والفنون. وعليه يبقى التفكير في تاريخ علوم المنطقة من دون ذكر فلسطين إجحافا بالغا في حقها، ومن هنا أتت أهمية تناول العناصر الأتية الواردة في هذه الدراسة حتي تتكشف العلاقات المعرفية التي تربط إشكالية الوجود الفلسطيني في علاقته مع الأرض المسلوبة من الناحية التاريخية والدينية، وموقف المفكرين والفلاسفة منها وهي كالآتي:

(1) مقدمة/ الفلسفة والجغرافيا(2) فلسطين والحاجة إلى الفلسفة (3) فلسطين في فكر إدوار سعيد (4) فلسطين في الفلسفة الغربية المعاصرة (5) خاتمة.

أما **إشكالية الدراسة** فهي تنحصر في مدى قدرة القضية الفلسطينية في استمالة الفلاسفة والمفكرين لعدالتها، ومدى حضورها في تناول الفلاسفة العالمين لقضيتها، وقدرتها في حملها لهمو البشرية باختلاف ثقافاتهم ودياناتهم بما أنها قضية تكتسي حساسية إستثنائية على أنها مهبط للوحي للديانات الكبرى.

وحتى نفي موضوع الدراسة اعتمدنا **المنهج التحليلي التاريخي** الذي يساعدنا على استبصار الحقائق التاريخية حول القضية الفلسطينية، **وتوظيف التحليل بالمقاربات** الذي يخص مقاربات الفلاسفة حول المسألة الفلسطينية.

فلسطين والحاجة إلى الفلسفة:

بناءا على عراقة حضور فلسطين في تاريخ العلوم والمعارف ودورها في ثراء التراث البشري، سنقف عند لحظات تلاقي فلسطين مع الفلسفة، وتفصيل نشاط الفلاسفة في تعرية القضية الفلسطينية، وهي القضية التي ظلّت حبيسة التغطية السياسية والأيديولوجية دون تحريرها لتصير قضية مفتوحة على أهل الفن والمعرفة والمفكرين، بما أنهم الأقدر على إيصال الكلمة وإسماع الرأي العام العالمي لما يجري حولها والكشف على جوانبها الإنسانية، زيادة على درايتهم الكبيرة لحيثياتها. ولهذا بات من الضروري للمفكرين الاهتمام بالمسألة الفلسطينية في كتاباتهم وأشعارهم وإبداعاتهم، على غرار كتابات المفكر "إدوارد سعيد" في أمريكا والمفكر "عزمي بشارة" وأشعار" محمود درويش" المدوية، إذ لا يمكن للأحد أن ينكر لأدوارهم الكبيرة في حمل القضية الفلسطينية إلى العالم.

هي الدعوة نفسها التي دعى إليها "إدوار سعيد" أكثر من مرة في كتاباته ومحاضراته التي كان يلقيها في الجامعات الغربية، متهما بعض المثقفين بالخيانة خاصة منهم العرب، وفي هذا المجال يستغرب سكوت مفكرين كبار وفلاسفة من طراز "جان بول سارتر" الذي لم يشر قط للقضية الفلسطينية، رغم نضالاته الفلسفية المعروفة حول الحرية وحقوق الإنسان.

يرى "إدوار سعيد" أن الفيلسوف الفرنسي "جان بول سارتر" قد تعرض للتهميش، ونسيت مواقفه الشجاعة من قضايا التحرر العالمي، غرار دفاعه عن الجزائر وفيتنام، وجهده المكرس للمهاجرين، وظهوره الباسل الراديكالي في مظاهرات طلابية عام 1968 في باريس، بالإضافة الى مرتبته الاستثنائية وتميزه الأدبي الذي نال عليه جائزة نوبل للأدب ورفضها لأسباب شخصية. يقول ادوارد سعيد: يجب أن أقول بالنسبة إلى جيلي أنه كان دائما أحد أعظم المفكرين الأبطال في القرن العشرين، رجل كرس كل بصيرته ومواهبه العقلية في خدمة كل قضية تقدمية في زماننا[1].

حول مواقف "جان بول سارتر" من القضية الفلسطينية، يسرد "إدوارد سعيد" وقائع ملتقى علمي جرى في بيت الفيلسوف "ميشال فوكو" وبحضور أعلام الفكر الفلسفي الفرنسي أنداك لمناقشة النقاط الثلاث وهي: السلام بين إسرائيل والعالم العربي، وقيمة معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل(معاهدة كام ديفد)، والظروف العويصة للتعايش الذي قد يحدث بين إسرائيل والعالم العربي.

حينها كان "إدوارد سعيد" ناشطا في السياسة الفلسطينية وأصبح عضوا في المجلس

الوطني في عام 1977، وحاول أن يجعل من "سارتر" مؤيدا للقضية الفلسطينية في تلك اللحظة الحاسمة من الصراع الفلسطيني الإسرائيلي.

وأثناءها أدرك إدوارد أن الهدف الأساسي من هذه الحلقة الدراسية هي مناقشة سبل التطبيع بين إسرائيل والعرب(فلسطين)، ومحاولة "إدوارد سعيد" لضم سارتر إلى صفوف المدافعين عن القضية الفلسطينية على غرار مواقفه التاريخية من القضية الجزائرية إبان الاستعمار الفرنسي، والذي رأى فيه موقف نقدي لإسرائيل أصعب من موقفه المؤيد للقضية الجزائرية.

وفي هذا الشأن يقول "إدوارد سعيد": ولأسباب لم نتأكد منها بعد، ظّل "سارتر" ثابتا في مناصرته للصهيونية المتعصّبة، إما كان يخاف من أن يبدو معاديا للسامية أو لأنه شعر بالذنب حول الهولوكوست، أو لأنه في نفسه إعجاب عميق للفلسطينيين كضحايا ومقاتلين ضد الظلم الإسرائيلي أو بسبب آخر لن أعرفه أبدا[2].

ونتيجة هذا، ظلّت مواقف "سارتر" المخيّبة، خيبة مريرة لكل عربي (غير جزائري) حسب "إدوار سعيد. وفي هذا الموضع، اعتبر" إدوار سعيد" الفيلسوف "بيرتراند راسل" أفضل من "سارتر". فالقضية الفلسطينية في نظر" إدوار سعيد" لم تترك أي تأثير على "سارتر" وإن كان ذلك بسبب إسرائيل حسب اعتقاده، أو بسبب نقص أساسي في التعاطف لأسباب ثقافية ودينية. فهو عكس صديقه "جان جينيه"، الذي اشتهر بهيامه الغريب بالفلسطينيين في إقامة مطولة معهم خاصة ما أتى في كتابيه: (أربع ساعات في صبرا وشتيلا) و(أسير العشق)[3].

فلسطين في فكر "إدوار سعيد" –الكل مسؤول عن تحرير فلسطين–يعد المفكر "إدوارد سعيد" أحد أكبر المنظرين للقضية الفلسطينية في القرن العشرين. فالرجل وظّف أدوات العلوم الاجتماعية والإنسانية من مناهج وأفكار ومفاهيم في قراءته للمشاهد الفلسطينية وللصراعات الدائرة في المنطقة، سواء تلك التي دارت بين التيارات السياسية الفلسطينية فيما بينها، أو بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل حول مسألة الاحتلال والاستطان.

عرف "إدوارد سعيد" بقراءاته النافذة لقضايا الشرق عامة وللقضية الفلسطينية خاصة، فهو يملك قدرة كبيرة على التحليل الثقافي ونقد الأنظمة الشمولية وطرق التلاعب بعقول الجماهير.

ففي تناوله للمسألة الفلسطينية، أبان "إدوارد" مواقفه الواضحة والصارمة، ففي حوار

أجراه معه "أهرام ويكلي" يوم 26نيسان 2011، أن الانتفاضة الفلسطينية قد وصلت إلى المرحلة الأكثر قسوة واختناقا بالنسبة للفلسطينيين.

كتب إدوارد سعيد قائلا: لم أستطع أن أعيش حياة ساكنة أو غير ملتزمة. ولم أتردد في إعلان انتمائي والتزامي بواحدة من أقل القضايا شعبية على الإطلاق[4].

كانت بداية "إدوارد سعيد" بالنشاط السياسي، وبعدها ظهرت مقالته السياسية الأولى (صورة العرب)، وعندما أطلقت رئيسة الوزراء الإسرائيلية "جولدا مائير"[*] تصريحها عام 1969، والذي قالت فيه: لم يكن الأمر وكأن هناك شعبا فلسطينيا(...)إنهم لم يوجدوا[5]، قرر "سعيد" أن يضطلع بما أسماه بتحدي دحض ما ذهبت إليه والذي يمازجه شيء من منافاة العقل، والشروع بانطلاق تاريخ الخسارة والفقدان الذي ينبغي أن نبوح به ونحرره دقيقة بدقيقة وكلمة بكلمة وإنشا بإنش.

ولسنوات طويلة، كان "إدوارد سعيد" هو المتحدث الرئيسي باسم القضية الفلسطينية في الولايات المتحدة، وقد قال بخصوص ذلك: إن فلسطين قضية غير مجزية، فأنت لا تأخذ شيئا في مقابل التزامك بها سوى الازدراء والاضطهاد والنبذ(...) كم من الأصدقاء يتجنبون الخوض في هذه المسألة، وكم من الزملاء لا يرغبون في سماع أي خطاب فلسطيني، وكم يصرف الليبراليون المتحمسون من الوقت في الاهتمام بقضايا البوسنة والشيشان والصومال ورواندا وجنوب إفريقيا ونيكارغوا وفيتنام والحقوق الإنسانية والمدنيّة في أي مكان على وجه البسيطة، ولكنهم لا يفعلون شيئا من لك عندما يتعلق الأمر بفلسطين[6].

وبفعل مواقفه الناقدة والفاضحة، دفع "إدوارد سعيد" ثمنا باهظا مسّ سمعته ووظيفته بما لحقه من متابعات ومضايقات بسبب تمسكه بالقضية الفلسطينية، فوسم بأنه (فيلسوف الإرهاب) ودعته قائمة الدفاع اليهودية بالنازي وتم إحراق مكتبه في جامعة كولومبيا، وتلقى هو وأفرد عائلته تهديدات بالموت لا حصر لها. ظّل "إدوارد سعيد" عضوا في المجلس الوطني الفلسطيني لأكثر من عقد من الزمن، احتمل خلاله نقمة القوميين العرب بسبب دفاعه عن (فكرة التعايش بين اليهود الإسرائيليين والفلسطينيين العرب) وقد كتب متحدثا عن ذلك: كنت أوجه نقدا صارما لاستخدام الشعارات والكليشيهات نحو الكفاح المسلح، ولروح المغامرة الثورية التي نجم عنها موت الأبرياء، وفي وقت تسهم فيه بإحراز أي تقدم للقضية الفلسطينية على الصعيد السياسي[7].

ومنذ استقالته من المجلس الوطني الفلسطيني عام 1991، أصبح "إدوارد سعيد"

واحدا من أبرز المناهضين علنا "لياسر عرفات" ولما يسمى بعملية السلام، وظلّ صوتا متفردا للمقاومة الفلسطينية، وسط اللغط الذي ساد توقيع اتفاقية أوسلو في الحديقة الجنوبية للبيت الأبيض في أيلول 1993. وقد أدرك "سعيد" على الفور معنى أوسلو وأسماها بفرساي الفلسطينية، وهو الذي قال معلقا على ذلك الحدث: كان "كلينتون" أشبه بإمبراطور روماني يجلب ملكين تابعين من ملوك الاقطاعيات إلى بلاطه الامبراطوري ويدفع بهما الى التصافح[8].

كان "إدوار سعيد" على قناعة كبيرة بحقيقة أن اليهود الإسرائيليين والفلسطينيين منضوون ديمغرافيا على نحو يتعذر تغييره. قام "إدوارد سعيد" على غرار باقي المثقفين الفلسطينيين بقراءة تاريخ الحوارات التي كانت تدور في داخل حركة المستوطنين الصهاينة. خاصة لمقالات أشخاص من ذوي الوزن الثقيل من أمثال: مارتن ببر، ويواده ماجنيس، الذي كان أول رئيس للجامعة العبرية والفيلسوفة حنا أردنت، وقد شكّل هؤلاء جميعا مفكرين عالميين بارزين، والذين أدركوا أن صداما سوف يحدث إذا ما استمرت حركة الاستيطان بطريقة عدائية. وطالما تم المضي قدما في تجاهل العرب على نحو يتسم بالطيش، وكان "دافيد بنغريون" قد صرح قائلا: في الحقيقة بأن التاريخ برمته لم يشهد حالة يستسلم فيها شعب ببساطة ويسمح لشعب آخر بالاستلاء على أرضه[9]. وهكذا، فإن هؤلاء الأشخاص كانوا يستشرفون حتمية نشوب الصراع والأزمة بين فلسطين وإسرائيل، خاصة "ماجنيس" الذي كان مثاليا حقا.

يرى" إدوارد سعيد"، أنه كلما أمعن المرء في القراءة عن المفكر "ماجنيس" والتأمل فيه، وجد فيه روحا متميزة ورجلا تقدم بأشواط على عصره. كان أمريكيا، وهو أمر يثير الاهتمام والذي قال: دعونا نفكر بالعرب على أساس أخلاقي وعميق. لنفكر بهم على أساس وجودهم وليس على أساس غيابهم[10]. وفي نفس السياق يقول "إدوار سعيد": عندما أقابل العرب الآن أو أذهب إلى البلدان العربية، فإنني أقول لهم خصوصا للمصريين: يمكنكم الذهاب إلى فلسطين، يمكنكم العبور من إسرائيل لأن إسرائيل ومصر في حالة سلام. يمكنكم الاستفادة من ذلك في الذهاب إلى فلسطينيين ومساعدتهم في بناء مؤسساتهم، يمكن لكم الظهور والتحدث والمكوث هناك لبعض الوقت وتدريبهم. فيقولون: كلا، لا نستطيع أن نصم جوازات سفرنا بالأختام الإسرائيلية، لن نذهب إلى السفارة الإسرائيلية للحصول على تأشيرة، ولن نخضع للإهانة التي ينطوي عليها تفتيشنا من قبل رجال الشرطة الإسرائيليين على الحدود والحواجز[11].

سعى "إدوار سعيد" في كتاباته النضالية، إلى تحرير العقول المقيدة برمزيات الاحتلال بنوع من النقد الذاتي، حتى تكون عملية الانخراط في العالم بصورته الواقعية ممكنا. بما أن الفلسطيني في نظره قد عانى كثيرا من التقوقع الدفاعي ومن الإحساس المفرط بالاضطهاد والسخط بمختلف أشكاله، وكل هذا يحدث نتيجة غياب الديمقراطية.

إن السبب فيه لا يعود فقط إلى استبداد الحكام ولا إلى مؤامرات الإمبريالية، وهو لا يتعلق بوجود أنظمة الحكم الفاسدة ولا البوليس السري وحسب، بل هو يعود في نهاية المطاف إلى افتقار مثقفينا إلى الإحساس بالمواطنة.

وفي هذا الشأن "يقول إدوارد سعيد": إن الكثير من تاريخنا قد جرى طمسه. إننا أناس غير مرئيين، وتعود قوة وهيمنة الرواية الإسرائيلية إلى كونها تعتمد كلية تقريبا على نوع من الرؤية البطولية للرواد الذين قدموا إلى صحراء. لم يتعاملوا في نهاية المطاف مع سكان محليين دوي وجود راسخ ومتجذر ويعيشون في البلدات والمدن ويمتلكون بنيتهم الاجتماعية الخاصة، بل مع مجرد صحراء يقطنها بدو هائمون على وجوههم بحيث يسهل طردهم. إن قيام الصهيونية برسم صورة البدوي الهائم كان إجراء في منتهى التعقيد، لكن الصهيونية عمدت بالتأكيد إلى استخدامه في التعامل معنا كشعب[12].

غالبا ما دعى "سعيد" في مداخلاته على ضرورة خلق التطبيع الحقيقي بين الفلسطينيين والإسرائيليين لا المزيف، حيث يمكن للإسرائيليين أن يكونوا جزءا من الشرق الأوسط وليس معزولا مرتبطا بالغرب على نحو كثيف، بينما يقوم بازدراء وتجاهل وانكار حقوق الفلسطينيين.

يجب إيجاد طريقة بحيث يصبح دور العقل والثقافة والوعي الأخلاقي دورا حاسما فيها، ولا بد أن تكون هناك طريقة ملائمة للتعامل مع (الآخر) وإفساح مكان له في مواجهة فكرة عدم وجود الحيز حسب "إدوارد سعيد". وهكذا فإن هذا الطرح يبتعد كل البعد عن اليوتوبيا والتوهم.

إن اليوتوبيا تعني اللامكان، بينما يعني هذا الطرح توضيعا للآخر في حيز (ما)، وهذا هو السبب وراء فكر "سعيد" حول ضرورة قراءة الخرائط والجغرافيا وخلق الحيز الذي يتسع للكل ويشملنا جميعا.

يرى إدوار أن الوضع الفلسطيني قابل للشفاء، بما أن كائناته البشرية هي التي صنعت التاريخ وليس العكس. هناك الكثيرون من الفلسطينيين الشباب في كل بقاع العالم والكثرين من الكبار الذين سخطوا تماما وفزعوا من قيادة تخرجهم من مصيبة لتدخلهم في

أخرى دون أي شعور بالمسؤولية، ودون إفصاح بالحقيقة وحتى دون أن تعبر بوضوح عن أهدافها وأغراضها.

يقول "ادوارد": نحن نحتاج الى شيء يتطلّبه الوضع الآن ويقاومه كل الفاعلين، وبعبارة أخرى نحتاج إلى بيان حقيقي بالأهداف والغايات التي يجب أن تتضمن أولا وقبل كل شيء إنهاء الاحتلال الإسرائيلي وإنهاء المستوطنات، فليس هناك طريق يؤدي إلى السلام ويحقق العدالة للفلسطينيين والإسرائيليين غير ذلك[13].

يؤمن "سعيد" أنه لا يوجد شيء اسمه سلام مؤقت، كما أنه ليس هناك بعض حقوق للشعب الفلسطيني دون غيرها فهذه تفاهة غير مقبولة. مجموعة واحدة من القوانين والحقوق، ومجموعة من الأهداف والغايات، على ذلك الأساس يمكن تنظيم حركة سلام فلسطينية جديدة، يجب أن تشمل يهود إسرائيل وغير إسرائيليين، خصوصا الأفراد الأبطال والمجموعات مثل حاخامات حقوق الإنسان والحركة الي يقودها "جيف هالبر" لإنهاء هدم البيوت.

يؤكد "سعيد" على أن كل وثائق حقوق الإنسان في العالم اليوم بما فيها وثائق الأمم المتحدة، تعطي الشعوب حق المقاومة بأي وسيلة، حين تكون تحت نير الاحتلال وحق اللاجئين بالعودة إلى بيوتهم وأرضهم، كما أنه عارض بشدة التفجيرات الانتحارية في تل أبيب، لأنها لا تخدم أي هدف سياسي أو أخلاقي وهي غير مقبولة أخلاقيا أيضا. وهناك فرق كبير بين العصيان المنظم أو الاحتجاج الجماهيري من جانب وتفجير الشخص نفسه مع عدد من الأبرياء من جانب آخر، ويجب أن يبين هذا الفرق بشكل واضح ومؤكد وينقش إلى الأبد في أي برنامج فلسطيني.

دعى "سعيد" إلى حق تقرير المصير للشعبين. حقوق متساوية ومستقيمة بشكل واضح، حق تقرير المصير للشعبين حقوق متساوية لكليهما، لا احتلال ولا مستوطنات، حل يشمل جميع الأطراف أيا كانت المفاوضات التي أقحمنا فيها يجب أن تكون على ذلك الأساس.

هذه هي الحقائق اليوم وجوهرها عدم التناسق الهائل والتباين الكبير في القوة بين إسرائيل والفلسطينيين، لهذا يجب علينا أن ننتزع الأرضية الأخلاقية مباشرة بالوسائل السياسية التي تزال في متناولنا وقوة التفكير والتخطيط والكتابة والتنظيم. فمن المحزن أن القيادة الحالية تبدو عاجزة تماما عن فهم ذلك، لذلك يجب أن تتنحى جانبا وسوف تتنحى بالتأكيد عند نقطة ما[14].

فلسطين في الفلسفة الغربية المعاصرة:

يعود اهتمام الفلسفة الغربية وفلاسفتها بفلسطين ومكوناتها الثقافية كموضوع، لما قبل حدث النكبة(1948)، وبالتحديث إلى العصر الحديث، خاصة عندما انفتح فلاسفة هذا العصر على قراءة المكونات البشرية وللتفاعل الديني الذي ميّز المنطقة، حيث نجد فلاسفة كثر اهتموا بالمسألة اليهودية ومدى حضورها في تاريخ المنطقة.

من بين فلاسفة العصر الحديث الذين اهتموا بالفكر اليهودي في فلسطين نجد "هيجل"، والذي رأى أن بداية ملحمة الشعب الفلسطيني بمكتل مكوناته بما فيهم اليهود، تعود إلى النبي "إبراهيم" وفي هذا الشأن يقول هيجل: مع إبراهيم الجد الحقيقي لليهود، يبدأ تاريخ هذا الشعب، أي أن روحه هي الوحدة، هي الروح التي بقيت تسيّر ذريته[15].

وهو يضيف دون شك أن هذه الروح، تعبر عن نفسها في مظاهر مختلفة حسب الظروف وحسب صيغ المنازعات التي جرت بين الشعب اليهودي وشعوب أخرى، وغالبا ما جرى الإلحاح على تاريخ "إبراهيم" الذي استعاده "هيجل" عدة مرات في نصوصه الفلسفية، وذلك لأن "هيجل" يكشف في تاريخ "إبراهيم" عن السمات المميزة البارزة لدى شعب اليهود.

حسب هيجل، يمكن أن نقول أن الضياع الذي فلسفه الفيلسوف الفرنسي "جاك دريدا" قد امتزج مع طينة اليهودي منذ القدم.

ولد النبي "إبراهيم" بحسب "هيجل" في بلاد كلدان. فكان عمله الأول هو الانفصال عن أسرته وعن شعبه، هجر أسرته ووطنه هربا من طغيانهم ومحطما كل صلاته بهم، هي نفسها الصلات المتعاقبة عبر الأجيال. انفصال مزق مصير الشعب. فاليهودي يريد أن يصبح سيدا على نفسه مستقلا في عالمه، وجد ليصبح من أجل ذاته حسب اللغة الهيجلية. فهذا الانفصال عن الطبيعة هو أعمق الجذور اليهودي منه لدى سواهم من الشعوب.

الروح اليهودية حسب هيجل معاد للعالم وللناس وللآخرين وللعالم، لأن روحهم وجدت مهاجرة وبقيت على حالها، مفقودة في العالم، بقيت غريبة على الشعوب التي تعاملت معها، لأنها لم تملك أرضا معينة بصدق لزراعتها، فكانت غريبة فوق هذه الأرض، تولد عنه عداء حيال الأرض مما أدى إلى عداء حيال الآخرين.

الروح العبرية وفق قراءة هيجل لها في كتابه العمدة "فينومينولوجيا الروح"، لا تريد الحب، وبسبب هذا الكره المقيت حدث انفصال عن الطبيعة، وسبب هذا السلوك هو الرجوع إلى الذات الذي يضع حدا للعفوية الحية. فلم تعد تستطيع اعتبار الأشياء على

أنها حية، لم تعد بالنسبة إليه أكثر من أشياء يحتاج إليها لإمتاع نفسه ولضمان نفسه ولضمان أمن ذريته، فلم تعد هناك بينه وبين العالم أكثر من علاقات موضوعية تنحصر في حلقات التفكير، أما علاقات الحب فلم تعد ممكنة. ولا شك في أن هذا التمزق، يشكل برهة أساسية في حياة الروح اليهودية، حيث أن طابعها الأساسي حسب هيجل هو عداؤها لكل القيم الحيوية كالبطولة وحب الأمم مثلا. ولكن هذا الطابع ساعد على اكتشاف كل ما هو مرتبط بالرجوع إلى الذات من قيم عقلية وقيم روحية والاهتمام المحصور بالذات الذي هو عبارة عن سمو كلي مجرد[16].

في تحليله للروح اليهودية، يظهر أن هذه الروح تبيت عداء للحياة والذكاء. إن التفكير الكلي هو الروح اليهودية الذي حطّم الحياة ولم تعد هناك من علاقات ممكنة التصور بين الكائنات سوى علاقات السيد والعبد. فالرغبة في الحياة لم تضمحل على هذا النحو، ولكنها فقدت جمالها وسحرها بالرجوع إلى الذات، فكان مصير الروح اليهودية أن تعيش منفصلة عن الإله وعن الناس، لأنها اكتفت بذاتها ليبقى مثلها الأعلى هو التطلع لما هو خارج عن ذاتها، ولأنها مفصولة عن هذا المثل الأعلى بقيت خارج الحياة.

إن الوعي اليهودي هو بحق وعي شقي الذي عبر عنه هيجل في فينومينولوجيا الروح، والذي به لا يريد اليهودي أن يقطع معه سوى مسافة قصيرة بدون زاد ليوم القيامة، يقول دريدا: الألم هو القدر الذي ينادي اليهودي ويجعله وسيطا بين الصوت والعدد، القدر الذي يرثي الصوت المفقود ويذرف الدموع السوداء(...) لقد توجه إليّ أحد أبناء طائفتي كثير اعتدال بقوله ألا يعني عدم التمييز بين اليهودي وغيره فقدان الهوية اليهودية؟[17]

بدأ اهتمام الفلاسفة المعاصرين بالمسألة الفلسطينية بشكل مكثف، بعد احتلال إسرائيل للأراضي الفلسطينية سنة(1948)، وما انجر عنه من مجازر مروعة ارتكبت في حق الفلسطينيين، وأيضا مع توسع المد التحرري في العالم، وظهور فلاسفة اهتموا بمسألة حرية الإنسان وحق النضال، وضرورة المواجهة والمقاومة، ومن بينهم: نجد فلاسفة الوجودية وعلى رأسهم "جان بول سارتر" و"سيمون دي بوفوار" و"روجيه غارودي" و"جاك دريدا" في فرنسا. أما في ألمانيا، نجد كل هابرماس وحنا أرندت، وفي أمريكا نجد: "نعوم تشوميسكي".

اهتمت الفيلسوف اليهودية "حنا أرندت" بتفكيك الفكر الشمولي وطغيان المؤسسات باسم القانون، وقد حللت أسباب تجذّر الشر في العلاقات بين الشعوب المعاصرة، بما فيها الذي تعرض له اليهود في الحقبة النازية، فهي تقول: بينما نجد ملامح ذلك الشر الجذري

لدى "أودلف هتلر" الذي ظهر في أحد أقول كتابه "كفاحي" بشكل علني: إن ما من فعل مغاير للأخلاق وما من جريمة بحق المجتمع إلا ولليهود يد فيها[18].

وفي كتابها "إيخمان في القدس" انتقدت "حنا أردنت" لجوء اليهود إلى العنف، كسبيل وحيد في فرض وجودهم، وهذا السبيل في نظرها هو نقيض جوهر الروح اليهودية. إن القناعة بأن المعاداة للسامية موجودة في كل مكان وزمان جعلت اليهود غير قادرين على التمييز بين أصدقائهم وأعدائهم حسب زعمها، ولم يكن اليهود الأمان لوحدهم القادرين على الاستهانة بأعدائهم، لأنهم كانوا يعتقدون أن كل المسحيين متشابهون.

وفيما حدث لليهود، تتساءل" حنا أرندت" لماذا يتسلط القدر هكذا على الشعب اليهودي؟ وألا يمكن أن تتصوروا بأنه لا يمكن تفسير قدر هذا الشعب إلا بتصميم غير منطقي؟ بنوايا توجد في مستوى أعلى من فهم الانسان؟ في إشارة منها إلى هيجل.

لقد صرح "غوبلز"[19] أيضا سنة(1943) قائلا: سيذكرنا التاريخ، سنكون من كبار رجال دولة أو من كبار المجرمين. ومن الأكيد أيضا، أن الشعب اليهودي لم يكن في مجمله منظما، ولا يملك أرضا، ولا حكومة، ولا جيشا، عاش تائها بلا نظام[20].

اهتم الفيلسوف الأمريكي" نعوم تشوميسكي" بما يحدث في عالمنا المعاصر من موجات عنف حادة، وصدامات بين الدول والشعوب، وتزايد موجات الإرهاب العالمي، والذي رأى أن سببها الرئيسي إلى إخفاق الساسة في إدارة الأزمات المعاصرة.

فقد سبق لتشوميسكي وأن اعتقد أنه لا توجد فروقات بين رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية المتأخرين في تعاملهم مع القضية الفلسطينية، فمثلا الرئيس "باراك أوباما" كرر فحسب مواقف "جورج بوش" ويستعمل نفس العبارات في الواقع. فقد دعا إلى دولة فلسطينية كبوش تماما وترك ما يعنيه بذلك غامضا. لهذا يمكن تفسير قوله كموقف نتنياهو عام 1997 حين كان أول رئيس وزراء إسرائيلي يؤيد قيام دولة فلسطينية وهي حقيقة ربما نسيت حسب "تسوميسكي. وأيضا ترك "شيمون بيرس" المنصب مصرحا بقوة أنه لن تكون هناك دولة فلسطينية أبدا، حين سئل وزير الاعلام في حكومة نتنياهو إن كان سيتبنى نفس السياسة، أجاب إذا أراد الفلسطينيون أن يسموا البقايا المتروكة (دولة) فذلك رائع، أو يستطيعون تسميتها ب: (الدجاج المقلي). نحن نعرف إن كان أوباما يقصد (الدجاج المقلي) أم غير ذلك ونعرف أنه تملص بحذر شديد من جوهر مبادرة السلام العربية التي امتدحها، وهي صورة رفيعة لانتقاد "تشوميسكي" لطريقة تعامل الإدارة الأمريكية مع الملف الفلسطيني[21].

أظهر تشوميسكي تعاطفا كبيرا مع الشعب الفلسطيني، وتألم كثيرا لما حدث لشعب غزّة، خاصة وأنه اعتبر حماس ممثلا شرعيا، بعد أن فازت بانتخابات حرة جرت في كانون الثاني 2006 لكن إسرائيل والولايات المتحدة ويتبعهما الاتحاد الأوربي بأدب ردوا بعقبات قاسية على السكان بسبب هذه الخطيئة حسب تشوميسكي. إن المطلعين على التاريخ الحديث يدركوا بأن هذا الرد غير مفاجئ ولا رفض الطبقات المثقفة مواجهة ما يشير إليه هذا الرد بخصوص مفهوم (تعزيز الديمقراطية) أيضا. بعد ذلك سجنت إسرائيل الكثير من أعضاء الحكومة المنتجة وحرضت مع الولايات المتحدة فتح للقيام بانقلاب عسكري للإطاحة بالحكومة وحين فشل الانقلاب أصبحت العقوبات أقسى على السكان ثم دعمت الولايات المتحدة البرامج الإسرائيلية الهادفة الى سحق أهالي غزة وتوسيع النفوذ الإسرائيلي على الضفة الغربية واستمرت الولايات المتحدة وإسرائيل برفض الاجماع العالمي القديم بتسوية الدولتين[22].

يرى "تشوميسكي" أن المشكلة الفلسطينية الإسرائيلية" تعود إلى أن هناك مجموعتان قوميتان تطالبان بحق تقرير المصير فيما كان يسمى بفلسطين، وهي تقريبا المنطقة التي تحتلها إسرائيل الآن بدون مرتفعات الجولان التابعة لسوريا.

المجموعة الأولى هي السكان الأصليين أو ما تبقى منهم–بعد أن طردت إسرائيل أو أجبرت الكثيرين منهم على الفرار. والمجموعة الأخرى هي المستوطنون اليهود الذين جاءوا أصلا من أوربا والشرق الأوسط في وقت متأخر وبعض المناطق الأخرى. لذلك هناك مجموعتان، السكان الأصليين والمهاجرين وأسلافهم وتطالبان بحقهما القومي في تقرير المصير.

أما بخصوص المفاوضات الجارية بين الفلسطينيين والإسرائيليين من أجل التسوية السياسية، هي تلك التي تلبي حق تقرير المصير لكلا المجموعتين القوميتين هي تسوية الدولتين. كل شخص يعرف كيف ستكون إسرائيل: إسرائيل ضمن حدود ما قبل حزيران عام 1967 تقريبا ودولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة وعودة مرتفعات الجولان إلى سورية أو ربما تدبير آخر. سيترافق هذا مع مناطق منزوعة السلاح وضمانات عالمية من نوع أو آخر. ذلك هو الإطار السياسي لتسوية سياسية ممكنة. لا أعتقد بأنها الأفضل وإنما هي الواقعية بل وواقعية جدا ويدعمها غالبية العالم[23].

والذي فيه رأى "أيان بابي" أيضا، أن ما يحدث اليوم في فلسطين يشبه كثيرا ما حدث في جنوب إفريقيا أيام التمييز العنصري، إذ يقول: توجد أشياء متشابهة وأخرى

مختلفة أيضا. إن فصول التاريخ الاستعماري كثيرة ويمكن إيجاد بعض جوانب التمييز العنصري في السياسات الإسرائيلية اتجاه الأقلية الفلسطينية فيها وفي الأراضي المحتلة. إن بعض مظاهر الاحتلال أسوأ من واقع التمييز العنصري لجنوب أفريقيا وبعض مظاهر في حياة المواطنين الفلسطينيين في إسرائيل لم تكن أسوأ من الوضع في جنوب أفريقيا أيام عز التمييز العنصري. النقطة الرئيسية للمقارنة حسب رأيي التشجيع السياسي.

إن الحركة المضادة لسياسة التمييز العنصري والمؤتمر الوطني وشبكات التضامن التي تطورت على مدى السنين في الغرب يجب أن تقوم بحملة دعم للفلسطينيين أكثر تركيزا وفعالية. لهذا السبب هناك حاجة أكبر لتعلم تاريخ الصراع ضد التمييز العنصري من المراوحة الطويلة في مقارنة الصهيونية بالأنظمة العنصرية[24].

في كتابه (الوطن المغتصب، إسرائيل والبحث عن الحل) تناول المفكر" مايكل رايس" أصول المسألة اليهودية، إذ رأى فيه أن اليهود كانوا هم شعب الله المختار في العهد القديم، لأنهم كانوا هم الشعب الوحيد الذي يعبد الله وسط الشعوب التي كانت تعبد الأصنام وهذا لا خلاف فيه، ولكن لم يعد الأمر كذلك اليوم، بعد أن ظهرت المسيحية والإسلام وأصبحت غالبية الناس يعبدون الله الواحد. أما عن الوعد بامتلاك أرض فلسطين، ففي نظره له جانبان: الأول والذي يؤمن به المسيحيون في الشرق فهو: الجانب الروحي الذي يعني ميراث ملكوت والحياة الأبدية. أما الجانب الثاني: فيعتمد على التفسير المادي لحقائق وأحداث الكتاب المقدس، وذلك الذي تأخذ به بعض المذاهب البروتستانية، وهو التفسير الذي أوقع أتباع هذه المذاهب في براثين المؤثرات والادعاءات الصهيونية وجعلهم يساندون الصهيونية في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين اعتمادا على تفسير الوعد المقدس بأنه يعني تمليك اليهود للأراضي الفلسطينية.

أما عن اجتماع الشعب اليهودي في فلسطين وما يتبعه من اعتقادهم بإعادة بناء الهيكل، فهو أمر قديم وانقضى قبل مجيء المسيح نفسه، ذلك أن دولة إسرائيل القديمة قد انتهت على يد سرجون الثاني ملك آشور سنة 721ق م. حيث استولى عليها وشتت أسباطها وأسكن السامرة غيرهم[25].

وفي هذا الكتاب يستعرض" مايكل رايس" حقيقة بارزة، وهي أن السكان اليهود في إسرائيل والذين أنشئت الدولة لأجلهم –سواء كانوا من أصول أوربية أو غربية–ليس لهم ادعاءات تاريخية أو قانونية أو أخلاقية حيال أرض فلسطين. وهذا يعني أن العدالة لن تتحقق ولن يدوم السلام إذا لم تتخلص إسرائيل من الصهيونية ويصبح سكانها اليهود

جزءا من دولة علمانية اتحادية.

أما بالنسبة لعدم الاكتراث الذي يبديه المجتمع الدولي، فسيعطي إسرائيل القدرة على الاستمرار في زرع المستوطنات في الأراضي المحتلة لخلق حقائق جديدة بدون إزعاج للرقابة المستمرة من الاعلام[26].

يعد الكاتب" إسرائيل شحاق" من بين أهم الذين انتقدوا الصهيونية وأعمالها في فلسطين، ففي محاضرات التي ألقاها في الولايات المتحدة في يونيو 1969ضجة كبيرة، وأقلقت من تشبعوا بالصورة المثالية عن المجتمع الإسرائيلي التي يبثها الإعلام الأمريكي، وقد قيل عنه آنذاك بأنه يهودي يكره الذات، وإنه خان اليهودية وتنكر لتاريخها، إذ تحدث بشأن اليهود مع غير اليهود. ولكنه بقى دوما يؤكد على ضرورة تطابق أقوال سياسي إسرائيل للعالم مع أفعالهم، وأن تبيت إسرائيل دولة يعيش فيها الناس من جميع الأديان والأجناس متمتعين بحقوق المساواة.

وهذا المفكر البولوني الأصل ولد في وارسو في 28أبريل عام1933لأسرة تنتمي إلى الطبقة المتوسطة، وقد أذهلته مقولة (بن غوريون) الذي عده مثالا اقتدى به، حينا قال أمام الكنيست: إن إسرائيل بدأت حرب 65 لا للدفاع عن النفس بل لتأسيس أجزاء من مملكة سليمان. ومنذ ذلك الحين انتقد ما شاهده في إسرائيل من عنصرية ضد العرب الفلسطينيين[27].

الخطر الأساسي الذي تمثله إسرائيل لجيرانها هو سياسة السعي نحو التوسع، التي أدت لحروب كثيرة، وكلما باتت إسرائيل أكثر تهودا وازدادت العقائد قوة وتطرفا، وقلت قدرة العقل على التحكم في السياسة الخارجية.

فهو كل يهودي يرغب في تحرير ذاته، اليهودي في نظره يحتاج لمواجهة مشاعره حيال معاداة الناس في العصور القديمة، منتقدا في الوقت نفسه كره اليهود للمسحيين والمسلمين معا، وجذور هذه النزعة في نظره تعود لأوقات حين اضطهد اليهود المسيحيين، فحسب ما يقوله التلمود فإن محكمة الأحبار قامت بصلب المسيح بسبب الحث على الزنا وعلى عدم اطاعة الأحبار.

لقد اعتمد الدعم الشعبي لإسرائيل خلال الربع قرن العشرين على عدد من الأساطير أهمها أسطورة الأمن، والتي تعنى وجود مخاطر حقيقية تهدد بقاء الدولة العبرية في فلسطين، وهي أسطورة صنعت بدهاء لإقناع الناس وتشجيعهم، على تقديم المال لمساعدة إسرائيل عسكريا واقتصاديا، الأمان الإسرائيلي هي فكرة التي تقدمها حكومتا

إسرائيل وأمريكا لمنع الفلسطينيين من تقرير مصيرهم في بلادهم.

اعتمد الإسرائيليون في فلسطين عملية خلق عقلية قلقة مهوسة بالأمن، بهدف توحيد مستوطنين مهاجرين قادمين من أفريقيا وأسيا وأمريكا[28].

ومن بين المهتمين بالقضية الفلسطينية من قبل الفلاسفة الغربيين المعاصرين، نجد الفيلسوف الفرنسي" روجيه غارودي"، الذي ناضل بفلسفته لأجل القضايا الإنسانية العادلة، وفي هذا الشأن جاء كتابه (الأساطير المؤسسة للسياسات الإسرائيلية) الذي يعد أحد أبرز النصوص المعاصرة التي فضحت مزاعم اليهود الدينية المضللة حول أرض فلسطين، ومن أهم الوثائق التي تدين الحركة الصهيونية. إذ تناول فيه تاريخ الحركة الصهيونية وسياستها منذ تكوينها حتى أواخر القرن العشرين. وبسبب مواقف "روجه غارودي" حول القضية الفلسطينية رفعت أكثر من قضية في حقه، لأنه شكك في حقيقة المحرقة التي أقامتها النازية لليهود، وهذا التشكيك في التاريخ الرسمي لأروبا في القرن العشرين لا يزال من المحرمات في فرنسا.

بدأ غارودي بقراءة بعض النصوص الدينية التي اعتمد الفكر الصهيوني، موضحا أن لهذه النصوص معاني تخالف كثيرا تلك التي تستند عليها الصهيونية لتبرير لإقامة دولتها على أراضي احتلتها وهجرت سكانها منها، مؤكدا أن الدين لا يبرر الإرهاب الإسرائيلي، بدءا بقتل 237فلسطينيا في "دير ياسين" حتى قتل "باروش شتاين" للفلسطينيين الذين شردوا من قراهم التي تم تدميرها ومقتل الألاف من المدنيين من قبل شارون في عام 1982 ومسؤوليته مع الجنرال "رافال إيتان" عن قتل المواطنين في صبرا وشاتيلا.

وبخصوص هذه المسألة، يؤكد "غارودي" أنه لا يعادي السامية ولمنه في الواقع يذكر في أكثر من موقع أنه هدفه هو كشف حقائق الفكر الصهيوني، وليس نقد أي دين سماوي.

انتقد "غارودي" الذين حوّلوا الدين إلى أداة سياسية وأفرغوه من محتواه الأصلي، وهذا النوع من الهرطقة مرض شاع في أواخر القرن العشرين، وعنه حارب التطرف الديني بمختلف أشكاله[29].

يرجع "غارودي" الصهيونية إلى سنة 1869 وهي السنة التي ظهرت فيها، تدل كلمة صهيونية على حركة سياسية أسسها "ثيودور هرتزل"، وهي حركة وطنية لم تنتج عن اليهودية، بل بعد بزوغ النزاعات الوطنية في القرن19، و"هرتزل" يعد مؤسس الصهيونية

السياسية التي كانت لحظة تأسيسها بعيدة عن الدين. فهو الذي قال: أنا لا أتبع وازعا دينيا(...) أنا علماني النزعة[30]. ولم يكن "هرتزل" مهتما بأرض مقدسة بعينها لتحقيق أهدافه الوطنية، كان سيقنع بأوغندا أو قبرص أو الأرجنتين أو موزمبيق أو الكونغو، ولكن بعد اعتراض الكثير من اليهود، وبعدها اتجه إلى (الأسطورة العظيمة) متخذا القرار بتحويل الأسطورة العظيمة بالعودة إلى تاريخ حقيقي، حيث قال: فلسطين هي الوطن الذي عشنا في ربوعه في الماضي، الاسم وحده صرخة تجمع شعبنا(...) بالنسبة لي، القضية اليهودية ليست مسألة اجتماعية أو دينية[31].

إن الصوت اليهودي حسب "غارودي" هو صوت المسدسات، إذ بات السلاح عندهم عقيدة جديدة، توراة أخرى في إسرائيل. بات العالم مقيد بجنون العنف، هذه اليهودية المنتصرة يهودية الأمم الأخرى التي تعلمناها منهم، يهود أمريكا جميعا مسؤولون عن هذا الخطأ، هذا التشوه، حتى أولئك الذين يرفضون القيادات الأثمة، بل يتطلعون بصمت، تخدير الحس الأخلاقي يؤدي إلى ضموره.

وفي الواقع منذ إعلان بلتيمور، وجدت الصهيونية راعيا قويا يحميها، وهو الولايات المتحدة، جرفت منظمة الصهيونية العلمية معارضة القلة التي تمسكت بالتراث الروحي اليهودي لأنبياء إسرائيل القدامى، وطالبوا بتكوين دولة يهودية لا مسكنا في فلسطين لليهود، حسب وعد بلفور أثناء الحرب العالمية الأولى.

في عام 1938 انتقد العالم "ألبرت أينشتاين" هذا الوعد قائلا: أعتقد أنه سيكون منطقيا أكثر الاتفاق مع العرب للحياة معا، بدلا من تكوين دولة لها حدودها، وجيشها، وقوتها العسكرية، مهما كانت ضعيفة، أخشى من الدمار الداخلي الذي ستعانيه اليهودية بسبب الشعور الوطني. نحن لسنا الآن يهود الأزمنة القديمة، أن تتحول ثانية إلى أمة بالمعنى السياسي يعني ترك روحية قومنا التي تركها لنا أنبياؤنا العظماء[32].

خلال غزو إسرائيل الدموي للبنان، ذكر البروفسور "بنيامين كوهين" من جامعة تل أبيب في رسالة إلى صديقي له يدعى "فيدال ناكيت" في 8جوان 1982 ما يلي: أكتب لك وأنا أستمع إلى الأخبار في المذياع، يقولون: إننا سنحقق أهدافنا في لبنان، أي التأكيد على السلام، أكاد أصاب بالجنون حين أسمع لهذه الأكاذيب. أدرك أن هذه الحرب الهمجية، الأكثر وحشية من أي حرب أخرى، لا تتعلق بمساعي أمنية. فاليهود أولاد إبراهيم الذين عانوا وحشية العالم أكثر من أي أمة أخرى، كيف تحولوا إلى ممارسة القسوة؟ نجاح الصهيونية الأساسي هو في تدمير العقيدة اليهودية، أتمنى أن نستطيع

إيقاف "بيجن" و"شارون" من تحقيق طموحاتهما، وهي القضاء على الشعب الفلسطيني وعلى إنسانية اليهود[33].

تحتاج أي قومية للتحرر من ادعاءاتها وأنانيتها، فبعد أن ضعفت الكنيسة المسيحية، ادعت كل أمة من الأمم لنفسها حق تمثيل الدين. فرنسا مثلا قالت إنها تنجز عمل الرب، وألمانيا ادعت أن الرب معها، إيفا بارون قالت: إن مهمة الأرجنتين هي أن تجلب الرب إلى العالم. وفي عام 1982 قال رئيس وزراء جنوب إفريقيا الذي دافع عن نظام التفرقة العنصرية ما يلي: دعنا نتذكر أننا أمة الله، ولنا وظيفة. فالصهيونية نفسها تشترك في هذا المدح للذات الذي تقوم به جميع الأمم، حتى البروفسور "أندر نيهر" يستسلم لهذا الإغراء، ففي كتابه(أسس النبوة) بعد أن يفسر معنى ارتباط الخالق بعبده.

كتب أن إسرائيل هي الدلالة على التاريخ المقدس في العالم، إنها مركز الكون، وقبله النابض. وهذا التعليق، يذكرنا بأسطورة الرجل الأبيض التي تأسس على أساسها الفكر النازي الذي يتناقض تماما مع ما علمه الأنبياء، وهذا ما نادى به "مارتن بوبر" حين تحدث عن الأنا والآخر، والنزعة الوحدوية التي تستند إلى الغرور لا تتيح أي إمكانية للحوار، لا يستطيع المرء التحدث مع هتلر، بسبب شعوره بأنه ينتمي لجنس أعظم، ولا يتوقع مع الآخر سوى الطاعة العمياء. وفي عصرنا لا يوجد إلا الحوار أو الحرب، ولكن الحوار يتطلب أن يعرف كل طرف ما يفتقده واحتياجه للآخر لملأ الفراغ.

ومن بين الأساطير التي فككها "روجيه غاروي" في كتابه السابق بالفحص والنقد نجد:

1- أسطورة الوعد: أو الأرض الموعودة أم المحتلة، والتي إلى ما ورد في سفر التكوين حيث وعد الرب الآباء إبراهيم وإسحاق ويعقوب بالأرض التي كانوا قد بدأوا باستيطانها، وهذا الوعد ينطبق على أرض فلسطين المعاصرة.

2-رؤية اليهود لإسرائيل: قال الحبر "آلمر برجر" المدير السابق لاتحاد اليهودي في أمريكا: حين طلب الأنبياء القدامى إحياء لإسرائيل، لم تكن القداسة قد وهبت للأرض ذاتها. الشرط الأساسي كان إحياء التعاقد مع الرب، في وقت حين كسر الناس وملوكهم هذا التعاقد، التعاقد في المخيال اليهودي لا يشمل الأرض فحسب، بل احترام المبادئ التي سنها الرب مع الشعب، لا بد للأفراد من تطبيق قوانين العدالة، الحق والإخلاص للرب، صهيون لا تعتمد على معاهدات، وموازين قوى، تجعلها أقوى من جيرانها، التراث الديني يوضح أن القداسة لا تعتمد على التراب، أو على حضور شعب على قطعة أرض،

الشيء الوحيد الذي يجعل صهيون مقدسة هو احترامها للتعاقد الرباني.

وفي هذا الإطار، يرى "غارودي" أن دولة إسرائيل لا يحق لها أن تدعي أنها تحقق المشروع المقدس. فذلك نفاق. الصهيونية المعاصرة في إسرائيل، التي تود التحكم في الشعب اليهودي بأسره، وتستخدم القوة لتحقيق ذلك الغرض، عبارة عن دولة مثل غيرها من الدول.

3-أسطورة الشعب المختار: وتستند إلى زعمهم أن الرب قال: إسرائيل ابني البكر[34].

4-أسطورة يشوع: التطهير العرقي.

وقد سبق أيضا لإدوار سعيد هو الأخر، أن كشف عن أغاليط الأساطير الدينية الصهيونية التي حاولت طمس الهوية الفلسطينية والتاريخ الحقيقي لشعب فلسطين، وادعت بأن أرض فلسطين أرض بلا شعب، واليهود شعب بلا أرض، وعرّ التحالف القائم بين إسرائيل وأمريكا وأوروبا.

حيث خاطب سعيد الإنسان في إنسانيته وليس في هويته، ورأى بأن حقوق الإنسان واحدة للبيض وسود، وأهمها الحق في العيش وفي حرية التعبير وحق تقرير المصير، وانتقد العنصرية والتمييز والاستبداد، ودعا إلى المساواة والديمقراطية والإنسانية، وتساءل عن سبب استحواذ النضال الفلسطيني على اهتمام العالم[35].

كما انتقد سعيد أيضا الاعلام الأمريكي، عندما ربط المقاومة الفلسطينية بالإرهاب دون أدنى انتباه إطلاق إلى الاحتلال العسكري القائم منذ35سنة. الأطول في التاريخ الحديث نتيجة لإدانات أمريكية رسمية لسلطات عرفات كملاذ وحتى برعاية الإرهاب.

وفي الأخير جاء "جاك دريدا" بفلسفته التفكيكية في محاولة منه لتجاوز الثنائيات التي تجذرت بفعل الميتافيزيقا، والاستراتيجية ذاتها اعتمدها "دريدا" في رؤيته للجدل الحاصل بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وفي معظم حواراته حول هذه القضية، تمكّن "دريدا" ببراعة من تجاوز الإطار السياسي والايديولوجي المهمين على الموضوع، لتناولها في إطارها الثقافي والمعرفي. يقول: هل كان لثقافة أثينا العالمية أن تنبثق وتنشأ من غير الاستعارة والاقتباس من بابا ومصر؟ هل بمقدورنا إنكار حقيقة الاعتقاد الأوربي باليهودية-المسيحية قد ظهر أولا في أراضي الشرق الأوسط؟ هل كان لتعاليم أرسطو والفلسفة اليونانية أن تعود إلى قلب أوربا بعد عصر الظلمات لو لم يكن ذلك بفضل عمل المفكرين العرب العظماء أمثال إبن سينا وابن رشد؟ ثم، أوليست المسألة هي أن الثقافات

المنوية(المؤسسة) كالثقافة البيزنطية والأندلسية كانتا في ذاتهما الوعاءان الصاهران للثقافات والعقائد الهجينة؟ وأخيرا، ها نحن نسأل إذا ما كانت تذكرات أوربا عن نفسها اليوم ينبغي أن تتضمن كلا من استعادتها لإرثها الثقافي الغني، وأيضا إقرارها بالخطايا التي ارتكبت باسمها من الهيمنة الكولونيالية، إلى الاستغلال الاقتصادي، وتبديد موارد البيئة وإفسادها؟[36]

ويرى "دريدا" أنه من الضروري التفكير بعمق بهذا التكوين الترابطي بين اليونانيين واليهود، إذ يقول: بالمقابل أرى أن فكرتي الخاصة ليست راجعة للثقافة اليهودية وليست لليونانية كذلك، وغالبا ما أشعر بأن الأسئلة التي أحاول أن أصوغها عن هوامش تعاليم الفلسفة اليونانية تتضمن كمثيلتها(الآخر) نموذج اليهودي، بمعنى اليهودي–بوصفه آخر. وبالمفارقة أنني، في الحقيقة، لم أستحضر أبدا التعاليم اليهودية بأية طريقة: مباشرة أو غير مباشرة. وعلى الرغم من أنني ولدت يهوديا، إلا أنني لا أعمل أو أفكر ضمن التعاليم اليهودية. لذا إذا كان البعد يهودي لتفكيري–والذي يمكن أن يكون قد ظهر بين وقت وآخر– إلا أن هذا لا يفرض شكلا من أشكال الإخلاص الصريح أو الدين لهذه الثقافة. فإن الموقع الأقصى لموضوع سؤالي لا يمكن أن يكون عبريا أو هلينيا على حد سواء(لا–موقع)[37].

اليهودية تظهر في فلسفة دريدا في أسلوبه في توظيفه لمفاهيم مطمورة في الوجدان العبري، فاليهودي حسب دريدا يوناني في الكتابة، واليوناني هو اليهودي في الكلمة فنموذج اليهودي كنموذج لتفكيك الفكر والعمل ضمن تعاليم اليهودية الحية، لذا كانت أبعاد يهودية في مشروعه[38]. يقول دريدا: إن ما نعرفه اليوم بأن اللاهوت المسيحي واليهودي ما هو إلا إيمان ثقافي تمت صياغته هيلينيا بدرجة كبيرة[39].

اليهودية عند "دريدا" تمثل نوعا من المغايرة اللآخرية قبل أن يتم استيعابها في الثقافة اليونانية تحتم عليها أن تسود العالم كما سادته اليونانية لأنها هي الأخرى كانت تضايق الهويات الغربية في الفلسفة، لهذا فإن التفكيك السري للعقل اليوناني نشأ منذ البدايات الأولى للثقافة الغربية بتأثير يهودي، وأنا الآن –يقول دريدا– أعمل على الكشف عن عمله فقط كعمل نبوي، لأنني برزت في أوقات الأزمات الاجتماعية والتاريخية والفلسفية كما برز الأنبياء في وقت مضى، الشيء الذي تغير بيننا يقول دريدا هو لهجنة الأنبياء في تغيرت عن سالفاتها في الماضي.

فالنبوة حسب اعتقاد دريدا تقترب كثيرا من الفلسفة، تختلف عنها فقط في استغنائها

عن المعايير لأنها هي ذاتها معيار، وهي ترفض بذلك التسليم لأي تحكيم خارجي يمكن أن يحكم عليها أو يقيمها بطريقة موضوعية محايدة، فالنبوة تصرح لإيمانها بالغيبيات وتجد مرجعيتها في إيمانها بالوحي وليس بالمعايير الواقعة وراء نطاق الخبرة البشرية كما هو الشأن في الفلسفة.

خاتمة:

انطلاقا من ما تمّ تناوله في هذه الدراسة، التي هدفت إلى تناول القضية الفلسطينية من زاوية رؤى الفلاسفة والمفكرين لها، سواء من العرب من خلال المفكر" إدوارد سعيد" كنموذج قوي على ذلك، بما أنه يعد أكثر المفكرين العرب وقوفا عند هذه القضية، خاصة وأنه اعتبر التفكير في فلسطين يعد ضربا من أضرب المقاومة النظيفة، وأيضا من خلال فلاسفة غربين مشهورين بتناولهم للمسألة الفلسطينية والذين تم ذكرهم في هذه الدراسة، ويمكن إجمال النتائج الثابتة من هذه الدراسة في النقاط التالية:

-أظهرت الدراسة مدى عمق القضية الفلسطينية وأحقيتها بالأرض وبتراث المنطقة المتنازع حوله مع الإسرائليين.

-ثبوت عدالة القضية الفلسطينية في قراءات كثير من فلاسفة الغرب المعروفين بمناصرة القضايا العادلة في العالم، ونقدهم الشديد للفضائع التي ترتكب في حق الفلسطينيين.

-أظهر بعض المفكرين مدى ليونة المواقف الفلسطينية لحلحلة القضية والنزاع المستمر مع الإسرائليين واستجابتهم للقرارات الأممية، وهذا يعكس نزوعهم الشديد للحلول السلمية في مقابل تعنت المستمر للأسرائليين.

-أظهرت الدراسة مدى ثراء المكونات المادية والروحية للتراث الفلسطيني، والذي يظهر بقوة علاقة فلسطين التاريخية بأرضها.

-انتقاد الفلاسفة للنزيف المستمر لمقومات الشعب الفلسطيني منذ اللحظات الأولى للإحتلال الإسرائليلي لها.

-أظهرت الدراسة إمكانية حضور فلسطين كموضوع خصب في الدراسات الإنسانية عامة والدراسات الفلسفية خصوصا.

-إقرار المفكرين والفلاسفة مركزية فلسطين العالمية، بما أنها منبع الديانات السماوية الكبرى(اليهودية، المسيحية، الإسلام).

الهوامش:

(1) إدوار سعيد، (2006) *الثقافة والمقاومة*، ط1، حاوره دايفيد بارسيمان، ترجمة: علاء الدين أبو زينة، المشروع القومي للترجمة، بيروت، ص189.

(2) المرجع نفسه، ص196.

(3) المرجع نفسه، ص199.

(4) أدوار سعيد، (2006) *الثقافة والمقاومة*، ط1، حاوره دايفيد بارسيمان، ترجمة: علاء الدين أبو زينة، المشروع القومي للترجمة، بيروت، ص13.

* جولدا مائير גולדה מאיר: ولدت مايو 8 1898 ديسمبر1978 م، رابع رئيس وزراء للحكومة الإسرائيلية بين 17 مارس 1969 حتى1974 م. وُلدت جولدا مابوفيتز في مدينة كييف بأوكرانيا وهاجرت مع عائلتها إلى مدينة ميلواكي في ولاية ويسكونسن الأمريكية عام1906 م .تخرجت من كلّية المعلمين وقامت بالعمل في سلك التدريس وانضمّت إلى منظمة العمل الصهيونية في عام 1915م .ومن ثمّة، قامت بالهجرة مرّة أُخري ولكن هذه المرّة إلى فلسطين وبصحبة زوجها موريس مايرسون في عام1921 م .ولمّا مات زوجها في عام1951 م، قررت جولدا تبني اسم عبري فترجمت اسم زوجها إلى العبرية، بالفعل يعني اسم مايرسون "ابن مائير "باللغة اليديشية وقررت جولدا مائير اختصاره. انتقلت جولدا إلى مدينة تل أبيب في عام1924 م .وعملت في مختلف المهن بين اتّحاد التجارة ومكتب الخدمة المدنية قبل أن يتمّ انتخابها في الكنيست الإسرائيلي في عام 1949م .عملت جولدا كوزيرة للعمل في الفترة 1949 إلى1956 م وكوزيرة للخارجية في الفترة 1956إلى1966 م في أكثر من تشكيل حكومي. وبعد وفاة رئيس الوزراء الإسرائيلي ليفي اشكول في فبراير1969 ، تقلّدت جولدا منصب رئيس الوزراء وقد تعرّضت حكومة التآلف التي ترأّستها للنّزاعات الداخلية وأثارت الجدل والتساؤلات في مقدرة حكومتها على القيادة خاصّة بعد الهجوم العربي المباغت وغير المُتوقّع في حرب أكتوبر، والذي أخذ الإسرائيليين على حين غرّة في 6 أكتوبر1973 م .تعرّضت جولدا مائير لضغوط داخلية نتيجة الأحداث التي سلفت فقامت على تقديم استقالتها وعقبها في رئاسة الوزراء اسحاق رابين .توفيت جولدا مائير في8 ديسمبر1978 م ودفنت في مدينة القدس. (نقلا عن موقع ويكيبيديا https://ar.wikipedia.org/wiki)

(5) المرجع نفسه، ص13.

(6) المرجع نفسه، ص13.

(7) المرجع نفسه، ص14.

(8) المرجع نفسه، ص14.

(9) المرجع نفسه ص22.

(10) المرجع نفسه، ص22.

(11) المرجع نفسه، ص31.

(12) المرجع نفسه، ص32.

(13) إدوار سعيد، *خيانة المثقفين*، مرجع سابق، ص321.

(14) المرجع نفسه، ص323.

(15) جان هيبوليت،(1975) *مدخل إلى فلسفة التاريخ عند هيجل*، (دط) ترجمة: أنطوان حمص، وزارة الثقافة، دمشق، ص08.

(16) مونيس بخضرة، (2009) تاريخ الوعي "مقاربات فلسفية في جدلية ارتقاء الوعي بالواقع" ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، ص215.

(17) ادموند جابيس، (2003) أسئلة الكتابة أو حوار الفلسفة مع الأدب، ط1، ترجمة إدريس كثير، دار الحداثة، فاس، ص107.

(18) حنة آرنت، (2014) *ايخمان في القدس، تقرير حول تفاهة الشر*، ط1، ترجمة: نادؤة السنوسي، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية، ناشرون ص18.

(19) بول جوزف غوبلز(1945/1897) هو وزير الدعاية السياسية في حكومة هتلر النازية وأكبر خطيب في النظام النازي، انظم للحزب النازي منذ1922ومن أشهر أقواله: كلما سمعت كلمة مثقف تحسست مسدسي، وفي غزة ماي 1945 عندما يتقن من هزيمة ألمانيا في الحرب، لأقدم على الانتحار مع زوجته وأطفاله الستة وأعمارهم بين 4-11سنة. ص54

(20) حنا أرندت، *إيخمان في القدس*، مرجع سابق، ص174.

(21) نعوم تشومسكي، (2010) *أشياء لن تسمع بها أبدا "لقاءات ومقالات*، دط، ترجمة أسعد الحسين، دار نينوى، 2010، ص32.

(22) المرجع نفسه، ص34.

(23) المرجع نفسه، ص134.

(24) المرجع نفسه، ص359.

(25) مايكل رايس (2013) *الوطن المغتصب، إسرائيل في فلسطين والبحث عن الحل*، ط1، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ص09.

(26) المرجع نفسه، ص17.

(27) إسرائيل شحاق، ولبر سنسر، ليفيا روكاش، ألفريد ليلينثال،(2003) *روجيه جارودي، القلم الجريء: مفكرون غربيون ويهود انتقدوا الصهيونية*، ط1، ترجمة البراق عبد الهادي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ص19.

(28) المرجع نفسه، ص13.

(29) المرجع نفسه، ص211.

(30) المرجع نفسه، ص211.

(31) المرجع نفسه، ص12.

(32) نقلا عن المرجع السابق، ص216.

(33) المرجع نفسه، ص216.

(34) المرجع السابق، ص224.

(35) إدوارد سعيد، *خيانة المثقفين، النصوص الأخيرة*، مرجع سابق، ص27.

(36) ريتشارد كيرني (2005) *جدل العقل "حوارات آخر القرن*، ط1، تر: إلياس فركوح وحنان شرايخة، المركز الثقافي العربي، ص11.

(37) المرجع نفسه، ص164.

(38) مونيس بخضرة، *تاريخ الوعي*، مرجع سابق، ص213.

(39) ريتشارد كيرني: *جدل العقل"حوارات آخر القرن*، مرجع سابق، ص164.

قائمة المراجع:

1- إسرائيل شحاق، ولبر سنسر، ليفيا روكاش، ألفريد ليلينثال،(2003) روجيه جارودي، القلم الجريء: مفكرون غربيون ويهود انتقدوا الصهيونية، ط1، ترجمة البراق عبد الهادي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

2- إدموند جابيس، (2003) أسئلة الكتابة أو حوار الفلسفة مع الأدب، ط1، ترجمة إدريس كثير، دار الحداثة، فاس.

3- إدوار سعيد، (2006) الثقافة والمقاومة، ط1، حاوره دايفيد بارسيمان، ترجمة: علاء الدين أبو زينة، المشروع القومي للترجمة، بيروت.

4- إدوار سعيد، (2006) الثقافة والمقاومة، ط1، حاوره دايفيد بارسيمان، ترجمة: علاء الدين أبو زينة، المشروع القومي للترجمة، بيروت.

5- جان هيبوليت،(1975) مدخل إلى فلسفة التاريخ عند هيجل، (دط) ترجمة: أنطوان حمص، وزارة الثقافة، دمشق.

6- حنة آرنت، (2014) ايخامن في القدس، تقرير حول تفاهة الشر، ط1، ترجمة: نادؤة السنوسي، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية، ناشرون.

7- مايكل رايس (2013) الوطن المغتصب، إسرائيل في فلسطين والبحث عن الحل، ط1، المشروع القومي للترجمة، القاهرة

8- مونيس بخضرة، (2009) تاريخ الوعي "مقاربات فلسفية في جدلية ارتقاء الوعي بالواقع" ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت.

9- نعوم تشومسكي، (2010) أشياء لن تسمع بها أبدا "لقاءات ومقالات، دط، ترجمة أسعد الحسين، دار نينوى.

10- ريتشارد كيرني (2005) جدل العقل "حوارات آخر القرن، ط1، تر: إلياس فركوح وحنان شرايخة، المركز الثقافي العربي.

فلسطين والعقل الصهيوني

د/ عبدالستار الراوي

مبادرة مجلة أوراق فلسفية اصدار عدد خاص تحت عنوان الفلسفة وفلسطين ادراكا منها أن فلسطين قضية العرب الاولى وقبل أن تكون اشكالية سياسية هي واحدة من المسائل الفلسفية الكبرى. وإذا كانت الفلسفة تعني بالدرجة الأولى البحث عن الحقيقة والاعتراف بها بل والغرام بها، فإن فلسطين هي بدون أدنى شك مشكلة فلسفية. كل الفلاسفة الكبار كانوا مولعين بالحقيقة إلى حدّ الوله، غالبيتهم كانوا مستعدّين لأن يموتوا من أجلها، من أجل أن يلمحوا شعاعها، وجهها الساطع.. ومشكلة فلسطين والحقيقة صنوان. مشكلة فلسفية قبل أن تكون سياسية. إذا كانت فلسطين قد شغلت العالم، فذلك لأن الحقيقة هي التي اغتصبت فيها قبل الأرض. أو قل إن ما اغتصب فيها: إنه مفهوم الحق والعدل. المفهوم الاخلاقي الانساني الذي يمسك الكون والذي جرى انتهاكه بشكل صارخ منذ مجزرة دير ياسين عام 1948 وما تلاها من قيام دولة الاحتلال وتوالت الانتهاكات الصهيو أنجلو أمريكية منذ ذلك التاريخ وحتى اللحظة القائمة فان ذلك يؤدي مباشرة إلى اختلال العالم..من هنا خطورة المسألة الفلسطينية وديمومتها.[1]

وعلى هذا النهج الفلسفي ذاته كرس عبد الوهاب المسيري الكثير من دراساته العميقة ليس للدفاع فقط عن الحق التاريخي والوجودي لشعب فلسطين في ارضه وانما ايضا البرهنة على زيف الدعاوى الصهيونية وتهافت اضاليلها، وقد اودع في كتابه (اسرار العقل الصهيوني) [2] خلاصة فلسفية من اولوياتها (مسألة الإدراك) بوصفه اشكالاً فلسفياً عميقاً، يحتاج إلى بيان، كما يحتاج إلى دراسة وتحليل معمقين من خلال حالات واقعية سبراً لأغواره واستقصاءً لتحليلاته، وذلك للوصول إلى الغاية الأساسية من المعرفة وهي إدراك أنفسنا إزاء الآخر، كما تستوجب دراسة هذا المشكل تجريد كل أدوات النقد تجنباً للوقوع في مزالق تحويل الآخر لما نريد أن يكون عليه لا كما هو في الواقع. ولقد أتاحت الصهيونية بوصفها شبكة من العلاقات الإدراكية حالة مثالية لفهم الصلة بين الذات والآخر، ولفهم مآلات الصلة بين الإدراك والسلوك كما تجلت في الحركة الصهيونية. وبهذا فالكتاب محاولة عميقة للتنظير؛ لإخراج نماذج قويمة متسلحة بكل أدوات النقد الذاتي لفهم إشكالية الإدراك الإنساني وصلته بالسلوك البشري. وقد سعى لتطبيق ذلك الإطار التحليلي على حالة الحركة الصهيونية.

وإذا كان الدكتور المسيري عبر مؤلفاته التأسيسية يسعى إلى رصد الظاهرة

الصهيونية وتحليلها، فإن كتابه المشار اليه يعد محاولة للتدبّر في المنهجية التي اتخذت لذلك الرصد والتحليل، وتجريد ذلك الكم الهائل من المعارف حول اليهودية والصهيونية، ومحاولة رؤية النسق الذي صاغ نسيج تلك المعارف. لفهم الآخر، ونقد الذات في فهمها للآخر، ثم الارتقاء إلى مرحلة الوعي للنماذج الإدراكية وموقعها في شبكة الإدراك، وصلته بالسلوك الإنساني. فالمسيري هنا يوثق لتلك الرحلة المضنية والشائكة لفهم العقل الصهيوني.

[1]

الصهيونية:

أولا : واجه مصطلح الصهيونية [3]

واجه المصطلح الكثير من الإشكالات الدلالية، فهو أولا لفظ اصطلاحي إستخدمه لاول مرة المفكر اليهودي ناثان برنباوم في في مقالة له نشرهاعام 1890 في مجلة "التحرر الذاتي"، ردا نقديا على التعريف الديني التقليدي للجماعات اليهودية باعتبارها جماعة دينية. وبدلا من هذا التعريف الذي كان سائدا بين اليهود حتى نهاية القرن التاسع عشر تبنى بيرنباوم تعريفا علمانيا يماثل بين القومية والعرق مع استبعاد الجانب الديني تماما ..وأصبحت الصهيونية حسب هذا التعريف بمثابة حركة البعث القومي اليهودي تهدف إلى إنهاء حالة المنفى والشتات وعودة اليهود إلى أرض الأسلاف. وقد ترجمت هذه الأطروحة إلى الشعار العنصري المعروف ..(ارض بلا شعب ..لشعب بلا أرض).

وطبقا لتوصيف ناثان المستحدث للمصطلح في إعتبار الصهيونية "نهضة سياسية لليهود تستهدف عودتهم الجماعية إلى أرض فلسطين، فإن مؤسس الحركة الصهيونية تيودور هرتزل يعرفها بكونها" حركة الشعب اليهودي في طريقه إلى فلسطين."

والمشترك بين هذين التعريفين هو تغييب مقصود للنتيجة الفعلية لعملية تهجير اليهود من" الشتات "إلى فلسطين، لأن تحريك اليهود نحو فلسطين ينتج عنه بالضرورة تهجير الشعب الفلسطيني إلى خارجها. وهذا التغييب إنكار للحق التاريخي والوجودي للشعب الفلسطيني في أرضه، وتزييف للواقع حيث يصور فلسطين على أنها أرض بلا شعب لشعب بلا أرض! وهو المضمون ذاته الذي سيكرسه وعد بلفور عند حديثه عن إعطاء فلسطين لليهود بوصفها وطنا قوميا لهم، حيث تم نعت الشعب الفلسطيني داخل نص الوعد بالجماعات غير اليهودية ولم تتم تسميته بالشعب الفلسطيني!

ثانيا ـ تستمد الصهيونية وجودها وحيويتها وقوتها حسب بن غوريون من مصدر عميق عاطفي دائم مستقل عن الزمان والمكان.. وقديم قدم الشعب اليهودي ..هذا المصدر هو الوعد الإلهي والأمل بالعودة في التوحيد والتحرير ومن ثم قيام قومية يهودية.

ثالثا ـ اما أهدافها فهي ذات جانبين : ديني وسياسي :

أ ـ دينياً إثارة الحماس الديني بين أفراد اليهود في جميع أنحاء العالم، لعودتهم إلى أرض الميعاد المزعومة أرض فلسطين.

ب ـ حث سائر اليهود على التمسك بالتعاليم الدينية والعبادات والشعائر اليهودية والالتزام بأحكام الشريعة اليهودية.

ج ـ إثارة الروح القتالية بين اليهود، والعصبية الدينية والقومية للتصدي للأديان والأمم والشعوب الأخرى

د ـ وسياسياً محاولة تهويد فلسطين أي جعلها يهودية داخلياً وذلك بتشجيع اليهود في جميع أنحاء العالم على الهجرة إلى فلسطين وتنظيم هجرتهم وتمويلها، وتأمين وسائل الاستقرار النفسي والوظيفي والسكني وذلك بإقامة المستوطنات داخل أرض فلسطين وتوطيد الكيان اليهودي الناشئ في فلسطين سياسياً واقتصادياً وعسكرياً.

هـ ـ تدويل الكيان الاسرائيلي في فلسطين عالمياً، وذلك بانتزاع اعتراف اكثر دول العالم بوجود دولة إسرائيل في فلسطين وشرعيتها وضمان تحقيق الحماية الدوليه لها، وفرضها على العالم. وعلى المسلمين على وجه الخصوص.

و ـ متابعة وتنفيذ المخططات اليهودية العالم السياسية والاقتصادية، خطوة بخطوة، ووضع الوسائل الكفيلة بالتنفيذ السريع والدقيق لهذه المخططات، ثم التهيئة لها إعلاميا وتمويلها اقتصاديا، ودعمها سياسياً.

ز ـ توحيد وتنظيم جهود اليهود في جميع العالم أفراد وجماعات ومؤسسات ومنظمات، وتحريك العملاء والمأجورين عند الحاجة لخدمة اليهود وتحقيق مصالحهم ومخططاتهم

[2]

منذ نهايات القرن التاسع عشر وحتى اللحظة القائمة والوطن العربي وضع في سُلَّمَ أولويات الخطط الصهيونية والقوى الاستعمارية، فيما انتقل النشاط الإمبريالي العالمي – خلال النصف الثاني من القرن العشرين – إلى مرحلة توسيع خارطة المشروع الاستيطاني في فلسطين ليشمل مجالَ الحُلُم الصهيوني: ("من النيل إلى الفرات تمتد أرضك يا

إسرائيل")؛ فما فلسطين إلا لوحةُ القفز إلى جغرافية الحلم الصهيوني، إنطلاقا من «منظومة الخرافات التلمودية»، وتأويلات العقل الصهيوني، بتحويل «الفكرة» إلى «واقعة» مكانية ثم (حركة مسلحة)؛ تمهيدا لتشييد الدولة المنتظرة؛ حفاظا على الهوية اليهودية «النوّاة الحية» الحاملة للحياة، ولقانون البقاء والتطور .

وعلى أساس منطق القوة الغاشمة جرى تفسير الوقائع التاريخية، وفق اساطير التلمود من أن الجماعات اليهودية حققت أعظمَ إنجازَين في تاريخها وهما "

الأول: الانعتاق من مصر. الثاني: العودة من بابل .

وإذا كان الأجداد الشجعان قد أنجزوا هذين الخَلاَصَين، فإن الاحفاد من الأجيال اللاحقة مطالبون بالإصرار العنيد على التقدم إلى الأمام، لإنهاء عذاب الاغتراب وتحطيم قيود المَنفَى؛ وصولا إلى الخلاص الثالث. الذي يَضَعُ على كل يهودي على سطح الكوكب الأرضي، مسؤولية أخلاقية وواجبا قوميا وهما؛

1 ــ التَّفَاني في الدفاع عن حق اليهود في (أرض الميعاد)،

2 ــ التكافل الجمعي لتنفيذ الوعد الإلهي، الذي يتطلب؛ جهدا خلاَّقا، وفكرا منظما، وإرادة حازمة، وبغير هذه الهِمَّة العالية، سيبقى شعب الله المختار مجرد هوامشَ سُكَّانِيةً منبوذةً، لاهَوِيَّةَ لها، ولا معنى لوجودها، كما التائهين بين غُربةِ المنافي وجُحُور الجِيتُو (Ghetto).

أن ينتهي التِّيهُ، ويعود الغرباء إلى الأرض المقدسة؛؛ يتعين أن يصير كل اليهود في العالم (واحدا) ! تلك هي رسالة الصهيونية في نهاية القرن التاسع عشر، كما يراها ويدعو إليها المفكر الصهيوني «موسى هس».[4] ومن أجل أن تتواصل جدلية الفكرة والحركة، والحلم والعمل، لابد أن يؤمن اليهود؛ بأنهم «شعب الله المختار» الذي حافظ على عهد الرب، منذ أن دُمِّرَت مملكة يهوذا، وجرى سَبيُ وتشريدُ شعبها من أرض الميعاد؛ لذلك "ليس ثمة من قوة بوسعها محو صفاتنا اليهودية.. (نحن أمةٌ روحية)، هذه هي العقيدة التي يجب أن ننادي بها"، والتي تعني «العودة»، ولكن لماذا؟ لماذا الهجرة؟!

إنها تعني: «العودة إلى الذات»، والفوز بأرض الأسلاف المقدسة، والعيش سويا «المهاجرون والمقيمون»؛ لكي تزدهر الحياة مرة أخرى! ولإنجاز هذا الحلم القومي؛ يتوجب على «المحسنين اليهود» ألاَّ يتأخروا إذا أرادوا أن يساعدوا إخوتهم التعساء، بل يبادروا إلى «شراء الأراضي»، والسماح لليهود بأن يسكنوها لبدء «حياة جديدة»، يجب أن يكون الحدث الوحيد بين أولئك الذين يحبون إخوتهم هو فكرة «توطين اليهود» في أرض

إسرائيل. دعونا الآن ألاَّ نبقى هادئين – في دَعةٍ وسَكينة– من أجل حركة الاستيطان في صهيون إلى أن يبزغ ضوء الفجر وتبدأ جراحنا بالالتئام؟!

[3]

ووفقا لرسالة اليعازر بن يهوذا[5] التي بعث بها إلى مجلة «الفجر» عام 1880: "... دعنا نعمل على زيادة عدد اليهود في أرضنا المهجورة؛ وإحياء اللغة لا يتم إلا بعد إحياء الأمة.. وبما أن العاطفة تحرّك قلب الإنسان أكثر من العقل؛ فلنخاطب أفئدة اليهود وندعوهم لاستعمار أرض أجدادهم التي تنتظرهم."..

أما موشيه لايب [6] الداعية الصهيوني، الذي كتب عام 1881 في يومياته «طريق العودة»، فإنه يلوم نفسه بسبب انقطاعه عن المشاركة بما شعر به أجداده طيلة أيام حياتهم، ويعبر عن سروره لأن الفرصة واتته أخيرا للتعويض عما فاته: "الأمة كَكُلٍّ أعزُّ علينا من كل الفروقات حَول التديّنُّ المتزمت أو التساهل الليبرالي في مراعاة شعائرنا.. حين تصبح الأمة شُغلَنَا الشاغل، تَزُول كل الشِّيَع والفِرَق، فلا مُجَدِّدُون ولا مُحافِظُون، ولا مُتَدَيِّنُون أو هراطقة.. بل كُلُّنا يجب أن يعمل في سبيل صهيون."...

وبالمنهج «التعبوي» نفسه يخاطب ليوبنسكر[7] اليهودَ في العالم، فيَحُثُّهم على وجوب الاستقلال الذاتي والإقليمي، بوصف اليهود –على حد قوله–"ضيوفا في كل مكان، وليسوا أصحاب منزل خاص بهم"، الأمر الذي يَقضي العمل على إذكاء الوعي بكل مستوياته الروحية والقومية.. وإن مثل هذا الوعي لابد أن يَتَطَابق مع الضرورة اليهودية التي تحتم إيجاد وطن لليهود.؟!

فالمسألة اليهودية التي ظل حَلُّها عسيرا كـ«تربيع الدائرة» لابد أن تجد منفذا لوضع نهاية للمأساة الروحية.. الحل: هو أن يصبح اليهود «أمة».. والأمة لها «وطن».. والأرض هي «فلسطين..«

وعليه لابد أن نَتَخلَّى عن المُجادلات العقيمة التي هي مَضيَعةٌ للوقت والطاقة معا؛ إذ لا يمكن مجابهة الكُرهِ والتحامل والنوايا السيئة ضدنا، بمنطق العقل وحده مهما كان قويا، بل يَتعَّين وضع هذه القوى الشريرة في حدودٍ قويةٍ مادية، أو يتم إهمالها كأي قوةٍ طبيعيةٍ عمياء، يجب علينا أن نأخذ بالحسبان أمورا أخرى ذات أهمية تمنع اندماج اليهود أو مساواتهم مع الشعوب الأخرى.

العداء الطبيعي هذا هو أساس المشاكل كلها، وجوهر سوء التفاهم، والإتهامات الباطلة والصحيحة بين الطرفين المتناحرين؛ فبدلا من أن نفكر منطقيا في المشكلة، وأن

نتصرف بطريقة عاقلة، فثمة من يصنعون أملهم في –العدالة الأبدية–ويعتقدون بسذاجة أن تَمَسُّكَهم بهذه المثالية المفرطة، سيوفر لهم نتائج مطمئنة.. يجب ألاَّ نحاول شرحَ «أمور الدنيا» وفقا لـ «المُثُل العليا»، بل يتعين أن يكون «التعليل البرهاني» نهجا في بسط الحقائق للوصول إلى استخلاصات عملية ..

إن أعظم كارثة حَلَّت باليهودية هو أننا «لسنا أمة» إنما (نحن يهود فقط)؛ إننا مَحضُ «قطيع» منتشر في أرجاء المعمورة دونما «راع» يحمينا ويجمع شتاتنا؛ أما في أحسن الظروف، فقد نصل إلى مرتبة «الماعز» –حسب التقليد الروسي–تَبيتُ في إسطبلات الخيل..

ما زلنا نعيش في هذا العصر تحت ظل التَّعَسُّف الذي أنزلوه بنا، إننا نفتقد «احترام الذات»، ونفتقد أيضا «الشعور بالعزة» الإنسانية التي استُلِبَت منا؛ لا يمكن تبرير القول بأن ندع مصيرنا في أيدي الغير، كما أنه ليس ثمة من مُبرر قط لأنْ نلوم أحدا على مَصَائِبنا؛ يجب أن نبحث عن «شرفنا وخلاصنا» بإحياء روابط الوحدة القومية .".

منطق العمل :

[1]

وإذا كان «المشروع الصهيوني» قد تقلب على صفحات «التنظيرات الأيديولوجية» بمستوياته التاريخية والمعرفية والسياسية، فإن ثيودور هرتزل [8] أنزل الافكار النظرية من الافق الميتافيزيائي إلى التداول اليومي، فالعقل العملي الوظيفي هو وحده القادر على تصميم مكان وزمان «الدولة المنتظرة»، وفي توصيف منطق الحركة، الذي ينقل الحلم إلى أرض الواقع؛ وهو ما أقدم عليه هرتزل فعلا، بعد أن تمكن في المؤتمر الصهيوني الأول المنعقد عام (1897) أن ينقل «الفكريات» العامة إلى «آليات» عمل سياسية، وتعيين موقع الخطوات اللاحقة. فالدولة التي يدعو إلى إقامتها، لم تعد فكرة خيالية أو ضربا من «اليوتوبيا» يتعذر الشروع في تحقيقها –على حد قوله– لكنها خطة مُحكمة تتطلب قوى هادفة، وجهدا مثابرا؛ لذلك فإن هرتزل آثر أن يضع أمام «مؤتمر بازل»، لوحة عمل لا تزيد عن مجموعة من «البراغي والعجلات» للدولة المقترحة. من حيث؛ الاولويات العاجلة، الإجراءات الاساسية، توقيتات الحركة. لتنتظم كلها في تحديد ملامح البناء المنتظر.

إنتظار السوبرمان الذي بشر به الحاخام صموئيل موهيليفر[9] بإقتراب الخلاص الإلهي بعودة «الماشيح »، الذي سوف يجمع شمل اليهود في فلسطين.،فيما قلب العقل

السياسي الصهيوني نظرية الإنتظار الميتافيزيائي على عقبيها، فبدلا من مكابدات الامل وأشواق الترقب، للمخلص الذي لم يأت ولن يأتي، ينبغي أن يتجه اليهود إلى العمل الإجرائي، ليشقوا بعقولهم وسواعدهم طريق العودة تحت مبدأ (هيا إلى العمل). وهو الأثر العملي لمبادرة «هرتزل» التي ألزم بها اليهود أن يباشروا الانتقال من دائرة «التُّحفِيَّات» و«الأحلام العائمة» إلى ساحات العمل، بشتى مستوياته السياسية والثقافية والإعلامية والتربوية؛ باعتبار أن مقترح «الدولة» هو الحل الوحيد لإقامة «الوطن القومي»، ويتعين أن يكون الغاية الأولى.

إثر ذلك التقى ماكس نوردو[10] هرتزل ومدَّ يده قائلا: "إن كنت أنت مجنوناً فأنا كذلك أيضا"، تعبيرا عن إعجابه وتأثره، وهو يصف مخطوطة هرتزل عن «الدولة اليهودية»: بـ"العمل العظيم، والنبوءة الكبرى." ثم ما لبث أن انضم الدكتور نوردو إلى صف مؤسس الصهيونية الحديثة ليصبح مساعده الأيمن، وأقرب مستشاريه وأكثرهم حماسة وإخلاصا لدعوته؛ وكان من بين أهم خطوات نوردو التأسيسية أن حول (الفكرة) إلى .«حركة»: و شرع بتنفيذ مشروع هرتزل، بالدعوة إلى القيام بعمل حاسم يمهد الطريق لإقامة «دولة يهودية»، وليس مجرد «وطن قومي» يهودي في فلسطين، فراح يطالب بتحقيق «هجرة جماعية» على نطاق واسع، واقترح أن يكون قوام الوجبة الأولى نصف مليون يهودي؛ لكي تصبح فلسطين يهودية بالفعل ..

[2]

خرج المشروع الصهيوني من قاعة مؤتمر بازل، ومن النصوص السياسية الجافة إلى مملكة الادب، ليصبح أغنية غاضبة، ونشيدا مفعما بالحماسة والامل، بعد أن بادر الشاعر حاييم نخمن بيالك [11] بإعلان الثورة على الشتات وعلى حياة المنفى يقول بيالك في كتابه «صحراء الموت»: "إن «رقعة النار» التي أوقد شرارتها هرتزل لابد أن تتسع لتصبح صوتا للنهضة؛ فلئن كانت «أخبار الأيام» الأول والثاني، آخر ما أنزل من الكتاب في تاريخ اليهودية، فإن دواعي المرحلة الراهنة تحض على كتابة جزء ثالث، يُدَشِّن أياما جديدة أخرى، وربما يكون هذا الجزء هو أهم من الجزأين الأولين؛ لأنه سيكون «جزء العمل» الذي سوف يبدأ بدون شك بـ«وعد بلفور»، وينتهي بتوراة جديدة «توراة الخلاص لعموم اليهود في العالم.«

[3]

وإذا كان «العمل» هو التعبير التطبيقي لفلسفة «الحركة»، إذْ لم يَعُد مُمكنا في رأي الروائي الروسي جوزيف بيرديشفسكي [12] الجَمعُ بين «السيف والكتاب»: "فاللحظة الراهنة تدعو أن يكون السيف صاحب القول الفصل..!! هذا الزمن هو زمن الشدة، زمن الحياة في معناها الجوهري، والكلمة ليست أكثر من ظل للحياة في شيخوختها، أما السيف فهو تجسيد لحرارة الحياة في أعرض خطوطها المادية والجوهرية.." وبلغة شعرية متأججة؛ يواصل الروائي الصهيوني نصوص «التعبئة الوجدانية» إزاء مقابلات: بين «ما كان، وماهو كائن، وما ينبغي أن يكون:«

"السيف ولاشيئ غيره، عبادة القوة، تلك هي اللحظة النيتشوية الخالقة، لحظة الإنفلات من الزمن المقهور، لكنها لن تحدث، ولن تكون مواتية، ولن يحدث الخلاص اليهودي، ما لم تتم المصالحة الحقيقية؛ الشعب والطبيعة سويًا، بالفعل المبتكر، الذي يُعلي الإنسان: مصدرِ النبع في الخلق والإبداع؛ لإقامة «النموذج اليهودي» الذي يستطيع أن يحيا ويصمد في المستقبل؟! وينضم جوزيف حاييم بريز[13] إلى موكب «العمل» مكرِّسا أعماله الأدبيةَ والروائيةَ لما يُسَمِّيه «النهضة»، فيقول: "علينا أن نبدأ، أن نُرسِي حجرا فوق حجر.. ولكن مَنْ سيُقدِم على ذلك؟! هذا هو السؤال؟ ...!

لكي نتغيَّر كما يجب، نحتاج إلى مجتمع.. ولكي نَخلُقَ هذا المجتمع، علينا أن نبدأ بأنفسنا؛ نغير أنفسنا تغييرا جذريا""؟! متى نبدأ ؟! كيف ؟! وأين ؟!

إلتقط الزعيم العمالي بيرل كاتز نيلسون [14] الاسئلة الحائرة من بين صفوف الشغيلة اليهودية، فبدأ في إعداد برنامجٍ ثقافي لتأهيل الحركة العُمَّالية: للتعبئة تجاه البحث عن الاجوبة الشافية، أيّ تحقيق أهداف المؤتمر الصهيوني الأول، فساعد في عام 1930 على تأسيس حزب (الماباي) الحالي، وأقنع «بن جوريون» بالموافقة على تشكيل لجنة «الهاجاناه» [15] لشؤون الهجرة، التي لعبت دورا فاشيا مزدوجا؛ في ترحيل يهود أوروبا إلى فلسطين.وفي ذبح وتقتيل الشعب العربي الفلسطيني وإقتلاعه من أرضه.

[4]

علينا أن نتذكّر ألاَّ شئ يحدث عبثا أو مصادفة، أو ردة فعل مجتزأة عن العقيدة «الثيوسياسية»؛ فخريطة الأساطير التلمودية، لتآكل الإنسان وقضم الارض، نجد صداها في الأيديولوجيا الصهيونية العلمانية؛ توثقها ذرائعية ثنائية، تستوي على سطحها الاضداد دون مغالبة أو صراع، نجدها آية بيّنة، في وحدة «الحاخام» و«الليبرالي»، فكلاهما يؤمن بـ«أبدية إسرائيل»، ويدافع عن الهجرة، ويَحُثُّ على استمرار التدفق اليهودي، ويُنكرُ حق

عودة الشعب الفلسطيني إلى أرضه، ويواصلان بصوت واحد؛ موعظة الحرب، على طريقة مُنَظِّر الإرهاب الصهيوني؛ مناحيم بيجين[16] «أنا أقتل إذن أنا موجود!«

بهذا المنطق التَّعبَوِيِّ الصارم، وبهذه الصلابة الرومانسية أيضا، طَبَّقَ العقل الصهيوني مشروع «الأيديولوجيا والأساطير»: مشروعَ التكامل بين الاضداد: [17]

استراتيجية العقل الصهيوني

[1]

المجال الحيوي للصهيونية تجاه الوطن العربي الذي صممت أهدافه ومنطق حركته العملية، يمتد (من اقصى نقطة في المغرب إلى الخليج العربي)، ويهدف إلى ضرب أية قوة عربية ناهضة من شأنها أن تخلق أداة هجومية ضاربة أو تشكل في الأقل منظومة حماية مستمكنة). مثل هذا المجال الذي اعتمدته الصهيونية وعملت على تحقيقه منذ مؤتمرها الأول في عام 1897، تحت شعار عودة الشعب إلى الأرض [18] واقامة "الدولة"، وبالتالي فرض السيطرة على الأقطار العربية، تليها مرحلة قيام مشروع (تمتد ارشط يإسرائيل من من النيل إلى الفرات) !!. وقد إستشرف العقل الصهيوني طبيعة التحديات المستقبلية المحتملة التي ستواجه مشروعه لبناء دولة يهودية كبرى، مهيمنة في المنطقة واعد لها السبل والوسائل التي يعتقد أنها متاحة وكفيلة، إذا ما أحسن استخدامها، للتغلب على كل ما يواجهه منطق العمل من تحديات. لذلك وضع العقل الصهيوني كل هذه الإحتمالات، في خطة عمل، أطلق عليها (استراتيجية من أجل إسرائيل في الثمانينات) وتنطوي على خطين أساسيين، هما: [19]

الأول: رؤية الحركة الصهيونية لبنية المنطقة المحيطة بها على الأصعدة والمستويات كافة، خصوصاً الديموغرافية والاجتماعية والثقافية. حيث ترى الحركة الصهيونية أن الوطن العربي، بشرقه وغربه وشماله وجنوبه، لا يشكل كتلة واحدة متجانسة إثنيا أو دينيا أو اجتماعيا، وإنما منطقة شديدة التنوع تتكون من «موزاييك» من دول تتصارع في داخلها قبائل وطوائف وأقليات قومية وعرقية ودينية ومذهبية وغيرها، وأن الوحدات القائمة حاليا والتي يطلق عليها اسم «الدول العربية» صنعتها مصادفات تاريخية وسياسية نجمت عن محصلة التفاعل بين أطماع وطموحات قوى ومصالح خارجية (الاستعمار التقليدي الذي ورث الامبراطورية العثمانية) وداخلية (القبائل والعشائر والحركات السياسية والاجتماعية)، كما ترى الحركة أن هذه الوحدات ليست قابلة للدوام بوضعها الحالي ويمكن بالتالي، بل يسهل، تفكيك وإعادة تركيب المنطقة على أسس

جديدة مختلفة.

الثاني: رؤية الحركة الصهيونية لأمن الدولة اليهودية وللوسائل التي تعتقد أنها كفيلة بتحقيق هذا الأمن على نحو مطلق، والذي هو غايتها النهائية.

لذلك تؤمن الحركة الصهيونية بأن أمن إسرائيل لا يتحقق من خلال التفوق العسكري وحده، رغم أهميته القصوى، ومن ثم فإن الحاجة ماسة لتفكير استراتيجي جديد ومختلف. ووفقا لهذا التفكير يتعين على الحركة الصهيونية أن لا تسمح بقيام أو استمرار وجود أي دولة مركزية كبرى في المنطقة وأن تعمل كل ما في وسعها لتفتيت ما هو قائم منها وتحويله إلى كيانات صغيرة تقوم على أسس طائفية أو عرقية. فإذا نجحت في ذلك تكون ضربت عصفورين بحجر واحد، الأول: أن تتحول إسرائيل نفسها إلى دولة طبيعية تقوم على أسس لا تختلف عن بقية الدول المجاورة، والثاني: أن تصبح إسرائيل هي الدولة الأكبر والأقوى والأكثر تقدما وبالتالي تأهيلا وقدرة على قيادة المنطقة والسيطرة على تفاعلاتها، وهو ما يمكن أن يسمح لها بأن تلعب دور ضابط الإيقاع الذي يتولى تنظيم وضبط علاقات المنطقة وفق رؤاها ومصالحها الخاصة. والمشروع الصهيوني القائم على الحدود المفتوحة، بإسم (إسرائيل الكبرى)، يلتقي في مقدماته الاساسية مع إستراتيجية ولاية الفقيه التي يتسع مجالها الجغرافي، لإبتلاع العالم الإسلامي برمته، "من اندونيسيا حتى المغرب" بزعم إحياء خارطة الدولة الإسلامية في عصورها الزاهرة. [20]

[2]

من البديهات والمشهورات أن إسرائيل ومنذ قيامها وحتى لحظة حرب طوفان الاقصى 2003 تواصل مشروعها الإستراتيجي القائم على ثنائية ضم الارض وضمان الامن. ولم تكف أو تتوقف عن إرتكاب جرائمها اليومية في إستلاب حقوق الشعب الفلسطيني، مع إصرارها على تهديداتها العدوانية الدائمة لأقطار الوطن العربي، تفيد المؤشرات أن "إسرائيل" بدعم الولايات المتحدة ومساندة حلف الناتو ماضية في تنمية قدراتها العسكرية الذاتية وتطوير صناعاتها الحربية بصورة مستمرة، بل وتعد صناعات التسليح القطاع الأوسع، في تل ابيب اليوم [21].

وفي العودة إلى التاريخ القريب، فإن اختراق أمن الوطن العربي، على النحو الذي يضمن فرض مبدأ السيطرة يقضي بالضرورة مباشرة الصراع مع مركز القوة العربية في المنطقة المتمثل بـ(العراق) فالصهيونية تذهب إلى أن التهديد الحقيقي لـ(إسرائيل) يكمن في العراق، لأن قوته العسكرية لا تضعفها القيود السياسية بينه وبين الأقطار العربية الآخرى،

وأن العراق بلد "متزمت" تجاه "إسرائيل".. فلم يعترف العراقيون منذ البداية بمزاعم الصهيونية في قيام الكيان الإستعماري، وأنهم قادرون وبسرعة على إرسال قواتهم لمحاربة "إسرائيل"، وقد شارك العراق في جميع الحروب والمعارك العربية ضد الكيان الصهيوني، وقد أكدت الوقائع إيمان الجيش العراقي وتفانيه في القتال من أجل فلسطين [22] كما اثبتت حرب الثماني سنوات قوة وصلابة العسكرية العراقية وتفاني مقاتليها في أداء الواجب الوطني والقومي، وحسن استخدامهم للوسائل العلمية وتقنياتها، وهو الامر الذي أفزع الصهاينة وجعلهم يؤكدون مخاوفهم من قوة المتنامية.

ملاحظات :

1 ـ ترى هل يدرك النظام العربي في الزمن الضائع ماهية التحديات، وحجم المخاطر، التي تواجه العرب في الديار والامصار عبر بوابات الجحيم في الارض والانهار، التي تحتم عليه الخروج من قوقعة الخلافات البينية البائسة إلى البحث عن نقطة البداية ؟.. للشروع منها إلى بناء تضامن مصيري تنتظم فيه بلداننا المبعثرة، دفاعا عن الذات المقهورة تحت وطأة الصغائر والانانية والأوهام.

وهل بوسع النظام العربي أن يدرك بأن الثابت في عالمنا المتغير هو المقاومة نطفة النبل الطهور في عصر الإنحطاط لأمة مطحونة بهموم الخبز وإنعدام الحرية ؟ فلم يعد أمام بنيها وفتيتها إلا عبور منطقة الخيبة والضمور والتراخي، نحو ضفة الوجود الاخرى، ضفة المقاومة، والإنضمام إلى المستقبل، على خط النهضة والوحدة والامل، وعلى الدرب ذاته المتجه للغد من العراق إلى فلسطين.

2 ـ بعيدا عن هواجس المؤامرة، التي تلقي بمسؤوليتها دائما على عدو متربص أو قوى خارجية، ليس لديها ما يشغلها سوى وضع الخطط تلو الأخرى للتآمر على العرب والمسلمين والعمل على إضعافهم وإخضاعهم.. وبعيدا أيضا عن منطق القصور الذاتي الذي يلقي باللائمة على التناقضات الذاتية الكامنة في بنية النظم العربية والإسلامية نفسها. بعيدا عن كلا المدرستين، وفي منأى عن النتائج المسبقة مع أو ضد، هذه محاولة لعرض الوقائع وتحليل النصوص وهي في كل الظروف والاحوال وجهة نظر شخصية قد تخطئ قبل أن تصيب. ولازال كاتب هذه السطور يثق بالمستقبل،

3 ـ إن الفلسطيني سيظل يطارد اسرائيل، ماديا وسياسيا وأخلاقيا ونفسيا وعسكريا، وهو وحده الذي سيضع النهاية الحتمية لدولة الاسلحة والاساطير. مثلما سيبقى النضال المصيري المقاوم الذي تخوضه غزة الباسلة منذ السابع من اكتوبر 2023 هو الكفيل

بوضع النتائج النهائية التي تفصل بين التصورات والوقائع، وهو الذي سيوحد على جبهات الحرية المسافة بين الكلمة والفعل .

4 ـ لعل حرب طوفان الاقصى في شهرها الرابع وهي الحرب الاطول في تاريخ الصراع الفلسطيني الصصهيوني ولعل المئة الف شهيد وجريح توقظ عقول وأفئدة بعض المثقفين العرب الذين انساقوا وراء أوهام التطبيع والتسوية ومنتديات «السلام الإسرائيلي» تحت اسطورة ما بعد الحداثة وأوهام الليبرالية الأمريكية، والمملكة الابراهيمية ولو أنهم أعادوا قراءة الأدبيات الصهيونية –بالحماسة ذاتها التي أقبلوا عليها وتبنيهم شعارات خارطة الطريق–لأدركوا المسافة المستحبلة بين القول والعمل، وسيكتشفون وان بعد حين التناقض المريع بين الشعار والسلوك، فالمجازر البربرية التي نفذها جيش العدو الإسرائيلي منذ السابع من اكتوبر 2023 وحتى لحطة تدوين عذه السطور وما سبقها من محازر دموبة ضد شعبنا العربي في الارض المحتلة طوال العقود الستة الماضية، وما أقدم عليه المستوطنون من تطهير عنصري بمؤازرة جيش الاحتلال منذ قيام دولتها الاستيطانية حتى اليوم؛ والحملات الوحشية تجاه قطاع غزة والضفة الغربية، التي امتد أذاها إلى الأراضي المحتلة كلها، هذه المشاهد الدموية التي تنفذها الكيان الاستيطاني كانت كافية لأن تثير قلق الليبرالية العربية الجديدة، الداعية إلى تبني مشروع السلام الأمريكي، ومن الثابت أن «يوميات الدم» في غزة، 2008–2009، 2011 – 2918 ومشاهد الضحايا ومواكب الشهداء في هذه المدينة الباسلة، تضع بين أيدي العالم كله وثيقة لائحة عار تضاف إلى رصيد الجرائم المتراكمة، وان الذي يجري في الارض المحتلة هو انتقال «الدولة التلمودية» إلى مرحلة «الخلاص الرابع»، التي تعني ضم ضفتي نهريْ النيل والفرات، أو بعبارة القاموس السياسي الأمريكي المعاصر «الشرق الأوسط»؛ لذلك فإن سياسة التهويد العسكري المستمر في غزة والضفة، ليس له إلا معنى واحد وهو تطهير الأرض المقدسة من الأغيار، وأنها الصفحة ما قبل الأخيرة من المشروع الصهيوني.

ومن هنا فإن الغاية من الحملات الدموية التي تدور رحاها في فلسطين، هي الإبادة الشاملة، التي لا تُبقي ولا تَذَر، إستئصالا لكل جذر عربي في هذه الأرض .

5 ـ وانطلاقا من البديهيات العامة، والمشهورات المتداولة في منطق الصراع، يحتم على قوى الثورة والمقاومة أن تتوخى الحذر –وهي تخوض نضالها الوطني–من مغبة تحويل الصراع من جبهة التناقضات الأساسية، إلى جبهة السواقي الصغيرة، أو الوقوع في فخ النزاعات الحزبية الذميمة، وكان حريا بقادة الضفة والقطاع أن لا ينصرف اهتمام أيٍّ

فصيل من فصائلهم عن بؤرة الاهتمام المركزية وهو «العدو الصهيوني» و«الدولة الاستيطانية»، قبل أن يرفع أيٌّ منهما يده بوجه الآخر؛ إذ المعركة مع العدو معركة وجود، تتعدى الخلافات الهامشية بين أبناء البيت الفلسطيني الواحد .

وإن خيار الوطن الأول والنهائي هو الفعل المقاوم، الذي وحده من يعيد للشعب الفلسطيني وحدته، ويجدد عزم بنيه على استمرار الانتفاضة وتواصل نضالها الوطني

الهوامش والتعليقات

[1] هاشم صالح: قلسطين كمشكلة فلسفية. شبكة آفاق فلسفية. 29 -9 - 2019

[2] الدكتور عبد الوهاب المسيري : اسرار العقل الصهيوني ص 3 – 12. دار الحسام للنشر بيروت 1997

[3] حول الصهيونية : تاريخ التشأة والتطور راجع :

ـ الفكرة الصهيونية، "النصوص الاساسية"، منظمة التحرير الفلسطينية،" مركز البحوث"، بيروت. 1970، ص18-25

ـ الدكتور أسعد رزق، إسرائيل الكبرى، بيروت.1968، ص 22

ـ جون روز: أساطير الصهيونية. ترجمة الدكتور قاسم عبدة قاسم القاهرة، 2006 ص12 ومايليها [4]

ــ موسى هس (1812- 1875) مفكر اجتماعي ألماني وصهيوني، ولد في بون، اهتم بدراسة الفلسفة، والعهد الجديد منذ شبابه، درس في جامعة بون منذ سنة 1835م، وكان كارل ماركس طالباً فيها، وخضع لتأثير روسو وسبينوزا، وتبنى الكثير من أفكارهما في كتابه الأول الذي صدر بدون اسم المؤلف وهو ("تاريخ الإنسانية المقدس إعلان للحرية باسم الروح القدس) وفي سن الثامنة والعشرين تصور هس نفسه بأنه يسعى لدور عظيم في تحرير الإنسان سياسياً، وبرزت أفكاره الاشتراكية، عمل سنة 1842-1843م كمراسل لصحيفة "راينيشيه تزايتونغ" المتطرفة التي يرأس تحريرها ماركس. اشترك في الثورة الألمانية سنة 1848م وحكم عليه بالموت، وما لبث أن انفصل عن ماركس وإنجلز بعد صدور البيان الشيوعي، وكان ماركس ينعته بالساذج، بينما ينعته الصحافي الألماني اليساري أرنولد روغه مازحاً بـ"الحاخام الأحمر". عاد إلى ألمانيا عام 1861م بعد إعلان العفو السياسي، وكانت توبته عن حياته الماضية في كتابه (روما والقدس) سنة 1862م الذي ضمنه آراءه حول الواقع اليهودي، هذه الاراء التي شكلت إحدى أهم ركائز الحركة الصهيونية لاحقاً على أساس توطين اليهود في فلسطين.. اشترك في مشروع المدرسة الزراعية قرب يافا، وتوفي سنة 1875.

راجع : الفكرة الصهيونية : النصوص الأساسية. إشراف أنيس الصايغ ـ ترجمة لطفي العابد وموسى عنز؛ تعريف أسعد رزوق؛ مراجعة هلدا شعبان صايغ وإبراهيم العابد. ص43 وانظر مجدي كامل: زعماء صهيون. القاهرة 2008 ح 13

[5] ــ اليعازر بن يهوذا)1858-1923) هو اليعازر اسحق برلمان. ولد في لوشكي – ليطا.، كتب أول

مقال له تحت عنوان (سؤال صعب) في جريدة (هشاحار)، تطرق فيه إلى (الوطن التاريخي لليهود – أرض اسرائيل.- وأظهر اهتماماً كبيراً في إحياء اللغة العبرية من خلال الصحف والمجلات التي أصدرها، حيث جدد وأوجد كلمات كثيرة لم تكن موجودة في اللغة العبرية. والاسلوب الذي أدخله بن يهودا كان مختلفاً عن عبرية التوراة والكتب الدينية اليهودية المختلفة، ونهج البساطة والملاءمة للعصر ولاحتياجات الناس اليومية. وضع قاموس حديث بالعبرية، وأسس (لجنة اللغة العبرية) التي أصبحت مع الزمن (أكاديمية اللغة العبرية)، وضغط بن يهودا مع مناحيم اوسيشكين على المندوب السامي البريطاني هربرت صموئيل ليعلن أن اللغة العبرية هي لغة رسمية في فلسطين إلى جانب العربية والانكليزية. توفي العام 1922. مدار بيديا : موسوعة المصطلحات.المركز الفلسطيني للدراسات الاسرائيلية. اليعازر بن يهوذا.

[6] ـ موشيه لايب (1843–1910) الداعية الصهيوني الذي كتب عام 1881 في يومياته «طريق العودة»، يلوم نفسه بسبب انقطاعه عن المشاركة بما شعر به أجداده طيلة أيام حياتهم، ويعبر عن سروره لأن الفرصة واتته أخيرا للتعويض عما فاته: "الأمة كَكُلٍّ أعزٌّ علينا من كل الفروقات حَول التديّنُّ المتزمت أو التساهل الليبرالي في مراعاة شعائرنا.. حين تصبح الأمة شُغلَنَا الشاغل، تَزُول كل الشِّيَع والفِرَق، فلا مُجَدِّدُون ولا مُحافِظُون، ولا مُتَدَيِّنُون أو هراطقة.. بل كُلُّنا يجب أن يعمل في سبيل صهيون."...

[7] ـ ليو بنسكر (1821–1891) طبيب روسي إستيطاني، مؤسس وزعيم حركة أحباء صهيون Hibbat Zion، أصدر كتابه "التحرر الذاتي" بالألمانية Autoemanzipation، حيث دعا إلى إيجاد قومية يهودية تتيح لهم العيش على أرض واحدة محددة، كما دعا إلى إقامة منظمة مركزية، أو شركة مساهمة لشراء الأراضي. كتب عدة مقالات في (راسيفيت) وهي أول مجلة أسبوعية يهودية تصدُر بالروسية (بدأ نشرها عام 1860)،، كما قام بجهود كبيرة كعضو في جمعية تنمية الثقافة بين يهود روسيا.. ألف بالألمانية (كراسة الانعتاق الذاتي: تحذير من يهودي روسي لإخوته 1882) الذي نُشر دون ذكر اسم المؤلف لأنه كان مُوجَّهاً أساساً إلى يهود الغرب. والكراس يأخذ شكلا عاطفيا و تعبويا.

ويُعَدُّ بنسكر مفكراً صهيونياً أكثر من كونه منفذاً للمشروع، وصهيونيته هي من النوع الذي يُطلق عليه «الصهيونية العملية» أي «التسللية»، كما أن أسلوبه وأفكاره يشبهان أفكار وأسلوب هرتزل إلى حدٍّ كبير،

ـ الدكتورأميم محمود. ليو بنسكر لمؤسس الحقيقي للصهيونية السياسية. عمون 25/ 10/ 2020

[8] ـ ثيودور هرتزل (1860–1904) ولد بمدينة بودابست حصل على درجة الدكتوراه في القانون الروماني، من جامعة فيينا، وعمل في المحاماة،، بدأ حياته اندماجياً (أي مؤيداً لحركة الاستنارة "الهسكلا)، وعمل في الصحافة، لكنه تحول للصهيونية عام 1894. وفي فبراير 1896 نشر كتابه ("الدولة اليهودية(" باللغة الألمانية " (محاولة لحل عصري للمسألة اليهودية")، طُبع ونُشر في 5 لغات وتضمن القواعد التي تقوم عليها الصهيونية في صورتها الجديدة، والتي تهدف إلى جمع اليهود في دولة خالصة لهم. ونظر للمسألة اليهودية بوصفها مسألة قومية.

في العام 1897 انتُخب رئيساً للمؤتمر الصهيوني الاول، فرئيساً للمنظمة الصهيونية. وهذا المؤتمر هو الذي أصدر ((برنامج بازل)) الشهير الذي تضمن محاولة الحصول على موافقة دولية على مشروعية الهجرة اليهودية الجماعية لفلسطين لبناء دولة يهودية خالصة. وتوالى هذا المؤتمر في كل عام برئاسة هرتزل؛ مما يؤشر إلى دوره الكبير في نشاط الحركة الصهيونية. ويرتبط اسم هرتزل بمحاولة مخاطبة السلطات العثمانية، والبابوية والسلطات الاستعمارية لتذليل كل العقبات أمام تنفيذ المؤتمرات الصهيونية. وهو صاحب فكرة تحويل الأنظار عن فلسطين وسيناء إلى مستعمرة أوغندا البريطانية، ورُفضت هذه الفكرة من قبل المؤتمرين بشدة. تُوفي هرتزل ببلدة أولاخ في 1904، ثم نُقل رفاته إلى فلسطين المحتلة .

[9] ـ صموئيل موهيليفر (1824–1898) حاخام، من غلاة الصهاينة، وفي مقدمة الدعاة إلى الاستيطان اليهودي في فلسطين، بادر لتأسيس أول جمعية لأحباء صهيون سنة 1882 ثم توالت فروعها في الانتشار، و التفت حول المفكر الصهيوني ليو بنسكر وانتخبته في مؤتمرها الأول عام 1884 رئيساً لها. وتجلى عمل الجمعية في دعم حركة الاستيطان اليهودي في فلسطين وتشجيع الهجرة وإقامة المستوطنات، راجع شبكة مشؤوع الحصن: حوار مع الايهودية. صمويل موهيليفر (1824–1898)

[10] ـ ماكس نوردو (1849–1923) مفكر وسياسي يهودي ألماني، تعرف عليه هرتزل في عام 1892 وفاتحه في فكرة الدولة الصهيونية فوافق عليها وأصبح بعدها ساعد هرتزل الأيمن. ألقى نوردو الخطاب الافتتاحي في المؤتمر الصهيوني الأول عن وضع اليهود في العالم واستمر على هذا المنوال حتى المؤتمر العاشر. ويمكن القول أنه كان الوريث الحقيقي لهرتزل، ومن أهم المساهمين في صياغة الموقف الصهيوني من العرب الفلسطينيين، لكنه على الرغم من ذلك لم يلعب دورا قياديا في الحركة الصهيونية بعد وفاة هرتزل

نادى ماكس نوردو في المؤتمر الصهيوني الذي انعقد في لندن سنة 1920 بضرورة هجرة نصف مليون يهودي من شرق أوروبا إلى فلسطين لدعم الحركة الاستيطانية اليهودية في فلسطين، وليصبح اليهود فيها هم الأغلبية، عندها يمكن تحقيق ما ورد في وعد بلفور. وقد وضع نوردو عددًا من المبادئ الأساسية التي تلقَّفها وطوَّرها فيما بعد زئيف (فلاديمير) جابوتينسكي مؤسس الحركة التصحيحية الصهيونية،

راجع شبكة مشؤوع الحصن: حوار مع الايهودية. ماكس نوردو (1849–1923)

[11] ـ حاييم نخمن بيالك (1873–1934) شاعر القومية الصهيونية ولد ببلدة (رادي) الاوكرانية، يعتبره الصهاينة الشاعر القومي اليهودي، تربى في رحاب (أحياء صهيون)، يصف تصريح بلفور– في حضور بلفور افتتاح الجماعة العبرية بالقدس 1925– بأنه الكتاب الثالث بعد كتابَي أخبار الأيام في التوراة...راجع حاييم نحمان بياليك شبكة هكذا تحدث كوهين.

[12] ـ ميخا جوزيف بيرديشفسكي (1865–1921) من أشهر كُتَّاب القصة والمقال في عصره، حاول في قصصه العديدة، ذات النزعة النيتشوية، أن يجد حلاً لمشكلة الإنسان اليهودي في مواجهة المجتمع. ومعظم أبطاله يحاولون الهرب من هويتهم الضيقة ولكنهم عاجزون عن ذلك، ومن ثم

فإنهم يعانون من الضياع والعقم الجسدي والنفسي. وهو المسؤول عن صياغة فكرة حرب إبادة الجنس للفلسطينيين كشعب أو ما يعرف بـ Genocideأو تدمير كل مرتكزات الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للسكان ككل متجانس، أو ما يعرف بـEthnocide، وذلك تمهيداً لإقامة الدولة اليهودية على أنقاضه، ولقد أعد هذه الفكرة وأدخلها إلى الإيديولوجية الصهيونية فيما بعد بيرديشفسكي .

ـ الدكتور عبد الوهاب المسيري. اليهود في عقل هؤلاء. شبكة إقرأ.

[13] ـ جوزيف حاييم بريز (1881–1921) ولد في عائلة يهودية فقيرة في نوفي ملينا في الإمبراطورية الروسية. درس في مدرسة دينية يهودية في بوشيب، ونشر قصته الأولى «رغيف الخبز» في صحيفة هاميليتس، وهي صحيفة عبرية عام 1900، أتبعها بمجموعة من القصص القصيرة عام 1961. يصفه النقاد اليهود بأنه نمذج للكاتب الصهيوني الملتزم بقضية شعبه، كرس معظم أعماله الأدبيةَ والروائيةَ لما يُسَمِّيه «النهضة بالعبرية مولود في روسيا، ويعتبر أحد رواد الأدب العبري الحديث.

في عام 1902 تم تجنيده في الجيش الروسي وحين اندلعت الحرب الروسية اليابانية هرب، واعتقل ولكنه هرب إلى لندن... هاجر إلى فلسطين عام 1909، وعمل مزارعا وكان من معتنقي الأيديولوجية الصهيونية. تفرغ للأدب في تل أبيب، وتقول كاتبة سيرته أنيتا شابيرا أن كان يعاني من الاكتئاب ومشاكل في الهوية الجنسية.

اغتيل في يافا في مايو 1921 خلال أعمال الشغب فيها أو ما يعرف باضطرابات يافا .أنشات الحركة الصهيونية جائزة أدبية باسمه عام 1945 هي جائزة برينر ويمنحها اتحاد الكتاب العبري.

[14] ـ بيرل كاتز نيلسون (1887–1944) الزعيمُ الصهيوني العُمَّاليُّ إعداد برنامجٍ ثقافي كامل للحركة العُمَّالية: للتعبئة تجاه تحقيق أهداف المؤتمر الصهيوني الأول، فساعد في عام 1930 على تأسيس حزب (الماباي)، وأقنع «بن جوريون» بالموافقة على تشكيل لجنة «الهاجاناه» لشؤون الهجرة، التي لعبت دورا كبيرا في ترحيل يهود أوروبا إلى فلسطين.

[15] ـ الهاجاناه: كلمة عبرية تعني "الدفاع" وهي منظمة عسكرية صهيونية استيطانية، أسست في القدس عام 1920 لتحل محل (منظمة الحارس)، وجاء تشكيلها نتيجة نقاشات طويلة بين قيادة التجمع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، فكان جابوتنسكي صاحب فكرة تأسيس مليشيات عسكرية يهودية علنية تتعاون مع سلطات الانتداب البريطاني، بينما كان قادة اتحاد العمل والماباي يفضلون خلق قوة مسلحة غير رسمية مستقلة تماماً عن السلطات البريطانية وسرية بطبيعة الحال، وقد قبل في النهاية اقتراح الياهو جولمب بإنشاء منظمة عسكرية سرية تحت اسم "هاجاناه وعفودا" أي "الدفاع والعمل" ثم حذفت كلمة العمل فيما بعد، وقد ارتبطت الهاجاناه في البداية باتحاد العمل ثم بحزب الماباي والهستدروت، رغم أن ميثاقها كان يصفها بأنها فوق الحزبية، وأنها عصبة للتجمع الاستيطاني الصهيوني.

وفي عام 1929، شاركت الهاجاناه في قمع انتفاضة العرب الفلسطينيين، وقامت بالهجوم على المساكن والممتلكات العربية ونظمت المسيرات لاستفزاز المواطنين العرب وإرهابهم، كما ساهمت

في عمليات الاستيطان، وخصوصاً بابتداع أسلوب "السور والبرج" لبناء المستوطنات الصهيونية في يوم واحد، وبالإضافة إلى ذلك، قامت الهاجاناه منذ تأسيسها بحماية المستعمرات الصهيونية وحراستها.

وقد شهدت سنوات الانتفاضة العربية في فلسطين (1936–1939) تعاوناً كبيراً بين الهاجاناه وقوات الاحتلال البريطاني، وبرز التعاون بخاصة مع تعيين تشارلز وينجيت ضابطاً للمخابرات البريطانية في فلسطين عام 1936، حيث أشرف على تكوين الفرق الليلية الخاصة والسرايا المتحركة التابعة، وتنسيق الأنشطة بين المخابرات البريطانية وقسم المخابرات بالهاجاناه والمعروف باسم "الشاي"، وفي الوقت نفسه، تعاونت القوات البريطانية والهاجاناه في تشكيل شرطة حراسة المستوطنات اليهودية والنوطريم، وكان معظم أفرادها من أعضاء الهاجاناه .

وقفت الهاجاناه إلى جانب بريطانيا والحلفاء وانضم كثير من أعضائها إلى اللواء اليهودي للقتال في صفوف القوات البريطانية، وتصدت بشدة للجماعات الصهيونية الأخرى التي طالبت آنذاك بالانضمام إلى النازي وفي مقدمتها منظمة ليحي، بل أمدت السلطات البريطانية بما تحتاجه من معلومات لتعقب عناصر تلك المنظمة واعتقالها، وفي المقابل، ساعدت بريطانيا في إنشاء وتدريب القوة الضاربة للهاجاناة المسماة "البالماخ."

وقبيل إعلان قيام دولة إسرائيل، كان عدد أعضاء الهاجاناه يبلغ نحو 36.000 بالإضافة إلى 3000 من البالماخ، كما اكتمل بناؤها التنظيمي، الأمر الذي سهل عملية تحويلها إلى جيش موحد ومحترف للدولة الصهيونية، حيث أصدر بن جوريون في 31 مايو 1948 قراراً بحل الإطار التنظيمي القديم للهاجاناه وتحويلها إلى جيش الدفاع الإسرائيلي.

راجع : ـ مدار – بيديا. موسوعة مصطلحات. الهاجاناه. ـ الدكتور عبد الجليل شلبي. اليهود واليهودية. القاهرة 1997. ص194–195. ـ الموسوعة التفاعلية الفلسطينية. ميليشيات الهاجاناه

[16] ـ مناحيم بيجين (1913– 1992) وُلد في روسيا البيضاء ودرس فيها حتى أنهى المرحلة الثانوية ومن ثمّة، سافر الى بولندا في عام 1938 حيث جامعة "وارسو" لدراسة القانون. في العام 1939، اجتاحت القوات الألمانية النازية بولندا في بداية الحرب العالمية الثانية فاضطر بيغن مغادرة بولندا الى الإتحاد السوفييتي. ولم يستقبل السوفييت بيغن بالأحضان، بل ألقوا القبض عليه وقامت السلطات السوفييتية بنفيه الى صحراء سيبيريا في عام 1940. وبعد عام في سيبيريا، أطلقت السلطات السوفييتية سراحه حيث قام بالإنضمام الى صفوف الجيش البولندي لمدة عام واحد ومن بعدها قرر الهجرة الى فلسطين في عام 1942. نتيجة فكر بيغن الصهيوني، عمل على تأسيس منظمة صهيونية عسكرية أطلق عليها اسم "ارجون". واقترن اسم الإرجون بعمليات الإرهاب الفظيعة في حق الشعب الفلسطيني وأسهمت الإرجون في ترحيل الفلسطينيين من ديارهم بفعل العمليات الإرهابية، ومن أشهر عمليات الإرجون الإرهابية على الشعب الفلسطيني، مذبحة دير ياسين التي راح ضحيتها 360 فلسطيني كما ذكر مناحيم بيغن في كتابه "المتمرد. وقامت الإرجون بنسف مقر قيادة القوات البريطانية في فندق الملك داود في عام 1948. ولم تُستثن هيئة الأمم المتحدة من إرهاب مناحيم بيغن عندما أقدمت الإرجون على إغتيال ممثلها، الكونت

"برنادوت" عندما قدم الكونت إقتراحات لهيئة الأمم لحل الإشكالات بين اليهود والفلسطينيين، ولم ترق تلك الإقتراحات لليهود، فتعاونت الإرجون مع عصابة شتيرن والهاجاناه على الإجهاز على الكونت في 17 سبتمبر 1948. بعد الإعلان الرسمي لقيام دولة إسرائيل، قامت الحكومة الإسرائيلية المؤقّتة بحل جميع التنظيمات العسكرية وكان تنظيم الإرجون من بينها، فتوجّه مناحيم بيغن الى العمل السياسي وتم انتخابه للكنيست الإسرائيلي في عام 1949. وزاول العمل السياسي حتّى ترأّس حزب الليكود في عام 1973. في عام 1977، تمكّن مناحيم بيغن من ان يصبح سادس رئيس وزراء لإسرائيل. ومن أهم الأحداث التي حدثت في فترة رئاسته التي استمرت حتى عام 1983: ترأّس الوفد الإسرائيلي المُفاوض مع الوفد المصري، وتمخضت المفاوضات عن توقيع أول معاهدة سلام بين دولة عربية وأسرائيل. وتحققت المعاهدة في عام 1979. حصل على جائزة نوبل للسلام مناصفة مع الرئيس المصري الراحل أنور السادات.

ضرب المفاعل النووي العراقي 1981. وفي عام 1982، إحتلال جنوب لبنان وبسبب قدم استقالتة من رئاسة الوزراء في اغسطس 1983 وظّل يصارع المرض حتّى فارق الحياة في 9 مارس 1992

راجع :

ـ عبد الستار الراوي : الايديولوجيا (قراءة تحليلية في الفكر الصهيوني المعاصر) مجلة الامن القومي العدد الثاني 1985.

[17] ـ عبد الستار الراوي. الفكر الفلسفي اليهودي المعاصر. مجلة كلية الامن القومي. بغداد 2001 ص53.

[20] الدكتور سهيل حسين الفتلاوي: الاستراتيجية الصهيونية في المنطقة العربية، مجلة الامن القومي، بغداد، العدد الثالث/1985 ص 84–87.

[21] الدكتور مجدي حماد . "فلسطين 1983"؟ البدائل المتاحة امام الدول العربية لحل الصراع، مجلة شؤون عربية الامانة العامة لجامعة الدول العربية العدد 33–1983، ص19.

[22] اللواء الركن محمد خالد " موسوعة الجيش العراقي بغداد 1989 ج2 ص 217

الفلسفة على جبهة الصراع في فلسطين

عفيف عثمان

أقرت منظمة اليونسكو الأممية يوماً عالمياً للفلسفة حددته يوم الخميس الثالث من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر، وفي هذه الأيام حيث ترتفع أصوات شهداء غزة وقرقعة دبابات جيش الإحتلال الإسرائيلي تسحق الأجساد الفلسطينية، دخلت الفلسفة عنصراً في المعركة. هنا استعراض لبعض تفكرات مناوئة أو مناصرة لقضية فلسطين.

المسألة اليهودية كمشكلة للعالم

انصدع العالم الغربي الحديث في مساره نحو الحداثة بمشكلة أقلقته ولا سيّما بعد الحرب العالمية الثانية وانكسار المشروع النازي ومآسيه في أوروبا، وهي ما أطلق عليه في القرن التاسع عشر"المسألة اليهودية". وكان للفلاسفة نصيب في محاولة تقديم إجابات تساعد في علاج اضطراب المجتمعات بسببه. ولا بأس من استذكار أهم المساهمات التي قدمت حلاً، اذ اعتبر كارل ماركس في مقالته عن "المسألة اليهودية" (1844) أن المشكلة ليست في المسيحية أو اليهودية، ولكنها مشكلة الاضطهاد الاجتماعي المتمثل في سيطرة الرأسمالية والبورجوازية على الفكر السياسي وبناء الدولة، وعندئذ يكون واجب المواطن في الدولة الكفاح من أجل إلغاء سيطرة المال على الدولة وعلى المواطن. ويرى ماركس أن مضمون الديانة اليهودية الضرورة المادية والمتاجرة، وأن إله اليهود الدنيوي هو المال. وتحرير اليهود يكون بتحريرهم من المال، من اليهودية، أي يكون بتحرير المجتمع من سيطرة المال والمتاجرة، وتنظيم المجتمع على هذا الأساس: إن هذا الإلغاء يجعل وجود اليهودي واليهودية مستحيلاً. والمال هو جوهر المجتمعات الرأسمالية والبورجوازية وحياة الإنسان وعمله، عمله الذي اغترب عنه وهذا الوحش هو الذي سيطر على الإنسان الآن ويستعبده. ألغوا هذه المتاجرة، وقوضوا سيطرة المال على المجتمعات، تنحل المسألة اليهودية بالنسبة لليهود، وبالنسبة للمجتمعات التي تشكو من اليهود كظاهرة مرضية، والتي من أجلها قامت حركة العداء للسامية واضطهاد اليهود. وبعد مئة سنة كتب جان بول سارتر عن "المسألة اليهودية" (1944) محملاً المجتمعات الأوروبية مسؤولية خلق هذه المشكلة، ولا سيّما الثقافة المسيحية، والحل الوحيد لها هو "الإندماج"، ولم يكن أبو الوجودية الفرنسية مناصراً للحل الصهيوني. والعداء للسامية، عنده، سمة للطبقة

البورجوازية من دون سواها، سمة موروثة مع الثروة والعقارات، فمع الغاء المجتمع الطبقي تختفي هذه المسألة[1].

ولأن الفكر الغربي قارب المسألة اليهودية بوصفها "مشكلة للعالم" حاول حلها على حساب شعب آخر، وحين قامت دولة الإغتصاب في العام 1948 بقيت مشكلة للعالم الذي صنعها، ونتج عنها ما سمي " القضية الفلسطينية". ومع عملية طوفان الأقصى في 7 تشرين الأول، هرع العالم الغربي الى نجدة الدولة/ السد، أو الثكنة كما كان يكتب، التي ما زالت تمثل صدعاً في الكوكب الأزرق، كآخر دولة استعمارية وكولونيالية، تنازع للبقاء.

ودخلت الفلسفة على الخط، كجبهة من الجبهات المفتوحة الى جانب الجبهات الحربية، والكلمات لا تقل خطراً في المعركة، البعض مناصراً دولة العدوان والبعض الآخر أراد أن يكون منصفاً.

سلافوي جيجك والعمى النظري

الفيلسوف السلوفيني، سلافوي جيجك، في مقالته " الخط الفاصل الحقيقي بين إسرائيل وفلسطين" وجد لزاماً عليه كي يقارب عملية 7 تشرين الأول، أن يبدأ بادانة حركة حماس، كي يبرر الحديث اللاحق عن دولة اسرائيل، فما قامت به حماس هو "بمثابة مذبحة"، ما يؤكد له "أن هدف حماس الحقيقي هو تدمير دولة إسرائيل وكل الإسرائيليين"، لكنه يستدك بأن الموقف يتطلب سياقاً تاريخياً، كمبرر من أي نوع، ولكن من أجل الوضوح.

اذ الاعتبار الأول، في رأيه، هو اليأس المطلق الذي يميز حياة معظم الفلسطينيين. ويسم عمليات الرد المسلحة، بأنها "إرهابية"، لا تحمل أي رسالة تحررية:" لقد كانت مجرد أعمال فردية من اليأس العنيف". والمشكلة، في زعمه، هي في حكومة نتنياهو اليمينية المتحولة الى دولة ثيوقراطية بعد اعتبار نفسها الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط، التي وضعت في برنامجها : "للشعب اليهودي حق حصري وغير قابل للتصرف في جميع أنحاء أرض إسرائيل. ستعمل الحكومة على تعزيز وتطوير الاستيطان في جميع أنحاء أرض إسرائيل – في الجليل والنقب والجولان ويهودا والسامرة". وفي تجاوز لوقائع التاريخ أقله الحديث، فإن جيجك يساوي بين الجلاد والضحية، وينظر "في رؤية التشابه الغريب بين الفلسطينيين، الذين حرموا من وطنهم، واليهود، الذين يتميز تاريخهم بالتجربة نفسها". من دون أن يقول لنا جيجك من حرم اليهود؟، ومن أي وطن؟، في حين يشهد العالم كله على حرمان الفلسطيني من أرضه، لا بل سرقتها في شكل

يومي ومنظم.

وكي يكون التضليل كاملاً، لا بد من سرد بعض من الواقع الفعلي حيث تعامل اسرائيل الفلسطينيين "باعتبارهم مستوطنين مؤقتين، كعائق أمام إنشاء دولة "طبيعية" يكون اليهود فيها السكان الأصليين الحقيقيين الوحيدين. ويتم التعامل معهم بشكل صارم على أنهم مشكلة، لم تمد دولة إسرائيل يدها إليهم قط، لتقدم لهم بعض الأمل أو تحدد بشكل إيجابي دورهم في الدولة التي يعيشون فيها".

وللتعمية والخلط، يرى جيجك "إن حماس والمتشددين الإسرائيليين وجهان لعملة واحدة. والخيار لا يكمن في فصيل متشدد أو آخر؛ إنها بين الأصوليين وكل أولئك الذين ما زالوا يؤمنون بإمكانية التعايش السلمي". ويصطف جيجك، مع كلمة السر الأميركية، ليقول هذا اليساري المعادي للرأسمالية "بل وينبغي لنا، أن ندعم حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها ضد الهجمات الإرهابية من دون قيد أو شرط"، أي حتى لو اقتضى الأمر قتل كل الفلسطينيين بالسلاح الأميركي. و يقدم لنا "التعاطف" " من دون قيد أو شرط مع الظروف اليائسة واليائسة حقًا التي يواجهها الفلسطينيون في غزة والأراضي المحتلة"[2].

جوديت بتلر وتغييّب السيّاق

يشكل موقف الفيلسوفة اليهودية الأميركية، جوديت بتلر، من عملية 7 تشرين الأول صدمة لمن يعرفها، وهي المتعاطفة مع قضية فلسطين، والمنتخبة في العام 2009 رئيسة محكمة هوسرل حول فلسطين، ويُشهد لها مقارعتها للصهيونية. فلا تدين حركة حماس فحسب في مقالتها " بوصلة الحداد"[3]، بل لا تريد حتى أن تضعه في سيّاق (سيّاق الإحتلال والقمع والإذلال) يمكن أن يقدم ظروفاً مخففة لهؤلاء المقاومين، فهي تضعه في خانة العنف، وهي تعرف انه لا يوجد عنف مجاني، تعبر بتلر:" في الواقع، أنا أدين دون قيد أو شرط أعمال العنف التي ترتكبها حماس. وكانت هذه مذبحة مرعبة ومثيرة للاشمئزاز. كان هذا هو رد فعلي الأساسي، وهو مستمر. لكن هناك ردود أفعال أخرى أيضاً"، وهي تدرك وتصرح أن الفهم الجيد للمسألة، أي ادراجها في سيّاقها التاريخي " من شأنه أن يقف في طريق الإدانة الأخلاقية القوية؟"، وبتلر تعيّ جيداً المفارقة التي يستجلبها هذا الحكم :" سيكون من الغريب معارضة شيء ما دون فهمه أو وصفه جيداً. سيكون من الغريب بشكل خاص الاعتقاد بأن الإدانة تتطلب رفض الفهم، خوفًا من أن المعرفة لا يمكن إلا أن تخدم وظيفة نسبية وتقوض قدرتنا على الحكم". من الطبيعي أن تدين بتلر إسرائيل ولكنها لا تعدها وحدها المسؤولة، ففي زعمها ثمة مسؤولية تقع على

عاتق حماس، وترفض ايجاد أي عذر لحماس، وتسم هذا النوع من التفكير بـ"الشكل الفاسد من التفكير الأخلاقي": تقول بتلر " ولنكن واضحين، العنف الإسرائيلي ضد الفلسطينيين هائل: القصف بلا هوادة، وقتل الناس من كل الأعمار في منازلهم وفي الشوارع، والتعذيب في سجونهم، وأساليب التجويع في غزة ومصادرة المنازل. ويتم ممارسة هذا العنف بأشكاله المتعددة ضد شعب يخضع لقواعد الفصل العنصري والحكم الاستعماري وانعدام الجنسية. ومع ذلك، عندما تصدر لجنة التضامن مع فلسطين بجامعة هارفارد بيانًا تدعي فيه أن "نظام الفصل العنصري هو المسؤول الوحيد" عن الهجمات القاتلة التي تشنها حماس على أهداف إسرائيلية، فإنها ترتكب خطأً. ومن الخطأ توزيع المسؤولية على هذا النحو، ولا شيء ينبغي أن يعفي حماس من المسؤولية عن أعمال القتل البشعة التي ارتكبتها. وفي الوقت نفسه، فإن هذه المجموعة وأعضائها لا يستحقون أن يتم إدراجهم على القائمة السوداء أو التهديد. ومن المؤكد أنهم على حق في الإشارة إلى تاريخ العنف في المنطقة: "من الاستيلاء المنهجي على الأراضي إلى الغارات الجوية الروتينية، والاعتقالات التعسفية إلى نقاط التفتيش العسكرية، والفصل الأسري القسري إلى القتل المستهدف، أُجبر الفلسطينيون على العيش في حالة موت"، موت بطيء. مرام بتلر أن تاريخ اسرائيل يُبرر (أو يفسر) لها ارتكاباتها، أما تاريخ حماس فلا يسمح بذلك؟، ما تريده هو توزيع المسؤولية بالتساوي، فلا يجب أن يكون العنف الفلسطيني سبباً أو رد فعل على القتل الإسرائيلي، تقول:" إن ضرورة فصل فهم العنف المتفشي والمستمر الذي تمارسه الدولة الإسرائيلية عن أي تبرير للعنف أمر بالغ الأهمية إذا أردنا أن ننظر في الطرق الأخرى المتاحة للتخلص من الحكم الاستعماري، ووقف الاعتقال التعسفي والتعذيب في السجون الإسرائيلية، وتحقيق العدالة". تنصحنا بتلر بالبحث عن طرق أخرى لإنهاء الإحتلال، وهذا بيت القصيد. لا بل تقرن ذلك بالقول بأن ادانتها لحماس لا علاقة لها بالفهم، ولا تحتاج لتقديم أعذار. موقفها واضح تريدنا مسالمين، نصفق للإحتلال ونرميه بوردة، تدعونا الى الوداعة :" أنا شخصياً أدافع عن سياسة اللاعنف، مع العلم أنها لا يمكن أن تعمل كمبدأ مطلق يمكن تطبيقه في جميع المناسبات. أنا أؤكد أن نضالات التحرر التي تمارس اللاعنف تساعد في خلق عالم اللاعنف الذي نريد جميعاً أن نعيش فيه. إنني أشجب العنف بشكل لا لبس فيه في نفس الوقت الذي أرغب فيه، مثل كثيرين آخرين، في أن أكون جزءًا من التخيل والنضال من أجل المساواة والعدالة الحقيقية في المنطقة، وهو النوع الذي من شأنه أن يجبر جماعات مثل حماس على الاختفاء، وإنهاء الاحتلال، وازدهار أشكال جديدة من الحرية السياسية والعدالة. وبدون

المساواة والعدالة، وبدون وضع حد لعنف الدولة الذي تمارسه دولة إسرائيل، التي تأسست على العنف، لا يمكن تصور أي مستقبل، ولا مستقبل للسلام الحقيقي". تمارس اسرائيل في غزة حرب إبادة لا لبس فيها، وليس عنف دولة يمكن أن يتوقف. أقول لا يمكن تغييب السيّاق كما يحلو لبتلر، فالشعب الفلسطيني حمل السلاح لاسترجاع حقه في أرضه، لا غواية وزينة.

برنار ليفي والحرب على اليهود

الفرنسي برنار هنري ليفي، المؤيد لإسرائيل من دون تحفظ، ومدعيّ دعم الثورات العربية، محرّض الرئيس الفرنسي الأسبق نيقولا ساركوزي على التدخل في ليبيا، لا يرى في عملية تشرين الأول إلا "معاداة السامية"، فلا علاقة له بالإحتلال أو بوضع سابق، وحتى يرى أنه استمرار لحوادث أيلول 2001، لتسويغ التدخل الأميركي السافر تحت يافطة "محاربة الإرهاب". وفي زعمه ألا شيء يبرر ما حصل، اذ لا يدرك في وعيه المحدود أهدافاً معينة لتحقيقها، فقوة الإحتلال غير موجودة على الأرض، في تعاميّ مفصود عن الوضع اللاإنساني في غزة الذي وصفه الباحثون الغربيون أنفسهم بأنه "أكبر سجن مفتوح في العالم"، الى الشروط البائسة لحياة السكان والتحكم في المعابر وفي لقمة العيش، والشيء الوحيد الذي يتمتع به ابن غزة هو تنشق هواء فلسطين والحلم بالحرية.

وما يحصل، عنده، وفي قفز على واقع الإحتلال والإستيطان، هو حرب شاملة ضد اليهود تستأنف مثيلاتها في التاريخ، بيد أن اليهود ولأول مرة في، هم من يتلبس دور الجلاد الخالي من الرحمة. والحل في عرفه معاقبة حركة حماس، بل في القضاء عليها تماماً. ويحرض على داعميها ولا سيّما إيران. ووصل به الأمر الى التشكيك في قدرة المقاوم الفلسطيني على "الذكاء التكتيكي"[4]، فلا بد إذن من أن أحداً ما خطط له.

وفي التخلص من حماس، يقوم الجيش الإسرائيلي بإسداء خدمة كبيرة لدولة اسرائيل وفلسطين والمنطقة برمتها. ويتباهى ليفي بأخلاق جيش الإحتلال الذي يُنذر السكان قبل ضربهم (وأية أخلاق؟)، وهو يُطالب مصر بفتح حدودها أمام الهاربين، ويعتبر هذه الحرب بأنها "حرب القرن"[5] للقضاء على حماس.

هابرماس والعدوان على غزة

لا يجب على المتابع لمواقف يورغن هابرماس (Jürgen Habermas)، أحد أبرز ممثلي مدرسة فرانكفورت (تولد في العام 1929)، من دولة إسرائيل وتالياً القضية

الفلسطينية أن يستغرب أو يندهش من موقفه من "طوفان الأقصى" في 7 تشرين الأول. فالفيلسوف الألماني عبر أكثر من مرة عن تأييده لدولة الإحتلال. وأنقل هنا بعض الأمثلة نقلاً عن الكاتب عبد السلام حيدر: ففي العام 2015 عندما كانت إسرائيل تدك غزة قامت صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية بمحاورته وسألته عن رأيه في سياسة إسرائيل العدوانية ضد الفلسطينيين، فقال بالنص: "رغم أن تصرفات الحكومة الإسرائيلية تتطلب تقييماً سياسياً فإنه ليس من واجب مواطن ألماني من جيله تقديم مثل هذا التقييم". وهو الذي قال ذات مرة: "يجب على المفكر، من دون أن يُسأل، ومن دون تفويض من أي طرف، أن يستخدم المعرفة المهنية التي يمتلكها في النقد والتنوير"، يرفض التعليق على أفعال إسرائيل، بل ويريد إلزام بقية جيله بالصمت حيالها. وفي تعليقه على قصيدة جونتر غراس "ما يجب أن يقال" التي ينتقد فيها إسرائيل، قال هابرماس بالنص: "غراس غير واعٍ وغير متوازن واستفزازي. ولا أرى أي سبب معقول لنشره مثل هذه القصيدة. بالنسبة لي فإن الجانب الأكثر إثارة للقلق هنا أن الأبواب قد فُتحت وللمرة الأولى لوابل غامض من الأحكام المسبقة الشائعة (ضد إسرائيل)، من قبل شخص يتمتع بمثل هذه المكانة الثقافية والسياسية. وليس هناك أدنى شك لديّ في أن جونتر جراس ليس معادياً للسامية، ولكن هناك أشياء لا ينبغي على الألمان من جيلنا قولها". وقد أثار هذا حفيظة كاتب إسرائيلي اسمه عومري بوهم، فنشر مقالاً مطولاً في صحيفة (دي تسيت) الألمانية، وجعله على شكل رسالة لهابرماس بعنوان "افتح فمك!" يدعوه والمفكرين الألمان لنقد السياسات الإسرائيلية ضد الفلسطينيين، ويدعو الصحف الألمانية للتوقف عن تصرفاتها المضحكة، والتي حددها بأنها عندما تريد توجيه نقد ما لإسرائيل تستكتب كتاباً إسرائيليين!وقال بوهم إنه يعتقد حقاً أنه يوجد في ألمانيا "قمع للانتقاد العلني للدولة اليهودية". قمع يفرضه شخص ما في ألمانيا ويؤيده هابرماس، وأن الألماني لا بد أن يفتح فمه ويفرق بين الهولوكوست ومعادة السامية، وبين "انتهاكات إسرائيل الجسيمة للقانون الدولي في فلسطين" و"استخدام أساليب قمعية ضد السكان العرب في القدس". وبالطبع ذهبت صرخات الرجل هباء؛ لأن السيد هابرماس لم يغير طريقته ومنهجه في التعامل مع إسرائيل وجرائمها (دي تسيت، عدد 43، في 22 أكتوبر/ تشرين الأول 2015). "والخلاصة أن السيد هابرماس ومدرسته أيدوا كل أشكال التحرر الفردي والوطني إلا

التحرر الفلسطيني، ووقفوا ضد الحروب كلها إلا الحروب الإسرائيلية ضد الفلسطينيين والعرب"[6].

ويعتبر المؤرخ العراقي سيار الجميل أن ظاهرة الهولوكست أحدثت عند هابرماس "عقدة خوف رهيبة، فدافع باستماتة عن مشروع ما بعد القومية، وهو مشروعٌ يتمثل بتطوير أشكال جديدة، مثل الاتحاد الأوروبي خارج الدولة القومية، وتعزيز القانون الدولي... وهابرماس لم يُعادِ الصهيونية، واعتبرها نتاج حضارة أوروبية، كما وصفها في محاضرته في قاعة المحاضرات في الأكاديمية الإسرائيلية للعلوم والإنسانيات في القدس العام 2012، وبدلاً من مجادلته القرائن والحيثيات التاريخية الخاصة بالعرب الفلسطينيين، والوقوف ضدّ إسرائيل وسياساتها، دعا كلّ الاكاديميين اليهود الألمان إلى العودة إلى وطنهم بعد فرارهم منه، مستفيداً من عودة بعضهم إلى وطنهم الأم، وكان يحثّ اليهود الأوروبيين على الذهاب إلى فلسطين، كي تصبح الدولة اليهودية ضرورة تاريخية"[7].

أعود الى الرسالة التي وقعها هابرماس مع ثلاثة أكاديميين ألمان هم. نيكول ديتلهوف (Nicole Deitelhoff)، ورراينر فورست (Rainer Forst)، وكلاوس غونتر (Klaus Günther) بتارخ 15 نوفمبر/ تشرين الثاني[8]. وقد ترجمها الأكاديمي المغربي محمد الأشهب الى العربية بتاريخ 18 من الشهر نفسه. ننقلها كما هي لأنها تعبر عن الوعي الألماني:" إن الوضع الحالي، الذي تسببت فيه وحشية الهجوم غير المسبوق الذي شنته حماس ورد فعل إسرائيل عليه، أفضى إلى سلسلة من المواقف الأخلاقية والسياسية والمظاهرات الاحتجاجية. ونعتقد أنه في خضم كل وجهات النظر المتعارضة التي تم الإعراب عنها، فإن هناك بعض المبادئ التي لا يجب أن تكون محل خلاف. وهي مبادئ تشكل أساسا لتضامن مُفكر فيه ومُتَعقل مع إسرائيل واليهود واليهوديات في ألمانيا.

إن المجزرة التي ارتكبتها حماس والمصحوبة بنيتها المعلنة لإبادة الحياة اليهودية بشكل عام، كانت سبباً في دفع إسرائيل إلى الإنتقام بهجوم مضاد. لكن كيفية تنفيذ هذا الهجوم المضاد، المبرر من حيث المبدأ، حظيت بمناقشة اتسمت بالكثير من الجدل. فمبادئ من قبيل علاقات التناسب (ضمنيا علاقات عدم التناسب بين حماس وإسرائيل) Verhältnismäßigkeit، وتجنب سقوط ضحايا من المدنيين، وشن حرب مصحوبة

باحتمال إحلال السلام في المستقبل، ينبغي أن تكون مبادئ توجيهية. وعلى الرغم من كل القلق على مصير السكان الفلسطينيين، فإن معايير الحكم تزيغ عن الطريق تماماً عندما تعزى نوايا الإبادة الجماعية إلى التصرفات الإسرائيلية.

وكيفما كان الحال، فإن تصرفات إسرائيل لا تبرر بأي حال من الأحوال ردود الفعل المعادية للسامية، وخاصة في ألمانيا. فأن يتعرض اليهود واليهوديات في ألمانيا مرة أخرى لتهديدات تهدد حياتهم وأجسادهم، وتجبرهم على الخوف من العنف الجسدي في الشوارع، فهذا أمر لا يُطاق وغير مقبول إطلاقا. فالروح الديمقراطية لجمهورية ألمانيا الإتحادية، والتي تقوم على أساس الإعتراف باحترام الكرامة الإنسانية، ترتبط بثقافة سياسية تعتبر الحياة اليهودية وحق إسرائيل في الوجود عنصرين أساسيين يستحقان حماية خاصة مع استحضار الجرائم الجماعية التي ارتكبت سابقا في الحقبة النازية. ولهذا الإعتراف بهذه المسألة والإلتزام بها أمر أساسي في حياتنا السياسية المشتركة.

إن الحقوق الأساسية في الحرية، والسلامة الجسدية، وكذلك الحماية من التشهير العنصري هي حقوق غير قابلة للتجزئة وتسري على الجميع بالتساوي. وعليه يجب على جميع أولئك الذين يُقيمون في بلادنا والذين بثوا فيها المشاعر، والقناعات المعادية للسامية باعتماد شتى أنواع الذرائع، ويرون الآن فرصة ملائمة للتعبير عنها دون عائق، أن يلتزموا بتلك الحقوق ويمتثلون لها".

ولم يكتف الأشهب، أستاذ الفلسفة بجامعة ابن زهر، بالترجمة بل علق عليها معبراً عن رأيه: **أولاً**، بقي الموقف المعبر عنه مرتبطا فقط بالوضع الحالي من دون الإشارة إلى الجرائم التي ارتكبت في حق الشعب الفلسطيني لعشرات السنين، ويصر البيان على أن مبادئ التضامن مع إسرئيل مفكر فيها ومُتعقلة وليست محل خلاف على الإطلاق. فأين هي الكونية؟ والحق الكوني في التسويغ كأفكار مؤسسة لعدالة نقدية عابرة لحدود الدولة الوطنية. **ثانياً**، في البيان تبرير صريح يشرعن العنف الهمجي الذي تمارسه إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني، بدعوى أن حماس هي من بدأت وأن إسرائيل هي في موقف الدفاع عن النفس حتى ولو أزهقت أرواح الآلاف من الأطفال. والأفظع في الموقف هو استبعاد ما تقوم به إسرائيل من دائرة جرائم الإبادة. **ثالثاً**، يقيم البيان علاقة بين ما يحدث في

فلسطين وألمانيا والماضي الألماني. **رابعاً**، بناء على هذا العبء التاريخي فالموقف المعبرعنه في البيان يريد أن يقول إن أي تضامن مع الفلسطينيين في ألمانيا يندرج في إطار معاداة السامية.وهذا هو نفسه موقف الحكومة الألمانية الذي عبر عنه رئيس الدولة اشتاينمايير، والمستشار أولاف شولتس، ووزيرة الخارجية بيربوك. وبناء عليه فكل صوت مناهض للحرب ومدافع عن حق الفلسطينيين في الوجود إلى جانب الإسرائيليين حتى ولو كان يهوديا فهو معاد للسامية[9].

بدوره، أبدى المفكر المغربي عبد السلام بنعبد العالي استغرابه ها الموقف من "فيلسوف الحوار والتواصل"، فكتب:" لا يمكن لقارئ هذه "المبادئ" أن يتصور أنها صادرة عمن يعتبر فيلسوف "الفضاء العمومي"، وصاحب "نظرية التواصل"، وسليل "المدرسة النقدية"، الذي سبق له أن اتخذ موقفا مشرفا عندما أعلنت الحرب على العراق. ما يثير الاستغراب، هو أن فيلسوفا في حجم هذا الرجل يُدخل كل ما جرى قبل السابع من أكتوبر ضمن "ما قبل التاريخ"، ليعتبر أن تلك هي البداية التي ينبغي أن يعلن بصددها "مبادئه"، أي النقاط التي ينبغي الابتداء منها وبها وانطلاقا منها، ليهتدي بها كي يحدد موقفه ويعلن تخوفه من معاداة السامية. قبل أن يسن هذه المبادئ، كان هابرماس مشهورا بكثرة حديثه عما كان يدعوه "أخلاقيات الحوار"، وآداب المناقشة. ولكن ها هو يضع أمامنا خطوطا حمراء لا ينبغي تجاوزها، أو على الأقل، مساءلتها، والحفر في خلفياتها حتى إن كان ذلك الحفر يغوص في ما اعتبره هو داخلا في "ما قبل التاريخ"[10].

وفي السياق نفسه، كان للدكتور رضوان السيد، خريج الجامعات الألمانية رأيه، ويجد أن الأمر ذو شقّين: الشقّ الأول: الإجماع الألماني على دعم إسرائيل. والثاني: موقف هابرماس، يقول السيد:" إنّ الانفتاح "الهابرماسي" لا يسري على الإسلام، ولا على القضية الفلسطينية. ففي حواره مع داريدا فيلسوف ما بعد الحداثة الفرنسي بعد عام 2001، الذي نُشر في كتاب **الفلسفة في زمن الإرهاب**، والذي ركّز فيه على الدفاع عن قيم التنوير التي لا يقول بها داريدا، بدا متّفقاً معه على إنكار الهيمنة الأميركية، وإنكار الإرهاب الإسلامي متسائلاً عن وجود وجهٍ آخر لهذا الإسلام"، ويذهب الى رؤية ما هو أبعد من لحظة الصراع المحتدم:"... لكنّ وراء ذلك كلّه وأعمق كما يتبيّن كلّ يوم أنّ قيم التنوير التي استُوحي منها ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، لا

يستحقُّها العرب والمسلمون وربّما الأفارقة والآسيويون، لأنّهم لم يتأهّلوا لها، ولا يستطيعون التصرّف انطلاقاً منها! ولذلك أمكن لإسرائيل التمرّد على صرخات الأمين العامّ للأمم المتحدة وكلّ نداءات الاستغاثة من المنظمات الإنسانية الدولية"[11]. ومن ثم توالت الردود العربية على موقف هابرماس في تركيز واضح على البعد الأخلاقي[12]. في رأيي المتواضع إن هابرماس خان دوره كفيلسوف كوني موظف لدى الإنسانية، واصطف مع "الإجماع الألماني" وعقدة الذنب التاريخية بإزاء اليهود وما جرى لهم في ألمانيا النازية، التي لا ذنب لنا فيها من قريب أو بعيد.

فلاسفة مع فلسطين

ولا يخلو العالم من فلاسفة منصفين ينظرون بعين العدل الى فلسطين وقضيتها. اذ وقع نحو 406 مشتغلاً بالفلسفة من أميركا الشمالية وأميركا اللاتينية وأوروبا بياناً في الأول من تشرين الثاني/ نوفمبر 2023، عبروا فيه عن تضامنهم :"مع الشعب الفلسطيني ولإدانة المذبحة المستمرة والمتصاعدة بسرعة التي ترتكبها إسرائيل في غزة"، ودعوا زملائهم في بقية أنحاء العالم للإنضمام اليهم في سبيل التغلب " على التواطؤ والصمت"، اذ أن التركيز "على تصرفات الدولة الإسرائيلية والدعم الثابت الذي تتلقاه من الولايات المتحدة وحلفائها، لا يعني الاحتفال بالعنف، ولا المراوغة بشأن قيمة الأرواح البريئة. إن الوفيات بين المدنيين، بغض النظر عن جنسيتهم، أمر مأساوي وغير مقبول. ومع ذلك، فإن التصرف كما لو أن تاريخ العنف بدأ بهجمات حماس في 7 أكتوبر 2023 هو إظهار لامبالاة متهورة بالتاريخ وكذلك بحياة الفلسطينيين والإسرائيليين. ولكي يتوقف العنف، يجب أن تتوقف الظروف التي تنتج العنف"، وفي ختام البيان:" إننا ندعو زملائنا الفلاسفة للانضمام إلينا للتضامن مع فلسطين والنضال ضد الفصل العنصري والاحتلال. وعلى وجه الخصوص، انضموا إلينا في دعم المقاطعة الأكاديمية والثقافية للمؤسسات الإسرائيلية – متميزة عن الأفراد – كما حددتها الحملة الفلسطينية للتعليم الأكاديمي والثقافي. المقاطعة الثقافية لإسرائيل (PACBI). ونحن نحث جميع الأفراد على التحدث بصراحة وبلا خوف، والعمل على تعزيز قضية التحرير الفلسطيني والعدالة للجميع"[13].

بدوره وفي سيّاق فلسفي يوجز الكثير دوّن الفيلسوف الإيطالي جورجيو أغامبين

نصّاً مقتضباً بعنوان "صمت غزة": "أعلن علماء من كلّية علوم النبات في جامعة تل أبيب، في الأيام الأخيرة، أنهم سجلوا بميكروفونات خاصة حسّاسة بالموجات فوق الصوتية صرخات الألم التي تصدرها النباتات عند قطعها أو عندما تفتقر إلى الماء. في غزة لا توجد ميكروفونات!".

ومنذ السابع من تشرين الأول (2023)، كررت اسرائيل ما تدرب جيشها عليه، أي ارتكاب المجازر وقتل السكان، وهذا في عُرف أحد الباحثين يسبق عادة معركة تحرير الشعوب المستضعفة، كما حصل في بلدان أخرى: الجزائر والمغرب والهند، هي القصة نفسها، والمعركة نفسها والمسار نفسه، نحو الإستقلال "فمظاهر قوة اسرائيل، هي في الواقع، علامات انهيارها"[14]، وسقوط الدولة الإستعمارية الأخيرة سيكون مدويّاً.

الهوامش:

(1) مذكور عند د. عبد المنعم حفني، **عالم بلا يهود** (القاهرة، دار الرشاد، 1997).

(2) SLAVOJ ŽIŽEK, *Project Syndicate*, The Real Dividing Line in Israel-Palestine, Oct 13, 2023 .

(3) Judith Butler, "The Compass of Mourning", *London Review Of Books*,, 19 October 2023.

(4) Bernard H. Levy, La Règle du jeu, le 13 Octobre, 2023.

(5) Bernard H. Levy, La Règle du jeu, le 23 Octobre, 2023.

(6) عبد السلام حيدر، " هابرماس وإسرائيل.. عن العلاقة الخفية بين الصهيونية ومدرسة فرانكفورت!"، عربي بوست، 13/05/2021 .

(7) أ. د. سيّار الجَميل، "هابرماس قلقاً.. إسرائيل والعراق وأوروبا اطلالة على أفكاره وسطوة ذنب الهولوكوست"، (موقع الناس)، الأثنين 17 / 5 / 2021.

(8) Les principes de la solidarité. Une prise de position, 15 novembre 2023. La version originale en allemand de ce texte est paru sur le site du centre de recherche « Normative Orders » de l'Université Goethe de Francfort.

(9) محمد الأشهب، ".لا أتفق مع الموقف المتحيز لإسرائيل من فلاسفة المانيين يدعون الدفاع عن القيم الكونيةّ؟؟."، موقع أنفاس برس، السبت في 18 نوفمبر 2023,

(10) عبد السلام بنعبد العالي، " فلسطين هابرماس وفلسطين دولوز"، **المجلة**، آخر تحديث 20 نوفمبر 2023.

(11) د. رضوان السيد، " الإزدواجية العالمية: الفيلسوف الألمانيّ هابرماس يدعم إسرائيل"، **أساس ميديا**، الثلاثاء 28 تشرين الثاني 2023.

(12) أنظر على سبيل المثل مقالة فؤاد غربالي، " العمى الأخلاقي لعقل "الأنوار".. هابرماس قلبه على "إسرائيل""، **أوراق الميادين**، في 20 تشرين الثاني، 2023. ومقالة يحيى الكبيسي" حرب غزة وأزمة هابرماس الأخلاقية!"، **القدس العربي**،23 - نوفمبر – 2023.

(13) www. Philosophy for Palestine.com

(14) Mohamed Lotfi, "Israël, le déclin d'un état colonial !", *L'Opinion*, le Vendredi 27 Octobre 2023.

الوهم الصهيوني

ولترستيس، ترجمة محمود سيد أحمد(*)

تقديم بقلم المترجم

هذه ترجمة لمقال "الوهم الصهيوني"The Zionist Illusion، كتبه الفيلسوف الإنجليزي الأصل، الأمريكي الجنسية، ولترستيس Walter Stace(1886– 1967) في مجلة "الأطلسي الشهرية" Atlantic Monthly، العدد الرابع، نوفمبر، 1947. يدورالمقال حول أساليب الاستيطان في فلسطين، وادعاء اليهود بأن لهم حقاً تاريخياً ودينياً فيها، مستندين في ذلك إلى حجج معينة. قام ستيس بتصنيفها إلى خمس حجج ثم حللها وفندها واحدة تلو الأخرى، مبيناً أنها حجج واهية لا أساس لها من الصحة، ووصل إلى نتيجة هي أن فلسطين أرض عربية وليس لليهود حق تاريخي أو ديني فيها.

ويمكن أن نستخلص من المقال عدة مسائل مهمة :

أولاً: قضية فلسطين ليست قضية منعزلة؛ لأنها تمس العالم بأسره. فهي تكشف عن مسألتين مهمتين الأولى، هي توجه العالم : هل هو يتوجه نحو السلام أو نحو الحرب، والعنف، وإراقة الدماء ؟ والثانية، هي عدم حيادية الدول الكبرى في موقفها من القضية الفلسطينية ويظهر ذلك في أنها بدلاً من أن تقوم بمحاولة للحكم في النزاع بين العرب واليهود بحيادية، اهتمت بمصالحها الذاتية، وجعلت المسألة إما صراعاً من أجل قوة قومية، أو ما هو أسوء من ذلك، حقيبة صيد – للأصوات لصالح حزب معين.

ثانياً: تصرفات الصهاينة، أو بريطانيا العظمى، أو أمريكا، في السعي إلى فرض هجرة جماعية على فلسطين خلافاً لرغبات أغلبية العرب تشكَل تصرفات "عدوان" وتعارض مبادئ العدالة العالمية، وتقرير المصير، والديمقراطية.

ثالثاً: بيان أن من أهم أسباب الحرب، والعنف، وإراقة الدماء الاحتكام إلى العاطفة، والمشاعر المتحيزة، وعدم الاحتكام إلى العقل. ويركز ستيس كثيراً على ضرورة الاحتكام إلى العقل، لأنه – أي العقل– يزن القضايا بحيادية، وهو مبدأ العدالة والديمقراطية. ومن ثم، يدعو الصهيوني إلى أن يُمعن عقله، ويسأل نفسه عما إذا كان ادعاؤه المزعوم أن فلسطين هي موطنه الأصلي يقوم على تحليل محايد.

(*) قسم الفلسفة جامعة الكويت.

رابعاً: إذا أراد العالم السلام يجب التوقف عن اتخاذ القرار فيما يخص القضايا العالمية عن طريق اعتبارات المصلحة الذاتية، والقوة، والجشع، والعاطفة، وإلى حد ما العواطف الوضيعة المقنعة تحت اسم الوطنية.والبدأ في اتخاذ القرار بشأنها بحيادية عن طريق العقل، ومبادئ العدالة والديمقراطية.

خامساً: يكشف المقال عن حيادية ستيس، وعدم تحيزه في موقفه من القضية الفلسطينية. ويظهر ذلك واضحاً في عرضه للحجج التي يستند إليها اليهود في زعمهم أن لهم حقاً تاريخياً، ودينياً في فلسطين، وهي موطنهم الأصلي. لقد عرض هذه الحجج، وقام بتحليلها واحدة تلو الأخرى. واتبع في عرضه وتحليله المنهجين التحليلي والمقارن. وانتهى إلى أنها حجج واهية لا أساس لها من الصحة،وأن فلسطين هي أرض عربية.

وختاماً أقول : ألا يكشف هذا المقال الذي كتبه ستيس في عام 1947 عما تنبأ به وهو إذا كانت العلاقات الدولية تحكمها القوة بدلاً من القانون ومبادئ العدالة والديمقراطية، ستكون النتيجة كارثية ؟ أليس ما نشاهده في فلسطين وما يحدث فيها الآن خير مثال على ذلك؟

-1-

فلسطين بلد صغير. لكن ما يجري فيها يدل على الحالة التي يعيشها العالم بأسره. إن ما أود توجيه الانتباه إليه هو أساليب الاستيطان المستخدمة في فلسطين، وليس التسوية الخاصة التي يمكن التوصل إليها. وسأحاول أن أبيّن أن هذه الأساليب كارثية، وإذا واصلنا استخدامها في أي مكان في العالم – وهناك دلائل تشير إلى أننا سنستخدمها – فإن النتيجة لن تكون سوى العنف والحرب.

وبقدر ما كانت للحرب العالمية الثانية قضية أخلاقية، فإنها كانت تتعلق بمسألة ما إذا كانت العلاقات الدولية يجب أن تحكمها القوة أم القانون. القانون يعني تطبيق مبادئ العدالة على المنازعات. ومن ثم، فإن القضية هي، في حقيقة الأمر، بين القوة والعدالة. لقد خرجنا من الحرب، ونحن نفترض أن العدالة قد هزمت القوة. ولكن هل نحن الآن في زمن السلام، متبعين أساليب العدالة أم أساليب القوة؟ إن مستقبل العالم، قضية الحرب أم السلام، يعتمد على الإجابة عن هذا السؤال. ومن الأفضل أن نأخذ قضية معينة راهنة ونحللها بالتفصيل، لكي نكتشف ما عساه أن يكون التوجه، بدلاً من أن نقوم بإدلاء بيانات عامة. وفلسطين هي أرض اختبار ممتازة.

تتشكل آراء الناس عن المسائل السياسية والعالمية في الأعم الأغلب على أساس

عواطفهم، ومشاعرهم المتحيزة، ونادراً ما تتشكل على أساس العقل. وهذا هو السبب الرئيس للحروب، وإراقة الدماء التي تملأ العالم. فالعاطفة، والشعور المتحيز، اللذان لا يحكمهما العقل، ينجم عنهما العنف بالضرورة. فالعقل هو مبدأ الديمقراطية، والعدالة. إنه يزن القضايا بحيادية. فالقاضي المختص يصل إلى قرار عن طريق تقديم الحجة على القضية، لا عن طريق الامتعاض منها.إن العقل، وليست العاطفة، لابد أن يكون مرشداً. وعندما يتعلم الناس أن يحكموا آراءهم، وأفعالهم في الشئون العالمية عن طريق العدالة، والحيادية القائمتين على العقل ستنتهي الحروب.

فلسطين هي مثال على ذلك. ليس اليهود والعرب وحدهم ملتهبين بالعواطف التي يطلقون عليها اسم الوطنية، بل إن الدول الكبرى، التي ينبغي عليها على الأقل أن تكون محايدة، لا تقوم بمحاولة للحكم في النزاع بين اليهود والعرب بحيادية. فبدلاً من ذلك تهتم كل منها بالمصلحة الذاتية، وتجعل المسألة إما صراعاً من أجل قوة قومية، أو، ما هو أسوأ من ذلك، حقيبة–صيد للأصوات من أجل حزب محلي معين.

إن أي محاولة لتطبيق قاعدة العدالة على فلسطين محفوفة بمصاعب جسيمة. إذ إنها، في المقام الأول، تُقابل بجدار صلب من الأحكام المبتسرة، وبغض النظر عن هذا، فإن المحاولة ذاتها تُنتقد وتُشجب بشِدة. ونظراً لأن العدالة مفهوم أخلاقي، فإن المرء لا يمكن أن ينظر إليها من غير إثارة أسئلة حول "الصواب" و "الخطأ". ثم ترتفع الصرخة بأن المرء يتكلم أكاديمياً، ويحاول أن يحسم أسئلة عملية عن طريق قواعد أخلاقية "مجردة" ليس لها تطبيق، وليست "واقعية". ولكن كيف للعالم أن يتقدم إلى أي نوع من العدالة العالمية – وهي هدف مُعلن من أهداف الأمم المتحدة، ومُدرج في ميثاقها بناء على طلب الأمريكيين – إلا عن طريق تطبيق مبادئ مجردة في ذاتها على مواقف عينية؟ إن المبادئ التي يُقدمها قانون المحاكم على أعمال الناس هي، كما هي موجودة في كتب القانون، مبادئ مجردة، وفضلاً عن ذلك، فإنها، في التحليل الأخير، نتاج الأفكار "الأخلاقية".

المشهد في فلسطين يتغير بسرعة كبيرة حتى إنه قد يبدو من المستحيل أن نقول أي شيء عنه لن يصبح قديماً خلال شهر. بيد أن مبادئ القانون والعدالة لا تتغير، أو على الأقل تتغير بصورة بطيئة جداً. ومن ثم، فإن المبدأ الرئيس للعدالة الدولية هو المبدأ الذي تم وضعه في الميثاق الأطلسي. ومؤداه أن الدول لها حق تقرير شئونها الداخلية من غير عدوان من دول خارجية. وليس هذا أمراً جديداً، اخترعه روزفلت أو تشرشل. فقد كان

واضحاً جلياً في سياسة ولسون وتصريحاته. إنه الفكرة التي يُفترض أن تقوم عليها عصبة الأمم. إنه، لهذا السبب، الفكرة الأساسية للديمقراطية. لأن تقرير مصير دولة ما، أو ديمقراطيتها يعني أن رغبات مواطنيها هي التي تحكم شئونها. ونظراً لأن رغبات شعب ما لا تكون بالإجماع أبداً، فإن ذلك يعني عملياً أن رغبات الأغلبية هي التي تحكمها.

القول إن دولة ما يجب أن تجبر دولة أخرى عن طريق القوة أو التهديدات على التصرف على نحو يتعارض مع إرادتها الخاصة، أو على نحو يتعارض مع رغبات أغلبية مواطنيها هو "عدوان". إنه قول يتعارض مع مبادئ العدالة، والديمقراطية، وتقرير المصير في تطبيقاتها الخارجية أو الدولية. والقول إن أغلبية ما داخل دولة ما تفرض إرادتها بالقوة على الأقلية هو عدوان بالمثل، بيد أنه يُسمى "طغياناً". إنه إنكار لمبادئ العدالة، والديمقراطية، وتقرير المصير في تطبيقاتها الداخلية أو المحلية. هذا هو فقط المبدأ "المجرد" أو "الأخلاقي" الضروري لحسم الصراع الفلسطيني. ولن يغيره أي تغييرات في المشهد المحلي، ولا شيء في مشهد الأحداث المتغيرة. ولن يتقادم بعد عام من الآن، أو بعد خمسين عاماً. فكيف ينطبق على الصراع بين اليهود والعرب؟

-2-

القضية العربية هي، في حقيقتها، أن العرب يشكّلون أغلبية كبيرة من سكان فلسطين. وهذا القول ليس صحيحاً الآن فقط، ولكنه صحيح منذ ما يقرب من بداية العصر المسيحي، أي منذ ما يقرب من ألفي عام. إن العرب في فلسطين يعارضون، عن حق أو خطأ، أي هجرة جماعية لليهود. ومن ثم، فإن أغلبية سكان فلسطين معارضون لهذه الهجرة الجماعية. ولكن وفقاً لمبدأ تقرير المصير، الذي هو المبدأ المقبول للعدالة الدولية، يجب أن تحكم رغبات أغلبية السكان شئون بلدها، وأي محاولة من جانب دولة خارجية لتجاهل رغبات هذه الأغلبية عن طريق القوة هو "عدوان". ومن ثم، فإن تصرفات الصهاينة، أو بريطانيا العظمى، وأمريكا، في السعي إلى فرض هجرة جماعية لليهود على فلسطين خلافاً لرغبات أغلبية العرب، تشكّل تصرفات عدوان، وتعارض مبادئ العدالة العالمية، وتقرير المصير والديمقراطية.

وأنا لن أجيب بالقول إن الأغلبية العربية تتصرف بشكل "خطأ" في الاعتراض على الهجرة اليهودية، أو إنه بسبب مآسي اليهود "ينبغي" على العرب أن يرحبوا بهم. لأنه وفقاً لمبدأ العدالة المعلن فإن أغلبية الفلسطينيين هم المخولون في تقرير ما ينبغي عليهم أن يفعلوه. وتلك هي ماهية المبدأ. إن محاولتنا إخبارهم بما ينبغي عليهم أن يفعلوه، أو

فرض رأينا في المسألة بالقوة، أو التهديدات يشكّل عدواناً.

يمكن أن نرى هذا المبدأ بصورة أوضح إذا طبقناه على حالة أقرب إلى موطننا. إن أغلبية سكان الولايات المتحدة يعترضون على الهجرة الجماعية للشعوب غير القوقازية، ويستبعدون هذه الشعوب عن طريق القانون. هب أن بعض الدول الخارجية كانت قوية بما فيه الكفاية لمحاولة إجبار الولايات المتحدة على قبول مئات الآلاف من المهاجرين غير القوقازيين ضد إرادتنا. إننا سنعتبر هذا بالتأكيد تصرفاً من تصرفات العدوان، على الرغم من أنه يمكن تقديم حجة جيدة للقول إن اعتراضنا على الشعوب غير القوقازية "خطأ". ومن ثم، يجب علينا أن نقر لأغلبية سكان فلسطين بالحق نفسه في تقرير المسائل الخاصة بالحق والخطأ بأنفسهم مثلما ندعي لأغلبية سكان الولايات المتحدة.

قد يقال إنه على الرغم من أن المبدأ الديمقراطي المتمثل في حكم الأغلبية ينطبق بشكل جيد للغاية على دولة ذات عدد سكان متجانس إلى حد معقول مثل إنجلترا، أو الولايات المتحدة، فإنه لا يمكن أن ينطبق على دولة تواجه فيه أقلية دينية أو عنصرية دائمة أغلبية عنصرية أو دينية معادية ودائمة، كما هو الحال في فلسطين، والهند أيضاً. صحيح أن موقفاً كهذا يخلق صعوبات جسيمة للحكومات الديمقراطية. فقد يُستخدم كحجة للتجزئة، أو لما يُسمى في الهند "بالتمثيل الطائفي". إنه يبيّن أنه عند تطبيق المبادئ الديمقراطية على بلد كهذا لابد أن توضع بعض الترتيبات الخاصة لحماية الأقلية من الظلم. بيد أنني لا أرى كيف أن هذه الاعتبارات، على الرغم من أنها تبرهن على ضرورة وجود أجهزة دستورية خاصة يمكن أن تؤثر في المسألة المطروحة أمامنا. لا يمكن أن يقال إنه نظراً لأن حكم الأغلبية صعب في عدم وجود سكان متجانسين، فبالتالي ينبغي السماح بتطبيق حكم الأقلية بأي حال من الأحوال في حالات معينة مثل قوانين الهجرة. وهذا هو ما تصل إليه الحجة التي ندرسها. ومن ثم، فإنه يجب رفض هذا الاعتراض على القضية العربية.

وهكذا يتبيّن أن القضية العربية ترتكز بشكل مباشر على مبادئ العدالة الدولية المعترف بها. إنه تطبيق مباشر لها على فلسطين. ويبدو منطق الحجة في ظاهره قاطعاً لا يمكن الرد عليه. دعنا نرى الحجة التي يمكن أن يتخذها الصهاينة ضدها.

-3-

تقوم القضية الصهيونية على خمس حجج أساسية. وهي حجج لا يمكن تصنيفها

وتبقى متميزة. إنها، مثل معظم الحجج على معظم الموضوعات، تُقدم غالباً للجمهور مختلطة معاً في كومة مشوشة. ولكن إذا تم تحليلها وتقسيمها بصورة صحيحة، فإنها يجب أن تؤخذ منفصلة ويتم تناولها للنظر فيها واحدة تلو الأخرى. وأي إجراء آخر لا يمكن أن يؤدي إلا إلى تفكير مشوش.

الحجة الأولى هي أن فلسطين كانت أرضاً يهودية في العصور القديمة. لقد كانت لأزمنة طويلة أرض اليهود وموطنهم القومي. قد يقال بشكل معقول إنها كانت "مملوكة" لليهود. ويقال فضلاً عن ذلك إنهم لم يتركوها بمحض إرادتهم الحرة الخاصة. وتم تجريدهم من ممتلكاتهم قسراً. وهذا يُعطي لهم حقاً في دخولها من جديد الآن، ويجعلونها موطنهم القومي مرة أخرى.

ما القوة، إن وُجدت، في هذا الادعاء؟ لا يمكن الإجابة عن هذا السؤال إلا بعد أن نقرر أولاً ما أسس الحق التي يمكن بها لأي دولة أن تطالب بالبلد الذي تحتله. الإجابة واضحة. وهي أنه ليس لدى أي دولة الحق في الأرض التي تحتلها إلا في حالة الحيازة الطويلة. ما الحق في أن يعيش الأمريكيون في الولايات المتحدة، ويحتلوها، ويسيطروا عليها؟ ليس هناك حق سوى أنهم عاشوا هناك بالفعل لمدة مائتي عام أو ثلاثمائة عام. صحيح أنه كانت هناك حالات تُسمى بالشراء من الهنود. ولكن لا أحد يدعي أن الحق العام للشعب الأمريكي في احتلاله هذا البلد يرتكز على هذه المشتريات. وعموماً، لقد استولينا على الأرض بأي وسيلة بدت مناسبة آنذاك. وتم تجريد اليهود، في معظم الحالات، قسراً من ممتلكاتهم. ومن ثم، فإن الادعاء الأمريكي يقوم على ما يسميه المحامون الحيازة الطويلة، أو "التقادم".

والشيء نفسه يصدق على كل شعب آخر في العالم. وفي معظم الحالات لا يوجد حتى في ادعاء الشراء الذي نجده في أمريكا. فالبريطانيون، والفرنسيون، والألمان، واليابانيون ليس لهم الحق في البلاد التي يعيشون فيها إلا بالحيازة الطويلة.

وإذا حكمنا عن طريق هذا المبدأ الوحيد الممكن تطبيقه، فإنه سيكون لدى العرب حق أفضل بكثير في فلسطين من حق الأمريكيين في أمريكا. لأنهم سكنوا البلد بالفعل منذ ما يقرب من مائتي عام. وربما قد يكون هناك دائماً أقلية يهودية صغيرة في فلسطين، مثلما أنه قد كانت هناك أقلية هندية صغيرة في أمريكا منذ احتلالها الأبيض حتى الآن. وهذا من شأنه أن يُعطي لليهود حقاً في التصويت، وحقاً في المعاملة المحترمة، مثلما يُعطي الحقوق نفسها للهنود في أمريكا. ولكن هذا كل ما في الأمر.

وتوضح هذه الاعتبارات حقيقة مفادها أنه إذا كانت فلسطين أرضاً يهودية في العصور القديمة فإن ذلك لا يمكن أن يُعطي لليهود حق الدخول الجماعي إليها الآن. وبغض النظر عن الطريقة التي امتلك بها شعب ما في الأصل بلداً ما، سواء أكان عن طريق العدوان، أم الحرب، أم بطريقة أخرى، فإنه يجب علينا في النهاية، أي بعد فترة طويلة فعلياً، أن نعترف بحقه الخاص فيها، مما يعني بطبيعة الحال أن المطالب السابقة كلها قد سقطت. لأن هذا هو الأساس الوحيد الذي يستطيع أي شعب بموجبه أن يطالب بالبلد الذي يسكنه. ما عساها أن تكون "فترة طويلة بالفعل؟". بالتأكيد إنها ألف عام. وبذلك فإن الحجة الصهيونية الأولى ليست قوية تماماً.

والحجة الثانية هي أن فلسطين لها دلالة دينية مقدسة خاصة بالنسبة إلى اليهود. هل يمكن أن نعترف بالمشاعر الدينية من حيث إنها تقدم أي نوع من الحق في هجرة جماعية إلى بلد ما ؟ ألا نقر بحق كهذا في أي قضية أخرى؟ جليَ، لا. إن التايلنديين لا يستطيعون تأكيد الحق في الهجرة إلى الهند لأنهم بوذيون، ولأن الهند التي وُلد فيها بوذا وعاش فيها لها دلالة دينية خاصة بالنسبة إليهم. ولا يستطيع البريطانيون، والأمريكيون، المسيحيون، المطالبة بحق استيطان جماعي في فلسطين على أساس أن لها بالنسبة إليهم، تماماً مثلما هي بالنسبة إلى اليهود، دلالة دينية عميقة. "آه، لكن التايلنديين، والإنجليز، والأمريكيين لهم أوطانهم القومية الخاصة بالفعل، في حين أن اليهود مشردون. ومن ثم، فإن الحالتين ليستا متوازنتين". بيد أن هذا مثال للتفكير المشوش الناجم عن خلط حجج متميزة بعضها عن بعض. إن مسألة ما إذا كان تشرد اليهود يغير القضية بأي شكل من الأشكال هي مسألة منفصلة سأنظر فيها في موضعها المناسب.

والحجة الصهيونية الثالثة هي أن الحكومة البريطانية وعدت اليهود في عام 1917 بأنه سيكون لهم وطن قومي في فلسطين. إن ادعاء أخلاقياً هنا يقوم على المبدأ العام لحرمة الوعود. وعلى هذا الأساس فإن مطالبة العرب بتقرير المصير، ومطالبة اليهود بموجب وعد بلفور قد وصفتهما لجنة بريطانية بأنهما "أساساً صراع الحق مع الحق". هذا جزء مثير جداً من التشويش. فهو يقر، أولاً، أن المعيار الأخلاقي في "الصواب" و "الخطأ" يجب أن يكون له تطبيق على الخلاف. هذا صحيح. ويقر، ثانياً، أن المطالبة العربية تقوم على مبدأ تقرير المصير، وبالتالي على "الحق". وهذا صحيح

أيضاً. ويتضمن، ثالثاً، أن المطالبة الصهيونية، القائمة على الوعد البريطاني، تمنح اليهود حقاً أخلاقياً. بيد أن ما يبرهن عليه هذا الاقتراح الأخير هو أن المفوضين الملكيين لم يكونوا أكفاء إلى حد كبير كمحليين أخلاقيين. لقد اعتقدوا أنه "يجب الوفاء بالوعود، والذين يستقبلون الوعود لهم حق أخلاقي في المطالبة بالإيفاء بها. ومن ثم، فإن اليهود في هذه الحالة لهم مثل هذا الحق".

هذا جزء فج من التحليل الأخلاقي. إن الوعود الخطأ والظالمة يجب ألا تُنقد ولا تُعطي حقوقاً للمطالبة بأنها يجب أن تُنفذ. فلا تستطيع، مثلاً، أن تطالب بحق أخلاقي في تنفيذ الوعود بالسرقة. وإذا فعلت ذلك، فستكون شريكاً في السرقة. ومن ثم، فإن السؤال الذي يُثار هو عما إذا كان للبريطانيين أي حق في إعطاء وعود خاصة بشأن التصرف في فلسطين بما يتعارض مع رغبات أغلبية سكان هذا البلد. واضح، أنه وفقاً لمبدأ الديمقراطية ومبدأ تقرير المصير، اللذين هما المبدآن المسلم بهما للعدالة العالمية، ليس لهم الحق. إن تصرفهم في القيام بذلك هو تصرف من تصرفات العدوان. ومن ثم، فإن وعد بلفور لا يُعطي للصهاينة حقاً أخلاقياً، وإذا أصروا على تنفيذه فإنهم محرضون على العدوان.

-4-

ونأتي الآن إلى السؤال عما إذا كان تشرد اليهود، الذي يجب أن نضيف إليه المعاناة المخيفة التي عانوا منها، ويعانون منها، والاضطهادات، والمذابح، وكل صنوف الرعب الأخرى، يمكن أن يكون أساساً لحق في هجرة جماعية إلى فلسطين.

لا يمكن لشخص إنساني أن يرى هذه الحقائق من غير أن تستثير فيه مشاعر عميقة من الشفقة والخجل. الشفقة على الضحايا، والخجل بسبب قسوة جنسنا البشري وشره. بيد أنه يجب علينا أن نسأل ما المزاعم الأخلاقية التي يمكن تأسيسها على ذلك. من المؤكد أن هذا يثير مطالبة بالمعاملة الكريمة من قبل كل بلد في العالم. ولكن لأن الحقائق تسفر عن مطالبة متساوية من كل البلاد المتحضرة (لكن المطالبة تكون أقوى من تلك البلاد التي كانت مسئولة أكثر عن المعاناة)، فإنها لا يمكن أن تسفر عن أي مطالبة خاصة من فلسطين. فالمطالبة تكون من إنجلترا، وأمريكا، وروسيا، وفرنسا، وفلسطين

أيضاً، ولكنها ليست مطلوبة من فلسطين أكثر من أي بلد آخر.

إنه يجب علينا حالاً أن نعترف بهذا المبدأ في القانون المحلي. وهو أنه إذا كان هناك مواطن فرد في بلد ما مشرداً، ومضطهداً، وجائعاً فإن له حق المطالبة بالخلاص من هذه الأوضاع. ولكن المطالبة تكون من المجتمع كله، لا من مواطن فرد معين (إذا لم يكن هذا المواطن هو الذي سبب بصورة خاطئة بؤسه). إن أوضاعه لا تعطيه حقاً في المطالبة بأن يجعل مسكنه في منزل السيد سميث، والسيد جونز، أو أن يطلب منهما غذاء. إن ثمة واجبات ومسؤوليات بالفعل من كليهما فيما يخص هذا الشأن، ولكن بوصفهما عضوين من أعضاء المجتمع، جنباً إلى جنب وبصورة متساوية مع كل المواطنين الآخرين. وبذلك، فإن البشرية بأسرها، أيضاً، عليها واجب واضح جلي في أن تجد حلاً لمشكلة اليهود، وأن تضع حداً لاضطهادات اليهود وبؤسهم. بيد أن الحل ليس هو فلسطين.

والحجة الأخيرة المطروحة بشكل عام وتقال لمصلحة الصهيونية هي أن المهاجرين اليهود إلى فلسطين قد قاموا بالفعل بتطوير البلد بشكل كبير، وأن هجرة أكثر ستسفر عن فوائد أكثر لها. هذه الحقيقة يجب الاعتراف بها. وليس ضرورياً أن نخوض في أي تفصيلات هنا فيما يخص صنوف التطوير الاقتصادية والثقافية التي قام بها اليهود في فلسطين. فهي معروفة جيداً. والسؤال الذي يجب أن يُثار هو عما إذا كانت هذه الحجة تشكل حجة صحيحة لمصلحة الصهيونية.

إن نقطة الضعف في هذه الحجة هي أنها يمكن أن تُستخدم في الغالب لتبرير أي عدوان أياً كان – على الأقل أي عدوان عن طريق دولة متقدمة ومتحضرة بصورة كبيرة على دولة أكثر تخلفاً. إن هتلر قد يقول إنه حكم فرنسا، وإنجلترا، بل وحتى أمريكا بصورة أكثر كفاءة من الحكام الحاليين لتلك البلاد. وقد لا يكون الادعاء مفتقداً للحقيقة تماماً. إنه قد يقول – وقد قال بالفعل – إن غزواته قد أفادت العالم في النهاية. وإذا اعتبرنا هذه الادعاءات في هذه الحالة خيالية، فإننا سنعتبر ادعاءات أخري كذلك. إن البريطانيين قد برروا باستمرار موقفهم في الهند عن طريق الفوائد التي جلبوها لها. وهذا الادعاء بتطوير البلد صحيح في بعض النواحي حتى إن لم يكن صحيحاً في نواح أخرى.

لقد برر موسوليني غزوه لأثيوبيا عن طريق الادعاء بأنه سوف يقضي على العبودية، ويُدخل بوجه عام أساليب أكثر تحضراً في الحياة. ويمكن أن يكون هناك شك ضئيل في أنه قد فعل ذلك في حقيقة الأمر.

هذه كلها بلا شك حالات مثيرة للجدل. بيد أن المبدأ جلي واضح. إن شعباً متحضراً للغاية يطوّر دائماً تقريباً بلد شعب متخلف عن طريق غزواته لهذا البلد. ومن ثم، إذا كانت هذه الحجة تبرر الصهيونية، فإنها ستبرر أي عدوان شعب أكثر تحضراً على شعب أكثر تخلفاً. وهذا ما لا يمكن أن نقره بدون تقويض، وفي النهاية تحطيم مفهوم العدالة الدولية الذي نعلن الالتزام به. وفضلاً عن ذلك، إذا قبلنا هذا المفهوم، فإننا لا يمكن إنكار أن الشعوب (التي تعني في حقيقة الأمر الأغلبيات في أي شعب) لها الحق في إدارة شئونها الخاصة بصورة سيئة، وتقاوم أي محاولات من قبل أجانب لكي يديروها بصورة أفضل.

ثمة خطر بالفعل أن نصبح أكاديميين هنا. ربما كان من "الخطأ" بالنسبة إلى قيصر أن يقهر الغاليين. ولكن هل نستطيع أن نرفض بالفعل أن حقبة السلام الروماني Pax Romana[*] هي التي جعلت أوروبا متحضرة؟ ربما ارتكبنا "خطأ" عندما حرمنا الهنود من بلدهم. ولكن هل كان من الصواب من أجل بعثرة نصف الناس المتحضرين استبعاد إلى الأبد من هذه القارة الشاسعة أولئك الذين كانوا أكثر كفاءة منهم للاستفادة من فرصها؟

ومع ذلك، يبدو ليّ أن المبدأ القائل إن لأي شعب الحق في أن يفرض دخولاً إلى بلد آخر إذا تُمكّن من إظهار أنه يقوم بتطويره – الذي هو الأساس للزعم الصهيوني – هو مبدأ خطير في حالة العالم الراهنة حتى إنه ينبغي عدم إقراره. ومن الأفضل أن نفرط في الحماسة ضد العدوان بدلاً من أن نتبنى في فلسفتنا عن العلاقات الدولية مبدأ يمكن

---

[*] يستخدم مؤرخو الزمن الحالي مصطلح "السلام الروماني" لوصف الحقبة الممتدة بين عام 27 ق.م – عندما مُنح أوكتافيان لقب أغسطس – وعام 180 بعد الميلاد عندما توفي الامبراطور ماركوس أوريليوس. وتستخدم هذه العبارة أحياناً للإشارة إلى كونها حقبة مستقرة نسبياً في التاريخ الروماني مقارنة بحقبة أخرى سابقة (المترجم).

تحريفه بسهولة من أجل تبرير أي عدوان، أو حرب أياً كانت.

-5-

يبدو لي أن تحليل القضية المقدم لصالح الصهيونية، والمقدم ضدها لا غنى عنه على الإطلاق لأي سبب من الأسباب المنطقية. ربما تم ارتكاب أخطاء طفيفة في عرض المسألة. ويمكن باستمرار التقاط جمل أو تعبيرات وإيجاد أخطاء فيها. بيد أن منطق القضية كله واضح وجلي للغاية حتى إنه لا يحتمل أي خطأ في النتيجة العامة وهي أنه، فيما يخص النزاع بين اليهودي والعربي، يكون الادعاء العربي صحيحاً، والادعاء الصهيوني لا أساس له. وهذه هي النتيجة الحتمية التي يصل إليها أي حكم محايد.

بطبيعة الحال، ستكون هذه النتيجة محل خلاف ونزاع عنيف، ولكن الخلاف سيقوم على الأهواء المبتسرة، والعواطف، والشعور المتحيز. دع الصهيوني الغاضب والمزدري مما قد قيل يُعمل عقله، ويسأل نفسه عما إذا كانت آراؤه تقوم على تحليل محايد لجانبي القضية. وإذا سأل كيف يمكن أن يتوقع أن يكون محايداً في مسألة يهتم بها هو وشعبه مثلما يهتم بمسألة الحياة والموت، فإن المرء لابد أن يجيب بما لا يدعو للشك بالقول: إن الحيادية من حيث إنها بينه وبين الآخر، من حيث إنها بين مزاعمه ومزاعم الآخر، هي ماهية العدالة والأخلاق، هي الطريقة الوحيدة التي يتصرف بها بعدالة تجاه الآخرين في العالم.

بيد أن حالة اليهود التعيسة في أوروبا تمنحهم، كما رأينا، حقاً متساوياً في جميع الدول المتحضرة في العالم. وبذلك فإن الحل الصحيح للمشكلة واضح جداً. وهو أنه يجب على كل البلاد قليلة السكان – مثل استراليا، وكندا، وأجزاء من الولايات المتحدة، وفلسطين نفسها، وآخرون أن تعدّل سياستها الخاصة بالهجرة بحيث إن كل دولة من هذه الدول تأخذ حصتها المناسبة، حسب المساحة الفارغة المتاحة، من هؤلاء اللاجئين. هذا هو بوضوح الحل الوحيد العادل بالنسبة إلى جميع الأطراف، الذي لا يمكن لأحد أن يقول إنه انتهاك لحقوقه. إذن لماذا لم يقبل ساسة العالم هذا الحل؟ لماذا، على الرغم من أن إلزام كل البلاد باستقبال اللاجئين إذا كان لديها مساحات خالية معترف به في التقرير الأنجلو-الأمريكي الراهن، تم التخفيف من حدة الأمر هناك، وتم التركيز على هجرة

اليهود إلى فلسطين؟ لماذا لم يلق اهتماماً ولا مناقشة؟

صحيح أن الرئيس ترومان أفصح عن نيته في الطلب من الكونجرس بزيادة حصة الهجرة بالنسبة للاجئين، بما فيهم اليهود، بيد أن هذا لم يلازمه أي اعتراف بأنه من هذا المنطلق وحده يكمن الحل الوحيد العادل للمشكلة اليهودية. لم يلازمه تخل عن سياسة الظلم في فلسطين. إنه لم يغير الموقف أساساً. ويجب علينا أن نكرر سؤالنا لماذا، على الرغم من أننا نعطي هذا التقدير الحاقد والمشكوك فيه لمزاعم الحل العادل، نلقي بكل ثقلنا على جانب الحل المظلم. إذا وجدنا الإجابة الصحيحة عن هذا السؤال، فإننا نضع أصابعنا على ما هو فاسد في عالم اليوم، نضعه على ما هو محتم أن يجعل بالتأكيد مستقبل العالم كابوساً للحرب، نضعه على ما يجعل كل جهودنا من أجل السلام هراء. إن الإجابة هي أننا، سكان الولايات المتحدة، وكندا، وأستراليا، وبريطانيا العظمى، وبقية سكان البلاد المعنية، لا يريدون الإقرار بالتزاماتنا الواضحة في هذه المسألة. إننا لا نريد أن نأخذ حصتنا العادلة من العبء. لقد وجدنا بلداً صغيراً، هي فلسطين، وشعباً نائياً وأعزل، هم العرب، اللذين يمكن أن نلقي عليهما عبء واجباتنا ظلماً.

غالباً ما يقال إن اليهود أنفسهم تواقون للذهاب إلى فلسطين، ومعظمهم لا يريدون الذهاب إلى بلاد أخرى. هذا صحيح إلى حد كبير. لكن يجب علينا ألا نفترض أن هذه حجة تدعم عدالة الزعم الصهيوني. لأنه منذ متى أصبح مبدأ من مبادئ العدالة يقول إنه في نزاع يتعلق بالملكية، أو أي شيء آخر تكون الرغبة القوية لدى أحد الطرفين في الحصول على ما هو متنازع عليه هي التي تجعله يطالب به؟ إن ما يريده الناس لا يبرهن إلا على ما يريدونه، لا على أنه يحق لهم امتلاكه في ظل العدالة. وإذا كانت البلاد المعنية تُظهر أنه يتطلب من فلسطين أن تأخذ فقط حصتها المناسبة من اللاجئين، إلى جانب دول العالم الأخرى، وأن تقف بحزم إلى جانب هذا القرار، فإن اليهود سيذهبون بما فيه الكفاية إلى أمريكا، وكندا، أو إلى أي بلد آخر سيعاملهم بكرامة. وإذا دعمت هذه الدول رغبة اليهود الشديدة في الذهاب إلى فلسطين كمبرر لعدم تذليل عوائق الهجرة الخاصة بها، فهذا ليس أكثر من عذر زائف.

إن السبب الحقيقي وراء إحجام هذه البلاد عن تذليل عوائق الهجرة لديها يكمن في

سبب آخر. عندما قال السيد بيفن Pevin*[*] إن أمريكا تضغط على بريطانيا من أجل السماح لمزيد من اليهود بدخول فلسطين لأننا لا نرغب في السماح لهم بالدخول إلى أمريكا، فإن ملاحظته قوبلت بصرخة من الشجب. وطبيعي أن يحدث ذلك، لأن الحقيقة مرة، وكشفت خبثنا ونفاقنا! بيد أن ملاحظته تنطبق على الإمبراطورية البريطانية مثلما تنطبق على الولايات المتحدة. إنه يجب علينا أن نواجه الحقيقة الواضحة، مهما كانت مزعجة، مهما كانت مخزية، وهي أنه لا دولة من البلاد الكبرى تريد هؤلاء اللاجئين، ومن ثم، فإنها تحاول أن تدفع بهم إلى بلد عربي صغير. والسبب في أن أمريكا بصفة خاصة تحاول أن تحث على اتخاذ الخطوات اللازمة، بينما بريطانيا تتأخر هو ببساطة أن تصويت اليهود قوي في أمريكا، بينما نفوذ العرب مهم بالنسبة إلى الإمبراطورية البريطانية.

بيد أنه سيقال إن خط التفكير كله هذا ليس سياسة عملية. إنه ليس "واقعياً". إن الولايات المتحدة، والإمبراطورية البريطانية ترفضان تذليل العوائق بما يكفي لحل المشكلة، وليس أقل فائدة محاولة اقناعهما بذلك، أو تبني حل المشكلة اليهودية المقترح هنا. ومن ثم، فإن الحل الوحيد المتبقي هو فلسطين. وقد يكون كذلك. ويجب على السياسيين العمليين أن يعرفوا ذلك. ولكن ما أريد بيانه هو أن نوع سياستهم "العملية" و "الواقعية" هو ما يؤدي إلى الحرب، وما يؤدي لا محالة إلى الحرب مرة أخرى، ليس في فلسطين، ولكن في جميع أنحاء العالم.

هل نحن نريد السلام أم لا نريده؟ إذا أردنا السلام، فإنه لا وجود إلا لسبيل واحد لتحقيقه. وهو أنه يجب علينا أن نتوقف عن اتخاذ القرار فيما يخص القضايا العالمية عن طريق اعتبارات حقيبة صيد –للأصوات، والمصلحة الذاتية، والقوة، والجشع، والأحكام المبتسرة، والعاطفة، وإلى حد ما العواطف الوضيعة المتصنعة تحت اسم الوطنية. إنه يجب علينا أن نبدأ في اتخاذ القرار بشأنها بحيادية عن طريق العقل، ومبادئ العدالة.

هذا هو درس فلسطين الحقيقي. إنها ليست قضية منعزلة. إنها تمس مستقبل

---

[*] إرنست بيفن (1881– 1951) نقابي ورجل دولة بريطاني، عمل وزيراَ للخارجية البريطانية (المترجم).

العالم بأسره. ولما كانت جرنيكا[*] بمثابة أرض اختبار جيدة لأساليب الحرب الألمانية والإيطالية، فإن فلسطين هي أرض اختبار لسياستنا الخاصة بالسلام. إن أساليبنا هناك، معالجتنا العاطفية واللاعقلانية في التعامل مع المشكلة، تكشف عن خواء، وعبث احتجاجاتنا على السلام.

[*] في عام 1937 قام فيلق النسر الألماني بغارة على مدينة جرنيكا استمرت ثلاث ساعات، أسقط خلالها 22 طناً من القنابل، ويُذكر أن ضحايا الغارة بلغ 1700 في حين أن دراسات المؤرخين اللاحقة أكدت أنه لم يتجاوز 153 قتيلاً (المترجم).

رؤية سيلا بن حبيب للصراع العربى الإسرائيلى

عبير سعد[*]

مقدمة :

يمثل الصراع العربي – الإسرائيلى صراعًا ممتدًا، تمخضت عنه أوضاعًا معاصرة شائكة، وبالطبع مستقبلًا مترقبًا من الجميع؛ فهو صراع تشابكت مفعولاته بين ما هو قومي وما هو عقيدى وماهو إيدلوجى،وما هو وجودي فى صورة دفاع عن الحدود.وعلى الرغم من أن الصرع العربي– الإسرائيلي صراعًا ليس بجديد بل بدأ عندما أصبح هدف في مشروع الصهيونية العالمية نهاية القرن التاسع عشر، مرورًا بحرب 1948 والإعلان عن دولة إسرائيل 1948؛ تلاها سلاسل من المجازر والتهجير القسيرى وحملات الإبادة الجماعية المستمرة حتى اللحظة الراهنة للشعب الفلسطينى المقاوم؛ الذى يرفض التخلي عن أرضه مهما تكبد من معاناة.

لقد اهتم كثير من الساسة والفلاسفة والمفكرين ببيان رؤيتهم وموقفهم من هذا الصراع، وكيف يمكن حسمه أو التنبأ بمستقبله،وما هي أهم الأطراف الفاعلة فى تحديد مقدراته، وتباينت رؤياهم و تواتر مواقفهم بخصوص العدوان الذي شنه ومازال يشنه الاحتلال الإسرائيلي على قطاع غزة منذ أحداث السابع من أكتوبر 2023 "طوفان الأقصى". فنجد مواقفهم تنحو في معظمها في اتجاه إدانة العملية، إلا البعض القليل، من اليسار الراديكالي، الذي ندد بالقتل الهمجي للمدنيين من قبل جيش الاحتلال، في حين بقي البعض الآخر في مناطق رمادية تخفي انحيازاً إلى سياسة "إسرائيل." لم تكن الفيلسوفة الأمريكية المعاصرة من أصول تركية سيلا بن حبيب سيلا بنحيب Seyla[**]

---

[*] باحثة دكتوراه في كلية الآداب – جامعة القاهرة

[**] ولدت سيلا بن حبيب باستانبول ، وهي من أصل يهود الأتراك ، تعمل بن حبيب أستاذة العلوم السياسية والفلسفة ، وتعرف باهتمامها بالنظرية النقدية ، أو ما يعرف بالنظرية السياسية النقدية النسائية . وبحكم انشغالها بقضايا النوع الاجتماعي (الجندر) .عملت سيلا بن حبيب مديرة برنامج الأخلاق والسياسة والاقتصاد (2002 - 2007) للجهة الشرقية من أمريكا. كما أنها عضوة بالأكاديمية الأمريكية للفن والعلم منذ سنة 1995. حصلت بن علي جائزة Ernst Bloch عام (2009)، وتعتبر من الجيل الثالث إلي جانب أكسيل هونيث Axel Honneth. (+ 1949) ،انظر موقع سيلا بن حبيب :
http:/www.yale.eud/polisci/people/sbnhabib.htm

Benhabib (+ 1950) باعتبارها أحد الوجوه البارزة في مدرسة فرانكفورت و الساحة السياسية الدولية بفضل مواقفها المبدئية والداعمة للشعوب المضطهدة والمُقصاة بسبب الهُوية أو اللغة أو الدين بعيدةً عن هذا المشهد، فلقد فرضت عليها الظروف ضرورة بيان موقفها وأن تدلو بدلوها في أحداث " طوفان الأقصى" وما تبعه من إبادة جماعية للشعب الفلسطينى. والسؤال الذى يطرح فى هذا الصدد هل بن حبيب لم تهتم بالتطرق إلى قضية الصراع العربى الإسرائيلى قبل أحداث طوفان الأقصى ؟ وإذا كانت الإجابة بلا، فهل تغير موقفها أم ظل ثابتًا ؟ وما جوهر هذا الصراع من منظورها ؟ وهل نحنت بن حبيب نحو أستاذها الفليسوف الألمانى يورجين هبرماس فى رأيه من ضرورة التضامن مع دولة إسرائيل و الإنكار لعلميات الإبادة المستمرة للشعب الفلسطينى ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات سوف نتطرق ونحلل موقف سيلا بن حبيب من خلال مرحلتين :

الأولى : قبل أحداث طوفان الأقصى : وترجع إلى هجوم إسرائيل على غزة (ديسمبر 2008) فيما يعرف بعملية الرصاص المصبوب.

تبدأ سيلا مقالها (What is Israel's End-Game?) ببدء الهجوم العسكري الإسرائيلي على قطاع غزة، موطن مليون ونصف المليون فلسطيني، في الثامن والعشرين من ديسمبر/كانون الأول 2008، وهو اليوم الأخير من عيد الحانوكا، أو "مهرجان الأضواء". ويحكي (عيد الحانوكا قصة ثورة العبرانيين القدماء، بقيادة يهوذا المكابي، في القرن الثاني قبل الميلاد ضد أنطيوخس الرابع أبيفانوس. وتقول الأسطورة إنه عندما نجح المكابيون[1] في تحرير الهيكل من أنطيوخس، لم يجدوا من الزيت ما يكفي لإشعال الشمعدان ليلة واحدة فقط. ولكن هذا الزيت ظل مشتعلاً لمدة ثماني ليال بدلاً من ذلك).[2] إن سيلا توضيح كيف استخدمت إسرائيل الحيلة الخبيثة فى الربط بين توقيت الهجوم على الشعب الفلسطينى وبين الملحة اليهودية للمكابيين لتلاعب بمخيلة الشعب اليهودي واستعادة تصوير الدور البطولى للإسرائيل تلك الحيلة التى تضمر ورائها نوايا دفينة ممتلة بالشر والإخفاق فى نفس الوقت. وهذا ما توكده سيلا بقولها (في حين كان لدى المستوى السياسي والقيادة العسكرية الإسرائيلية أسباب عديدة لتوقيت هجومها على غزة كما فعلت، إلا أنها كانت بالتأكيد تعرف الصدى البطولي الذي سيخلفه مهرجان الأضواء في أذهان الجمهور الإسرائيلي: مرة أخرى، كان اليهود يكتبون قصة المقاومة ضد مضطهديهم: لقد هزم وزير الدفاع إيهود باراك، يهوذا المكابي الجديد، التهديد للبقاء الجماعي ببطولة).[3]

إن هذه الذكريات القوية عن بقاء اليهود ومقاومتهم، إلى جانب التصميم الذي أبداه زعماء إسرائيل بعد المحرقة على أن الشعب اليهودي لن يخضع للتدمير مرة أخرى، تشكل الينابيع العاطفية التي يستمد منها زعماء إسرائيل إلهامهم كلما انخرطوا في حرب. ورغم هذا فإن الاعتبارات الاستراتيجية والسياسية الواقعية التي تحكم العمل العسكري الحالي في غزة واضحة بما فيه الكفاية، وهذا ما تشيره إليه سيلا بقولها (إذ يقال إن أي دولة لا تستطيع أن تقبل الهجمات الصاروخية المستمرة وغير المتوقعة؛ وهي ملزمة بالدفاع عن حدودها وسكانها. ولكن أولئك الذين ينظرون إلى الأمر بشكل أعمق يشيرون إلى أن عملية غزة تحاول استعادة الحصانة العسكرية التي تبدو لإسرائيل، والتي فقدتها في أعقاب حرب لبنان في عام 2006. فضلاً عن ذلك فإن الانتخابات العامة سوف تعقد في إسرائيل والأراضي الفلسطينية في الأشهر المقبلة، ومن بين المرشحين لمنصب رئيس الوزراء وزيرة الخارجية الحالية تسيبي ليفني من حزب كاديما، فضلاً عن وزير الدفاع الحالي إيهود باراك من حزب العمل)[4].

ولكن لا شيء من هذا يفسر شراسة العمل الإسرائيلي، وعدم تناسبه ليس فقط مع الهجمات من الجانب الآخر بل وحتى مع أي هدف إسرائيلي يمكن تصوره، وانتهاكه للقانون الإنساني الدولي، وتورطه المحتمل في جرائم حرب ضد الإنسانية ؟!

ونجد تفسير ذلك فى رأي سيلا يكمن فى أن إسرائيل فقدت رؤيتها السياسية وقوتها العسكرية، وأن تصرفاتها لا تتمتع بأي حس سياسي واضح. فالقوة العسكرية، التي تحررت من التبعية للأهداف السياسية، أصبحت عمياء ووحشية. ولا أحد في القيادة الإسرائيلية يتمتع برؤية سياسية، ولا تعني بذلك استراتيجية لأهداف بعيدة المدى يمكن وضعها بين دورتين انتخابيتين وتعديلها وفقاً للظروف، بل رؤية سياسية، على النحو الذي يفترض أن يتمتع به مؤسسو الجمهوريات. وتتساءل بن حبيب كيف يمكن لهذا الكيان أن يستمر؟ وما هي المؤسسات الدائمة التي يمكن أن يورثها لأبنائه وأحفاده والتي سوف تتيح لهم الحرية في الازدهار كأفراد ومواطنين؟ ومن يملك اليوم مثل هذه الرؤية السياسية في ضوء الصراع الإسرائيلي الفلسطيني؟ **وتؤكد بن حبيب أن الإسرائيليين فقدوا هذه الرؤية المتزنة، كما أن الوضع بالنسبة للفلسطينيين ليس أفضل حالًا؛ فعلى الرغم من امتلاكهم لقوة الأخلاق ورياح التاريخ، فقد هُزِموا مراراً وتكراراً على يد إسرائيل، وخانتهم الدول العربية، وظلوا دوماً يتحدثون كثيراً ويفتقرون إلى الأفعال).**[5]

إن المتامل لتحليل بن حبيب لفشل إسرائيل وتخبطها وعنفها الدموي ضد الشعب

الفلسطينى راجع من المقام الأول لافتقاد ساسة إسرائيل إلى الرؤية المستنيرة البعيدة عن الأطماع والمطامح الشخصية فى إعتلاء المناسب والسيطرة على الأمور، والأمر بالنسبة لفلسطين كذلك؛ فبالرغم من إعترافها بأن الشعب الفلسطيني يتمسك بالقيم والأخلاقيات الإنسانية فى جل مآسيه ويحركه تاريخه ويؤثر فى مسيرته إلا أنه هزم فى رأيها بسبب تخاذل الدول العربية و اهتمامه بالأقوال وليس الأفعال. **ولعل ما قصدت سيلا فى جانب من حديثها – من وجه نظرنا – صحيح وهو خذلان كثير من الدول العربية للقضية الفلسطنية ودعم الشعب الفلسطينى، بيد أنها فاتها أن تحلل أن الهزائم التى تكبدها الشعب الفلسطينى مرارًا وتكرارًا كانت ناتجة عن عدم تناسب موازين القوى،** فإسرائيل محمية بدعم أمريكا و العديد من دول أوربا وتملك الكثير من آليات السيطرة على السوق العالمى والتأثيرعلى الرأى العام، فأمريكا تمد إسرائيل بأحدث أسلحة الحرب؛ فحين مازال غالبية الشعب الفلسطينى فى انتفاضته يقاوم بالحجارة. أما فيما زعمته بأن الشعب الفلسطينى يتحدث أكثر مما يفعل، فلقد أثبت لنا الشعب الفلسطينى تلو أحداث طوفان الأقصى وما تعرض له من قتل وحرق وتهجير وإبادة جماعية وجرائم ضد الإنسانية أنه من أصدق الشعوب عندما قال أنه لن يساوم ولن يتنازل عن أرضه حتى لو كان ذلك نظير حياته وحياة أبناءه بل عائلته وجلدته بأكمالها. وعلى الرغم من أن سيلا؛ تحاول فى هذا السياق إدانة الرؤية الإسرائلية وما يستتبعها من عدوان وجرائم مروعة فى حق الشعب الفلسطينى إلا أنها أيضًا تجد الرؤية الفلسطينة تتصف بالغباء وعدم القدرة عن الخروج من دور الضحية إلا باستثناء نماذج قليلة من مفكريها أمثال إداور سعيد الذي رفض ما تنتهجه مؤسسة فتح والحركات الإسلامية من أعمال عنف فى رأيها؛وتستفيض سيلا موضحًا هذا المعنى بقولها (**منذ ستينيات القرن العشرين، كانت الرؤية السياسية الفلسطينية مستوحاة من "العالم الثالث" الذي تبناه "المعذبون في الأرض"، وهو خطاب يقوم على التحديث القومي والدولتي، والذي أظهر حدوده الواضحة أثناء دعم القيادة الفلسطينية لغزو صدام حسين للكويت. وما زلت أتذكر المقال المؤثر للغاية الذي كتبه الراحل إدوارد سعيد في صحيفة نيويورك تايمز في خريف عام 1992، والذي اعترف فيه بهذا الغباء الفلسطيني ووصف بوضوح نهاية أيديولوجية فتح. في الفراغ الذي خلفه انهيار الإيديولوجيات العسكرية البيروقراطية الغربية والتحديثية في كل مكان في العالم العربي، اندفعت الإيديولوجيات الإسلامية التي يمثلها حماس وحزب الله: الإسلاموية الجديدة هي نظرة تأديبية وتطهيرية وأخلاقية، مستوحاة من ثورة آية الله الخميني ضد الغرب، وتكتسب نفوذها بين السكان الفلسطينيين من خلال خطابها اللاذع**

حول تدمير الدولة اليهودية ومن خلال برامجها للمساعدات التضامنية وإعادة التوزيع للأحياء والصدقات الإسلامية). [6]

تمثل حماس من منظور بن حبيب مثلها كمثل الحركات الإسلامية المبكرة الأخرى في تركيا وأماكن أخرى من الشرق الأوسط، رؤية للمساواة و للعدالة و للتضامن الإسلامي، ولكنها فى حقيقتها تنطوي على رؤية استبدادية ومعادية لليبرالية نشأت وترعرعت بدعم إسرائيل و أمريكا،ولكن ما لبست أن تمردت عليهما،ففي ثمانينيات القرن العشرين، حظيت حماس بدعم إسرائيل كبديل لحركة فتح الأكثر علمانية، تماماً كما دعمت الولايات المتحدة أسامة بن لادن والمجاهدين ضد حركة الفدائيين الأكثر علمانية وراديكالية وميلاً إلى الاشتراكية في أفغانستان. وفي كلتا الحالتين، خرج الجني من القمقم، والآن أصبحت إسرائيل، فضلاً عن الولايات المتحدة، عالقة في تحول ولاءات حماس، وحزب الله الأكثر قوة، من العمل الاجتماعي الإسلامي إلى العسكرة الإسلامية، ومن رعاة السنة مثل المملكة العربية السعودية إلى الإيديولوجيين الشيعة في إيران. ولا يوجد في هذه المجموعة ما قد يمنح التقدميين واليساريين الراحة والأمل. ومن ثم فإن التزامنا بالمساواة وتقرير المصير والتضامن بين الشعوب يجب أن يظل مبدأ أساسيًا، ولا ينبغي التضحية به من أجل التعصب الأعمى لفئة أو أخرى)[7] إن سيلا ترى أن الإيديولوجية المسيطرة على فكر الحركات الإسلامية أيديولوجية رجعية عقيمة لا تولى أية مساحة تبشر بمستقبل مستقر يسود السلام والتضامن فى منطقة الشرق الأوسط. والمدقق لأراء بن حبيب خلال عام 2008– 2009 حول الصراع العربى الإسرائيلى يدرك رفضها لرؤية وسياسية كلا من الساسة والمسؤولين الإسرائيليين و الحركات الإسلامية، فهى لا تعب فى التوقف عند نقد الطرفين راجعة أسباب الصراع والدمار لهما وهذا ما يستضح فى الفقرات التالية:

أمن إسرائيل في عالم ما بعد ويستفاليا[8]

لقد آمنت بن حبيب أن دولة إسرائيل قد جانبها الصواب بشأن التسوية مع السلطة الوطنية الفلسطنية، فلا إسرائيل قادرة على الاستجابة لمطالب المقاومة الفلسطينية لما يزيد أكثر من نصف قرن من الحرب المستنزفة لكلا الطرفين، ولا المعارضة الإسلاموية الجديدة قادرة على الاعتراف بدولة إسرائيل وضمان السلام بين الجانبين وتتساءل سيلا حول الغاية التى تسعى لها دولة إسرائيل من وراء تخبطها متسائلة (ولكن ما هي الغاية السياسية التي تسعى إسرائيل إلى تحقيقها؟ إن إسرائيل أصبحت الآن محاصرة في سعيها إلى تحقيق الأمن على غرار معاهدة ويستفاليا في عالم

ما بعد معاهدة ويستفاليا، حيث أصبحت الحدود مسامية، وفي وقت تسافر فيه الجراثيم والأخبار والسلع والأموال وكل شيء يبدو أنه باستثناء الجسم البشري بسرعة متزايدة وبأعداد متزايدة. كما تم حفر الأنفاق بين مصر وغزة لتهريب الأسلحة التي تم شراؤها بأموال إيرانية. وتتدفق أموال النفط إلى أيدي الدعاة المتجولين والرجال المقدسين الكاذبين من شيوخ وممالك الخليج الفاسدين الذين يحمون سلالاتهم الحاكمة الضعيفة، فضلاً عن النظام الإيراني الذي لا يتسم بالمسؤولية. وتجد أنظمة الأسلحة المعطلة القادمة من روسيا وجمهوريات الاتحاد السوفييتي السابقة مثل كازاخستان وقيرغزستان وأذربيجان طريقها إلى أيدي إخوانهم المسلمين. كما يجد تجار الأسلحة الصينيون الساخرون وأباطرة المال الروس طريقهم إلى المنطقة)[9] وتستطرد سيلا فى بيان وعى إسرائيل بهذا الحصار وإمكانية اختراقها رغم محاولات إنكارها، وكيفية تقوم بالتلاعب والتحايل وخلق الذرائع من أجل تدمير الشعب الفلسطينى و الرد بعنف لا يوازي من الناحية الاستراتيجية العنف الواقع عليها وتصف ذلك (إن إسرائيل تتظاهر بالصدمة! فهي مصدومة من تخزين الصواريخ القادرة على الوصول إلى تل أبيب في قطاع غزة وجنوب لبنان. وهي مصدومة من قيام مجموعات صغيرة من مسلحي حماس بإطلاق الصواريخ على متن حاملات متحركة بينما يختبئون بين السكان المدنيين التعساء. ولكن هذا نفاق: فهو لا يفسر أو يبرر الرد الإسرائيلي الهائل سواء من الناحية الاستراتيجية أو المعيارية. وحتى صدام حسين أطلق أثناء حرب الخليج الأولى بعض صواريخ سكود الضعيفة على تل أبيب، فذهب الأطفال والكبار على حد سواء إلى بيوتهم لجمع أقنعة الغاز وجلسوا في شققهم في انتظار سقوط الصواريخ. إن إسرائيل تعلم، ولقد علمت منذ فترة طويلة، أن درع قوتها العسكرية المفترضة قد اخترقها جيل جديد من الأسلحة)[10].

إن الأمن الكامل والحصانة الكاملة في هذا العالم الجديد ليسا موجودين على الأقل منذ الحادي عشر من سبتمبر 2001 . إن كان هناك شيء من هذا القبيل في المجال السياسي. ولكن الصدمة التي أصابت إسرائيل إزاء ضعفها هي التي جعلتها تتصرف على نحو أكثر عدوانية تجاه جيرانها. وتعلل سيلا عدم استخدام إسرائيل للقنبلة النووية برغم عدم تورعها عن استخدام كافة أساليب العنف والإطاحة هو خوف إسرائيل على نفسها، والحال كذا مع إيران،فتأثير القنبلة سوف يطأ هما معا؛ فهمها ليس بمعزل عن الخراب الذى سيعم بالمنطقة، وهذا ما تبينه سيلا بقولها (حتى امتلاك القنبلة النووية لا يوفر أي قدر من الأمن، ليس لأن إيران قد تحصل عليها أيضاً، بل لأن استخدام الأسلحة النووية ضد أهداف في لبنان وسوريا وقطاع غزة والضفة الغربية والأردن من شأنه أن يجعل

إسرائيل نفسها غير صالحة للعيش)[11] فتأثير القنبلة سوف ينتشر من خلال السحب المشعة في مختلف أنحاء المنطقة، ويلوث المياه والتربة والنباتات ويؤثر على جميع الكائنات الحية ويؤدي إلى تشوه الأجنة للأجيال متعاقبة. **والسؤال الذى يطرح فى هذا الصدد ما سبيل الخلاص من أجل وقف هذا الصراع من منظور سيلا ؟** قبل أن تعرض سيلا لرؤيتها لحل هذا الصراع المأزم، رأت ضرورة عرض الخطابات السائدة في إسرائيل المعاصرة مواجهة هذا الوضع دون تقديم رؤية جديدة للسياسة وهي :

1- **احتمالات الحرب الدائمة.** ورغم أن أي سياسي يحترم نفسه لا يستطيع أن يدافع عن هذه الفكرة سياسياً، فإنها تشكل حالة نفسية تسيطر على نفوس العديد من الإسرائيليين العاديين. ويعتقد كثيرون منهم أن الحرب سوف تصبح أسلوب حياة، وأن السلام لن يتحقق أبداً في إسرائيل وفلسطين.

2- حل الدوليتن : حيث يؤيد الليبراليون والتقدميون من كافة الأطياف حل الدولتين، لأنهم يؤمنون بمبدأ تقرير المصير المتساوي للشعوب. ومع ذلك، يقبل آخرون هذا الحل؛ لأنهم قلقون بشأن ما يسمى "القنبلة الديموغرافية الموقوتة" المتمثلة في ارتفاع معدلات المواليد الفلسطينيين، ولأنهم لا يريدون أن يكونوا أقلية في دولة فلسطينية ذات أغلبية، سواء كانت ديمقراطية أم لا [12].

3- **رؤية إسرائيل الكبرى:** و ترتكز هذه الرؤية على المعتقد الديني، أي وجهة النظر القائلة بأن الأراضي القديمة في يهودا والسامرة تنتمي إلى الشعب اليهودي بشكل لا رجعة فيه.

4- **الرؤية العلمانية لإسرائيل الكبرى** : ويجب التمييز بين هذه الرؤية والرؤية السابقة؛ حيث تؤكد أن إسرائيل الكبري يمكن أن تضم في ذلك الأراضي الفلسطينية، والتي تحكمها اتفاقيات اقتصادية مقبولة من الطرفين، وتجمع بين مناطق التجارة الحرة ومناطق النمو الاقتصادي [13]. وبعد عرض لسيلا لأربعة رؤي تبدأ تفيدها ونقدها حيث تذهب إلى إن فكرة "حل الدولتين" تشكل السياسة الرسمية التي تنتهجها الإدارات الإسرائيلية والأميركية منذ مبادرة السلام التي أطلقها إسحاق رابين واتفاقية كامب ديفيد على الأقل فحل الدولتين ينطوي على جوهر متناقض – من منظورها على تناقض – ومن حين إلى آخر تنفجر معانيه الخفية في الوعي العام فى ذلك تقول سيلا (لقد أصبح حل الدولتين مقبولاً على نطاق واسع ليس فقط لأنه يضمن حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، بل وأيضاً لأنه يعد بـ"الانسحاب الديموغرافي". وفجأة، زعم خبراء السكان،

هؤلاء الساسة الزائفون؛ الذين يتبنون التفكير العنصري الخفي، أن إسرائيل إذا استمرت في احتلال غزة والضفة الغربية والقدس الشرقية فإنها سوف تنتهي إلى ممارسة السيطرة العسكرية على خمسة ملايين عربي فلسطيني، بما في ذلك أولئك الذين يحملون الجنسية الإسرائيلية والذين يعيشون داخل حدود إسرائيل في عام 1967. ونظراً لمعدلات المواليد المرتفعة بين الفلسطينيين، فقد شعر الناس بأن الطبيعة اليهودية لإسرائيل سوف تكون على المحك ما لم تنسحب من غزة وتعيد جزءاً من الأراضي. لقد عادت إلى الحياة كوابيس كون المرء أقلية في دولة أسسها لحماية نفسه من كونه مواطناً من الدرجة الثانية، محتقراً، مستغلاً، مشوهاً، ومقتولاً بشكل جماعي؛ وفجأة خرجت كل أشباح اللاوعي اليهودي من مذابح القوزاق إلى معسكرات الإبادة النازية، ووقعت أغلبية كبيرة من السكان الإسرائيليين على اتفاقية كامب ديفيد وقالت "دولتين جنباً إلى جنب" للهروب من هذا الكابوس).[14]

بيد أن العديد من خبراء الواقعية السياسية الإسرائيلية والعديد من المستوطنين الإسرائيليين لم يقبلوا قط هذه الرؤية. فمنذ عام 1967، تطورت حركة المستوطنين من مجموعة من المتعصبين الحالمين الذين يؤمنون بـ "أرض إسرائيل" المقدسة إلى كتلة مختلطة من المسلحين والجماعات الدينية المدججين بالسلاح والممولين؛ فهم فى رأي سيلا (الذين أطلقوا النار على الفلسطينيين أثناء صلاة الجمعة في أحد مساجد الخليل، وكان قاتل إسحاق رابين، ييجال عامير، من بين صفوفهم. ومثل قتلة أنور السادات في مصر، الذين كانوا ينتمون إلى جماعة الإخوان المسلمين، فإن هذه الجماعات تعيش في عصر آخر، تسمع أصوات الآلهة القديمة وتشعر برعشات الحروب القديمة وتطيع الأساطير القديمة. وتظل هذه الجماعات قوة وحدوية وخطيرة بالنسبة للإسرائيليين والفلسطينيين، وسوف تحاول إفساد أي سلام دائم في المنطقة؛ لأن سبب وجودها هو رؤية مسيحية لنضال قديم لا نهاية له. بالنسبة لهم، فإن ثورة المكابيين لها صدى خاص. كما يتم التلاعب بقدراتهم العنيفة من قبل السياسيين على كلا الجانبين لتعزيز أهدافهم القصيرة النظر)[15]. إن سيلا تريد التأكيد على وجود العناصر المتطرفة فى كلا الجانبين المتمسكة برؤية دينية أحادية البعد لا تجد سواها خلاص؛ هو ما أدى إلى عدم استقرار المنطقة وغياب السلام الدائم، وتحاول سيلا جاهدة توضيح أن الصراع العربي الإسرائيلي وهو نتاج مشترك لاستغلال بعض العناصر لكلا الطرفين العربى والإسرائيلى وذلك ما توضحه (وكما استغلت الأنظمة العربية الفاسدة محنة الفلسطينيين لتعزيز شرعيتها الممزقة، استغلت النخب الإسرائيلية الساخرة حركة الاستيطان لتعزيز رؤيتها لإسرائيل

العلمانية الكبرى. وكما وصفهم عاموس عوز[16] في كتابه " **في أرض إسرائيل**"[17] بعبارات لا تنسى، فإن هناك اليهود المتشددين المرتبطين بالأرض، والذين يتسمون بالتقدمية الغريبة عندما يتعلق الأمر بقضايا التعاون الاقتصادي والتنمية مع الفلسطينيين. وهؤلاء يذكروننا بالمزارعين البيض في روديسيا ومربي الماشية المغامرين في أستراليا ومربي الماشية في جنوب أفريقيا، فهم رجال يريدون السيطرة على أرض إسرائيل/فلسطين وتنميتها. وعلى النقيض من الليبراليين الذين يخشون "روح إسرائيل الديمقراطية"، فإنهم أكثر اهتماماً بـ"عضلات" النفوذ الاقتصادي والزراعي لإسرائيل. وكان بطل حرب عام 1967، موشيه ديان، ينتمي إلى هذه المجموعة، كما ينتمي إليها الآن أرييل شارون الذي أصبح الآن نصف حي ونصف ميت. بالنسبة لهم، ما دام الفلسطينيون من رجال الأعمال الرأسماليين الهادئين والمقتصدين، وما داموا يطورون الأرض بدلاً من تدميرها، فإن التعايش ممكن. لقد تحطمت أحلام هذه المجموعة في عام 2005 عندما دمرت حشود فلسطينية غاضبة كل تلك البيوت الزجاجية الجميلة التي بناها الإسرائيليون في غزة لتصدير الورود والطماطم والأفوكادو إلى العالم. لقد فسرت هذه المجموعة غضب الفلسطينيين الذي تجلى في تدمير الممتلكات على أنه دليل على عدم كفاءة السكان الأصليين للعمل الجاد وحراسة الممتلكات وإضافة قيمة إلى رأس المال)[18]. وتستطرد بن حبيب إن على الرغم من إدانتها – فى المرحلة الأولي– للجرائم إسرائيل فى حق الشعب الفلسطينى، فإنها كذلك تدين الحركات الإسلاموية الجديدة، **وتصمت سيلا عن مقاومة الشعب الفلسطينى ذاته الرافض لاحتلال إسرائيل لأراضيه، وكأنه حشود الفلسطين دمروا البيوت الزجاجية الجميلة التى بناها الإسرائيلون على أراضيهم ؟!. إن إخفاق سيلا من وجهة نظري فى تناولها راجع إلى تسويتها بين الجانبين الجانب الفلسطينى صاحب الأرض والجانب الإسرائيل المحتل للأرض بسلسلة من الجرائم الشاهد عليها التاريخ ونضال أبناءه من الشهداء والأبطال.**

وتتساءل سيلا عن ما يجري فى غزة – خلال المرحلة الأولى الواقعة بين عامى 2008– 2009 من أحداث عسكرية دامية للشعب الفلسطينى تحركها الرؤي الأربعة سالفة الذكر (إن العملية العسكرية الحالية في غزة تتضمن عناصر من الخطابات السياسية الأربعة . الحرب الدائمة؛ وحل الدولتين؛ وإسرائيل الكبرى الدينية؛ وإسرائيل الكبرى العلمانية . ولهذا السبب؛ فهي غير متماسكة في أهدافها النهائية: **فهل تريد إسرائيل احتلال غزة مرة أخرى وبناء الصوبات الزراعية التي سوف يتم تدميرها مرة أخرى؟ وهل تريد إسرائيل تدمير حماس ومؤسساتها العسكرية والمدنية مرة واحدة وإلى**

الأبد ثم الخروج من غزة تحسباً لحل الدولتين الذي سوف يصبح مستحيلاً بعد ذلك؟ وهل تريد إسرائيل إعادة احتلال غزة وتعريض قواتها للخطر فضلاً عن ارتكاب جرائم حرب محتملة ضد السكان الفلسطينيين؟ لا أحد يستطيع الجزم بذلك مثل التبت والصين؟)[19].

ولكن هل هناك أي بدائل سياسية حقيقية في الوضع الحالي، وليس مجرد استراتيجيات عسكرية تتظاهر وكأنها رؤى سياسية؟ في إسرائيل، هناك حركة تطالب بفصل المواطنة الإسرائيلية عن الهوية العرقية والدينية اليهودية لتمكين إسرائيل من أن تصبح أرضاً لجميع مواطنيها. وهذا يتطلب الرفض الكامل أو الجزئي لقانون العودة، الذي يمنح الحق في المواطنة الإسرائيلية لكل يهودي اعترفت به سلطة حاخامية ما. وحتى وقت قريب جداً لم يتم إصلاح قانون المواطنة الإسرائيلي، ولم يكن بوسع العديد من العمال المهاجرين وأطفالهم فضلاً عن الشركاء والأزواج غير اليهود الحصول على الجنسية الإسرائيلية على الإطلاق. ومن عجيب المفارقات أن الأمر أصبح أسهل خلال العقد الماضي بالنسبة للروس الذين يتظاهرون بأنهم يهود الحصول على الجنسية الإسرائيلية مقارنة بالفلسطينيين العرب الذين ولدوا ونشأوا في القدس الشرقية، لأنهم سوف يعتبرون خطراً أمنياً ولأن وضع القدس الشرقية غير مستقر في ضوء الاتفاقيات الدولية. ورغم أهمية هذه الرؤية من وجهة نظر بن حبيب، فإنها تواجه خطر التحول إلى نوع من الإمبريالية الخيرية، وخاصة عندما يتم توسيع نطاق المطالبة بالمواطنة لتشمل الفلسطينيين في الأراضي المحتلة الذين أصبح وضعهم غير مستقر في ظل غياب معاهدة سلام شاملة.

إن أي تفكير سياسي جاد بشأن إسرائيل وفلسطين لابد وأن يرتكز على فرضية مفادها : (أن القوة العسكرية لا تشكل سوى وسيلة ردع، وهي وسيلة تثير المزيد من الشكوك، وأن السلام لا يتحقق بالسلاح بل بالإنسان. والسلام خير جماعي. وإسرائيل عالقة في نموذج ويستفاليا البائد للسيادة، والذي يفترض أن الدولة تسيطر على كل ما هو حي وميت داخل حدودها وعلى هامشها. والواقع أن أغلب الديمقراطيات المتقدمة تدرك أن هذا لم يعد صحيحاً من الناحية المعيارية أو التجريبية. فالسيادة عبارة عن مجموعة من الامتيازات والصلاحيات التي تتمتع بها الدولة والتي يمكن تقاسمها وتفويضها وممارستها مع مجموعات وقوى أخرى. **ويدرك كثيرون في القيادة الإسرائيلية أنهم لن يسمحوا أبداً بالسيادة الفلسطينية الكاملة على المجال الجوي، سواء في غزة**

أو الضفة الغربية؛ وعلى المرور الحر للبضائع من وإلى الموانئ في غزة، والذي سيكون الشكل الوحيد للوصول إلى البحر بالنسبة للدولة الفلسطينية المستقبلية؛ كما لن تتخلى إسرائيل عن السيطرة على احتياطيات المياه الجوفية الممتدة على جانبي الأراضي المحتلة عام 1967. ولكن لماذا يتظاهر المرء بأن الدولة الفلسطينية ذات السيادة ستكون ذات سيادة بالمعنى الذي ترغب إسرائيل في اعتبار نفسها ذات سيادة به؟ الحقيقة المحزنة والبسيطة هي أن مثل هذه الدولة الفلسطينية سوف تتعرض للتنمر والسيطرة والمراقبة، بل والسحق من حين لآخر من قِبَل إسرائيل)[20] وعلى وجه التحديد لأن العديد من الذين يدافعون عن حل الدولتين يدركون أيضاً أن علاقاتهم المستقبلية مع الدولة الفلسطينية لن تكون مثل العلاقات بين إيطاليا والنمسا، بل ستكون مثل العلاقات بين التبت والصين والهند وكشمير، ولذلك فإن العديد من الساسة الإسرائيليين يتظاهرون بالولاء لهذا المثل الأعلى في حين يحرصون على أرض الواقع على أن يصبح هذا المثل أقل احتمالاً. **وتفترض سيلا أن الكونفدرالية سوف تكون بمثابة حل وسط، ولكن من الواضح أن هذا الحل سوف يكون أكثر احتمالاً شارحةً (ولكن تخيل معي لحظة لنفترض وجود اتحاد كونفدرالي بين إسرائيل وفلسطين. ولنفترض أن تحييد جماعات مثل حماس وحزب الله التي لا تعترف بوجود دولة إسرائيل كان هدفاً مشتركاً بين الفلسطينيين وغيرهم من الدول العربية، ولكن إذا اعترفت حماس بحق إسرائيل في الوجود فإنها سوف تحظى بمقعد على الطاولة؛ ولنفترض أن هناك ضوابط جوية وبحرية ومائية مشتركة تمارسها سلطة إسرائيلية فلسطينية مشتركة؛ ولنفترض أن هناك عملة مشتركة وحقوق استيطان منظمة لكل مجموعة عرقية في أجزاء معينة من الأراضي المشتركة.** ولن تضطر إسرائيل إلى مواجهة حرب أهلية ضد المستوطنين المتعصبين في الخليل والضفة الغربية الذين سوف يضطرون بعد ذلك إما إلى العيش تحت سلطة بلدية فلسطينية إقليمية أو العودة إلى إسرائيل. ولكن إسرائيل لن تضطر إلى الدفاع عن أراضيها التي استولت عليها من خلال التوغلات في الأراضي الفلسطينية؛ ولن يضطر الفلسطينيون إلى التظاهر بأن بانتوستان غزة يمكن أن يكون بأي حال من الأحوال جزءاً من دولة فلسطينية؛ ولن يضطر الفلسطينيون إلى التظاهر بأن بانتوستان غزة يمكن أن يكون بأي حال من الأحوال جزءاً من دولة فلسطينية. إن هذا الحل لن يكون حلاً وسطاً. بل إن غزة سوف تكون منطقة تتمتع بالحكم الذاتي في إطار كونفدرالية إسرائيلية فلسطينية مشتركة. وسوف تعقد غزة والضفة الغربية انتخابات للإدارة البلدية والإقليمية والحكومات، في ظل اتفاق واضح المعالم لتقاسم السلطة بين الطرفين ومع إسرائيل) [21].

إن الكونفدرالية لن تعني اختفاء النظام السياسي الوطني الجماعي والهوية لكل شعب. ففي إطار بعض أشكال الأراضي التي احتلت قبل عام 1967، أي الخط الأخضر، سوف تظل إسرائيل دولة يهودية، لها لغتها وأعيادها وانتخاباتها؛ ولكنها سوف تتقاسم السلطة في الشؤون العسكرية والأمنية والاستخباراتية والعملة والتجارة مع الدولة الفلسطينية. وعلى نحو مماثل سوف يكون للفلسطينيين لغتهم وأعيادهم وانتخاباتهم الخاصة، ولكن الشعبين سوف يطوران شكلاً من أشكال المناهج المدرسية المشتركة، وخاصة في تدريس التاريخ الذي ينصف الحقائق التاريخية ومعاناة الشعبين. وسوف يتعلم أطفال الجيل الجديد التعاطف بدلاً من الكراهية المتبادلة. وسوف يكون هناك قدر من المساواة في الحقوق الاجتماعية والاقتصادية وحقوق الرعاية الاجتماعية في هذا الكونفدرالية بحيث لا يرغب الجميع في الانتقال إلى المقاطعات الإسرائيلية الأكثر ثراءً؛ وسوف يتم احترام التعددية الدينية والحقوق المدنية الليبرالية على قدم المساواة لجميع اليهود والمسلمين والمسيحيين وجميع أتباع الديانات الأخرى. بالنسبة للملتزمين دينياً الذين يريدون إدارة شؤونهم الشخصية من قبل السلطات الدينية، ستكون هناك محاكم دينية اختيارية، ولكن سيكون هناك أيضاً قانون مشترك للحقوق لجميع الشعوب والذي من شأنه أن يضمن المساواة في الحقوق المدنية والسياسية .

, تتمادي بن حبيب فى رسم صورة وردية تشبة الأحلام (وإذا سمحت لنفسي بالحلم أكثر من ذلك، فإنني أتخيل **أن هذا الاتحاد من الممكن أن يصبح نواة لاتحاد الشعوب في الشرق الأوسط، حيث تتحد تركيا ومصر والمملكة العربية السعودية والأردن والعديد من الدول الأخرى معاً على غرار نموذج الاتحاد الأوروبي.إنني أسأل هؤلاء الذين يتهمونني بالرغبة في التخلص من دولة إسرائيل، تماماً كما زعموا ضد توني جودت، عندما تجرأ على طرح بعض هذه المقترحات في مجلة نيويورك ريفيو أوف بوكس** قبل بضع سنوات: ما هي البدائل التي لديكم حقاً لتقديمها للشعبين الإسرائيلي والفلسطيني إلى جانب الحرب الدائمة أو المشروع الإمبراطوري المتمثل في إقامة دولة إسرائيل الكبرى العلمانية أو الدينية؟ **إذا كنتم تريدون لإسرائيل أن تحتفظ بروحها كدولة ديمقراطية ليبرالية وأن تحافظ على هويتها اليهودية دون عنصرية أو تمييز أو حرب ضد شعب آخر، فعليكم أن تجرؤوا على النظر إلى ما هو أبعد من الرؤى البائدة للدولة الوستفالية. إن فرنسا وإيطاليا وألمانيا وغيرها لم تختف داخل الاتحاد الأوروبي؛ بل على العكس من ذلك تماماً: فقد تعززت قدراتها على الحكم وقدرتها على توفير السلام والرخاء لشعوبها)**[22] **إن الكونفدرالية الجمهورية بين الكيانين السياسيين الإسرائيلي**

والفلسطيني من منظور بن حبيب تتوافق مع واقع الترابط المتزايد الذي يتطور على الأرض بين إسرائيل والفلسطينيين فضلاً عن توفير الاستقرار والرخاء في المستقبل. ولابد رأيها أن تجلب مأساة غزة معها رؤى جديدة للسياسة.

المرحلة الثانية عقب طوفان الأقصي :

وهي مرحلة ما بعد أحداث 7 أكتوبر عندما، شنت حركة حماس في قطاع غزة هجومًا كبيرًا على إسرائيل، والذي شمل هجومًا بريًا وبحريًا وجويًا وتسللا بعض عناصر الحركة إلى عدة مستوطنات إسرائلية فى القطاع، وتعد أحداث 7 أكتوبر أكبر هجوم على إسرائيل منذ عقود، وما إن حدثت هذه الأحداث واندلعت نار الهجوم الإسرائيلى على القطاع تدمر الأخضر واليابس ولا تفرق فى حربها الشعواء بين المدنيين وكبار السن والنساء و الأطفال والأشخاص ذوي الإعاقة بل الأمر تحول إلى عمليات إبادة ممنهجة تقودها إسرائيل على مرأى ومسمع من العالم أجمع ومتحديةً كل المواثيق الدولية الخاصة بحقوق الإنسان. **و فى خصم هذه الأحداث انقسم موقف الفلاسفة والمفكرين المنددين بجرائم الحرب التى تخوضها إسرائيل فى قطاع غزة ضد المدنيين إلى ثلاثة مواقف،: موقف مندد بجرائم إسرائيل ضد المدنيين فى قطاع عزة،ومدافعًا عن موقف حماس فى دفاعها عن أرضها، وأمثال أولئك الفيلسوفة الأميركية جوديث بتلر**[*] **Judith Butler (+ 1956) إذ تصر على ضرورة أخذ تعبير «إبادة جماعية» على محمل الجد، لأنه يصف ما يحدث بالفعل؛ فالهجمات لا تستهدف المقاتلين فقط، وإنما تستهدف أيضاً السكّان والمدنيين في غزة، وهم يتعرضون للقصف والتهجير، وتُعدّ بتلر واحدة من عشرات الكتّاب والفنانين اليهود الأميركيين الذين وقّعوا رسالة مفتوحة**[**] إلى الرئيس الأميركي جو بايدن يدعون فيها إلى وقف فوري لإطلاق النار في غزة، وهي أيضًا عضو في المجلس الاستشاري لمنظمة «الصوت اليهودي من أجل السلام». تحدثت فيها عن أهمية وضع سياق تاريخي للأحداث الأخيرة، قاصدة بذلك هجمات «حماس» في السابع من أكتوبر. وقالت مؤلفة كتاب «قوة اللاعنف[***]» إنه «لفهم كيفية وقوع حدث ما، أو ما هو معناه، يتعين علينا أن نتعلم من التاريخ. هذا يعني أنه يتعيّن علينا توسيع رؤيتنا إلى ما وراء اللحظة الحالية المروعة، من دون إنكار رعبها، في الوقت ذاته الذي نرفض فيه السماح لهذا الرعب بأن يختزل كل الرعب الموجود»، وأضافت بتلر أن وسائل الإعلام المعاصرة، في معظمها، لا تفصّل الفظائع التي عاشها الشعب الفلسطيني لعقود من الزمن في شكل تفجيرات وهجمات تعسفية واعتقالات وقتل)[23] فى حين انحاز فريقًا

أخر للجانب الإسرائيلى والدفاع عن موقفه ومن على رأس هذا الفريق الفيلسوف الألماني يورجن هبرماس J.Habermas (+1929) الذى نشرت الوكالات خلاصة الرسالة التي وقَّعها برفقة ثلاثة آخرين، وهم أستاذة العلوم السياسية في جامعة جوته الألمانية نيكول دايتلهوف والحقوقي كلاوس غونتر والفيلسوف راينر فورست، وقد نشرت الرسالة تحت عنوان" مبادئ التضامن"، وهى بمثابة بيان تضامن صريح وشديد الوضوح مع جرائم الاحتلال في غزة، والتي عدّها مبررة. وهو موقف يتقاطع مع عتاة اليمين العالمي الصهيوني.ومما جاء في الرسالة: "**إن الوضع الحالي الذي تسببت به وضعية الهجوم غير المسبوق الذي شنته "حماس" ورد فعل إسرائيل عليه، أفضى إلى سلسلة من المواقف الأخلاقية والسياسية والتظاهرات الاحتجاجية، ونعتقد أنه في خضم كل وجهات النظر المتعارضة، والتي تم الإعراب عنها، فإن بعض المبادئ لا يجب أن يكون محل خلاف، وهي مبادئ تشكل أساسًا لتضامن مفكَّر فيه ومتعقل مع إسرائيل واليهوديات واليهود في ألمانيا.**" [24]

ويضيف هابرماس في رسالته: "إن المجزرة التي ارتكبتها "حماس" والمصحوبة بنيتها المعلنة لإبادة الحياة اليهودية بصورة عامة، كانت سبباً في دفع إسرائيل إلى الانتقام بهجوم مضاد، المبرر من حيث المبدأ، وحظيت بمناقشة اتسمت بكثير من الجدل.. وعلى الرغم من كل القلق بخصوص حياة السكان الفلسطنيين، فإن معايير الحكم تزيغ عن الطريق تماماً عندما تعزى نيات الإبادة الجماعية إلى التصرفات الإسرائيلية." ( )

ويتضح ذلك فى استطراده فى الرسالة قائلًا (**كيفما كانت الحال، فإن تصرفات إسرائيل لا تبرر ردود الفعل المعادية للسامية، وخصوصاً في ألمانيا، فأن يتعرض اليهود واليهوديات في ألمانيا مرة أخرى لتهديدات تحدد حياتهم وأجسادهم، وتجبرهم على الخوف من العنف الجسدي في الشوارع، فهذا أمر لا يطاق وغير مقبول إطلاقاً، والروح الديمقراطية لجمهورية ألمانيا الاتحادية التي تقوم على أساس الاعتراف باحترام الكرامة الإنسانية، ترتبط بثقافة سياسية تعدّ الحياة اليهودية وحق إسرائيل في الوجود عنصرين أساسيين، وخصوصاً مع استحضار الجرائم الجماعية التي ارتكبت سابقاً في الحقبة النازية.**" [25]

وتنتهي الرسالة بالتذكير بمبادئ حقوق الإنسان التي يتوجب احترامها من جانب المقيمين بألمانيا، أي المهاجرين والمناهضين للاحتلال، والذين يرى فيهم هابرماس أنهم "يبثون الكراهية ومعاداة السامية ."

ورغم أن هابرماس هو فيلسوف التواصل الأشهر القائم على النقاش الحر المفتوح و التداول غير مشرط الإ بالحجة والبرهان، فإنه في الحقيقة لم يسعَ يومًا إلى اكتشاف الثقافات الأخرى وتبدت نظرية تمييزية فى أكثر من موقف وموضع، **فهبرماس لم يعبأ بما يحدث للمدنيين والأطفال و النساء فى غزه، إن هبرماس الناقد لتاريخ الفلسفة الغربية لسيادة مبدأ الأنا وغياب البعد التواصلى المتمثل فى وجود الآخر و إقامة علاقة تواصلية تجمع الأنا والآخر فى حوار من تواصلي خال من أي شكل من أشكال الإكراه، ظل هو نفسه حبيس هذه الفلسفة العنصرية التى لم تعطى أدنى اهتمام لما يحدث للمدنيين من الشعب الفلسطينى من إبادة وتنكيل وتشريد،** فهبرماس لم يعبأ فقط سوي بشعور الخوف الذى قد يتملك بعض اليهود. بل إنه ظل منحازًا لإسرائيل ومبررًا لخطاياها وجرائمها ضد الشعب الفلسطينى حتى أثبت زيف نموذجه التواصلى القائم الاعتراف بالآخر واحترام كرامته الإنسانية. والسؤال ما هو موقف بنت حبيب بين من هذين الموقفين وهل سارت على نهج زميلتها النسوية بتلر أم على نهج أستاذها أم أنها أتخذت موقفًا ثالثًا ؟ فى الحقيقة إن سيلا حاولت أن تنأى بنفسها عن التوقيع على أي رسائل تدين أحد الطرفين، ولكنها يبدو تحت تأثير الضغط و السؤال عن موقفها من الرسالة المفتوحة التي وقعها مئات الفلاسفة من أمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية وأوروبا، والتي جاء فيها أن "التصرف كما لو أن تاريخ العنف بدأ مع هجمات حماس في 7 أكتوبر 2023 هو إظهار لامبالاة متهورة". للتاريخ وكذلك لحياة الفلسطينيين والإسرائيليين". من بين هؤلاء الذين وقعوا على هذا البيان عدد من الفلاسفة كان من بينهم، جوديث بتلر – التى أوضحنا موقفها – (جامعة كاليفورنيا، بيركلي)، إتيان باليبار (جامعة كينغستون)، دوناتيلا ديلا بورتا (سكولا نورمال سوبيريور)، نانسي فريزر (المدرسة الجديدة للبحوث الاجتماعية)، إدواردو ميندييتا (جامعة ولاية بنسلفانيا)، ألبرتو توسكانو (غولدسميث، جامعة لندن). تم نشر هذه المقالة في الأصل على Amor Mundi، مجموعة مختارة من النشرة الإخبارية الأسبوعية لمركز حنة أرندت. اضطرت لبيان موقفها بردها التالي – كما ورد فى الرسالة[*] : (أصدقائي الأعزاء، زملائي الأعزاء:

لا أؤيد هذه الرسالة والعديد من الآراء الواردة فيها.أنا مدين لأصدقائي ولنفسي بتوضيح أفكارنا. اسمحوا لي أولاً أن أقول إنه منذ أن كنت ناشطة طلابية في إسطنبول بتركيا في أواخر الستينيات، دعمت حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، وكذا تطرقت إلى الصراع الإسرائيلي الفلسطيني وأيضًا الصراع العربي الإسرائيلي والصراعان ليسا متماثلين – على مدى نصف القرن الماضي، دعوت في بعض الأحيان إلى إقامة

دولة ثنائية القومية؛ في بعض الأحيان دولة واحدة، وأحيانا هيكل اتحادي)[26] ونلاحظ فى هذا الفقرات من الرسالة أن بن حبيب تحاول أن تثبت أنها ليس ضد الشعب الفلسطينى وأنها دعمت حقه فى تقرير مصيره، وأنها دعت كما عرضنا المرحلة الأولى لحل كونفدرالي يضمن حقوق الشعبين الفلسطينى والإسرائيلى فى عيش مشترك بعيد عن القلاقل والصراعات بيد أن سيلا لم تلبث حتى انتقلت إلى أسباب اعتراضها على التوقيع هذه المرة من رسالة لدعم الشعب الفلسطيني؛ حيث بررت ما تفعله إسرائيل فى حق الشعب الفلسطينى من كافة أشكال الإبادة بسبب ما قامت به حماس من هجوم على المدنيين الإسرائلين، وأن إسرائيل هى رد الفعل (اعتراضي على رسالتك هو أنها تنظر إلى الصراع في إسرائيل وفلسطين من خلال عدسة "الاستعمار الاستيطاني" وحده، وترفع الفظائع التي ارتكبتها حماس في 7 أكتوبر 2023 إلى عمل من أعمال المقاومة المشروعة ضد قوة احتلال. ومن خلال تفسير الصراع الإسرائيلي الفلسطيني من خلال عدسة الاستعمار الاستيطاني، فإنك تتجاهل التطور التاريخي لكلا الشعبين. الصهيونية ليست شكلاً من أشكال العنصرية، على الرغم من أن تصرفات مؤسسات دولة إسرائيل تجاه الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية المحتلة ومخيمات اللاجئين، وبطبيعة الحال، غزة، تمييزية على أساس الجنسية، وليس اللون. تعكس حالة الطوارئ المستمرة القائمة بين إسرائيل وجيرانها.تاريخياً، بل وكما تواصل سيلا حديثها طالب العديد من القادة الإسرائيليين، بما في ذلك بن جوريون نفسه، بإعادة الأراضي التي احتلتها إسرائيل في عام 1967؛ لأنهم كانوا يخشون أن يؤدي ذلك إلى تغيير الطابع الديمقراطي واليهودي للدولة. وفي ذلك الوقت لم تكن هناك سلطة فلسطينية، ولكن حركات التحرير الفلسطينية المتنوعة ظهرت في أثناء السبعينيات مثل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تحت زعامة جورج حبش، ومنظمة التحرير الفلسطينية تحت زعامة ياسر عرفات. وبن حبيب ندرك جيداً أن القومية الفلسطينية، مثلها مثل العديد من القوميات الأخرى، بما فيها الصهيونية، ظهرت في بوتقة النضال من أجل الاعتراف بها من قبل خصومها. إن القوميتين الإسرائيلية والفلسطينية؛ تعكسان بعضهما البعض، وفي نهاية المطاف يتعين عليهما أن يعيشا جنباً إلى جنب وأن يتقاسما الأرض مع بعضهما البعض.[27]

تعلق سيلا على الفلاسفة والمفكرين الذين دافعوا عن هجمات حماس كرد فعل لتاريخ مرير من قهر وإبادة والتنكيل بالشعب الفلسطينى؛ مستنكرة ذلك الموقف (**لا يوجد أي معنى للتاريخ في بيانكم ولا أي إحساس بالمآسي التي حلت بهذه الشعوب، واللحظات الضائعة العديدة التي بدا فيها أن مستقبل آخر ممكن. ورغم إشارتك إلى**

"**الظروف التي تنتج العنف**"، **إلا أنكم لم تذكروا أن إسحق رابين قُتل على يد متطرف يهودي، وأنور السادات، بعد زيارته لإسرائيل، قُتل على يد عضو في جماعة الإخوان المسلمين،** السلف الأيديولوجي لحركة حماس، فلقد حث سكان غزة الحلفاء في جميع أنحاء العالم على ممارسة الضغط على حكوماتهم للمطالبة بوقف فوري لإطلاق النار. لكنهم كانوا واضحين أن هذا يجب أن يكون بداية وليس نهاية العمل الجماعي من أجل التحرير. بتأييدكم لهذه المطالب، فإنكم تؤيدون أيضًا موقف حماس باعتبارها الطليعة المفترضة لـ "نضال التحرير" الفلسطيني. وهذا خطأ فادح. حماس هي منظمة عدمية تعامل السكان المدنيين في غزة كرهائن لها. لن نتوقف هنا للرد عليها ولا بيان مواقف فلسفية تدرك ان حماس فصل مجاهد يقود المقاومة ضد من قتلوا اسحاق رابين، مثل موقف الفيلسوف الإيطالى جيانى فاتيمو الواضح الصريح من حماس وكذلك موقف الفيلسوفة اليهودية جوديت بتلر، التى اتخذت موقفاً معتدلاً من حماس، وتوصل سيلا بيان موقفها من زعيم التنظيم إسماعيل هنية الذى تصوره يجلس في فندق فخم في قطر، بينما يموت الأطفال في شوارع غزة. نعم، كما قالت منظمة العفو الدولية: "غزة هي أكبر سجن مفتوح في العالم"، ولكن هذا يرجع أيضًا إلى حقيقة أن حماس هي منظمة إبادة، ويؤيد ميثاقها تدمير دولة إسرائيل. كما يبدو أنكم تؤيدون ذلك ضمنيًا عندما تكتبون أنه "إذا أردنا تحقيق العدالة والسلام، فلا بد من رفع الحصار عن غزة؛ ويجب أن يتم رفع الحصار عن غزة". يجب أن ينتهي الاحتلال، ويجب احترام حقوق جميع الأشخاص الذين يعيشون حاليًا بين نهر الأردن والبحر الأبيض المتوسط، وكذلك حقوق اللاجئين الفلسطينيين في المنفى. آمين لذلك! لكن هل ترى أن حماس منظمة سياسية تكرس جهودها "لاحترام حقوق جميع الأشخاص الذين يعيشون حالياً بين نهر الأردن والبحر الأبيض المتوسط"؟ وهذا يتحدى التاريخ والمنطق. حماس ملتزمة بتدمير دولة إسرائيل. أنا لا أؤيد ذلك. هل أنتم تؤيدون ذلك ؟ ما هو المنطق الأخلاقي أو السياسي الذي يوجه تفكيرك هنا؟) [28] ونحن بدورنا نسالهم من الجانى ومن المجنى عليه، من القاتل ومن المقتول، من الجلاد ومن الضحية، وتستطرد سيلا موضحة كم الخسائر على مستوي الدفاع عن القضية الفلسطينة بسبب هجمات حماس (إن هجمات 7 أكتوبر/تشرين الأول 2023 ليست "مجرد طلقة واحدة في حرب مستمرة بين دولة محتلة والشعب الذي تحتله، أو كشعب محتل يمارس حقه في مقاومة الاحتلال العنيف وغير القانوني، وهو ما يستبقه القانون الدولي الإنساني في العالم". "بروتوكول جنيف الثاني كما جاء في رسالة موقعة من بعض زملاء كولومبيا وبارنارد. إنها نقطة تحول ليس فقط بالنسبة للشعب اليهودي في إسرائيل

وأماكن أخرى، ولكن أيضًا في تاريخ الشعب الفلسطيني. إن مقتل 1300 يهودي إسرائيلي، وجرح 3000 آخرين، وتدمير الكيبوتسات والمدن واحتجاز أكثر من 200 شخص كرهائن، قد خلق جرحًا عميقًا في نفسية العديد من اليهود حول العالم؛ ويتفاقم الأمر فقط بسبب الشعور بأن إسرائيل خسرت في عالم الرأي العام. وقد حدث ذلك: فقد رفعت معاداة السامية رأسها القبيح من باريس إلى داغستان، ومن كورنيل إلى برلين. نعم، بالطبع انتقاد إسرائيل والصهيونية ليس معاداة للسامية. وكانت الجماعات اليهودية اليسارية من أجل السلام أول من قال ذلك منذ سنوات عديدة، في وقت قريب من اتفاقيات أوسلو في أواخر الثمانينيات، وهي تحمل ندوب هذا النضال ضد المؤسسة الإسرائيلية.)[29]

وترى بن حبيب أن السابع من أكتوبر 2023 ليس مجرد نقطة تحول بالنسبة لإسرائيل والشتات اليهودي؛ ويجب أن تكون نقطة تحول في النضال الفلسطيني. ويجب على الشعب الفلسطيني أن يحرر نفسه من ويلات حماس.وفى ذلك تقول (إن أعمال العنف التي وقعت في 7 أكتوبر 2023 – تدنيس وتشويه الجثث؛ قتل الأطفال والرضع؛ وحرق أحياء الشباب في مهرجان موسيقي؛ إن الاغتصاب والقتل الشعائري والاختطاف – ليست جرائم حرب فحسب، بل إنها جرائم ضد الإنسانية؛ ويكشفون أيضًا أن الأيديولوجية الجهادية الإسلامية، التي تتلذذ بإباحية العنف، قد تجاوزت الحركة. إن النضال من أجل فلسطين وقتل الشعب اليهودي يُنظر إليه الآن على أنه جهاد. الرئيس التركي، الذي لم يفوت أي لحظة لرفع العلم الإسلامي عندما يناسبه ذلك لتغطية سياساته الاستبدادية في الداخل، أطلق على حماس اسم "المجاهدين" – المقاتلين من أجل الجهاد، خلال الاحتفال بالذكرى المئوية لتأسيس الجمهورية التركية. في 29 تشرين الأول/أكتوبر 2023. على الشعب الفلسطيني أن يناضل ضد هذه الأيديولوجية المدمرة التي تسيطر الآن على حركته.)[30] وبالرغم من محاولة بن حبيب رد كامل المسئولية لما آل الوضع إليه فى قطاع غزة من مأسي إنسانية إلى حماس تحاول بن حبيب أن تظهر ببعض الموضوعية فى بيان بأن إسرائيل هي الأخرى مدانة وليست حماس وحدها. وترى إن العنف "غير المتناسب" وتدمير السكان المدنيين في ظل ظروف عدائية يعد جريمة حرب. لقد تحول أطفال غزة إلى "أضرار جانبية" في اللغة الباردة لقواعد الاشتباك المسلح، ويجب إدانة إسرائيل لأنها لم تفعل كل ما في وسعها لتجنب قصف السكان المدنيين في غزة، الذين يبدو أن عددهم قد تجاوز الآن 50000 نسمة. إلا أنها سرعان ما تعود إلى الحديث عن العدمية المطلقة والاستهزاء الذي تتسم به حماس في وضع أسلحتها ومقراتها تحت

المستشفيات والمساجد، التي يعرفون تمام الإدراك أنها سوف تثير غضباً عارماً في مختلف أنحاء العالم إذا ما تعرضت لضربة إسرائيلية)[31]. تدعو بن حبيب الجانين لوقف هذه الدائرة من العنف باعتبارها فى حد أن الطرفين على سواء هم من اشعالها موضحًا الإجراءات التى من شأنها وقف دائرة العنف وتدعو إلى وقف إطلاق النار في غزة. الذى يجب أن يكون مصحوبا بالإخلاء الفوري للجرحى والمسنين والشباب من غزة. يجب ألا تكون هناك نكبة ثانية. ويجب على الدول المجاورة وكذلك المجتمعات في الضفة الغربية وكذلك الأردن ومصر ودول أخرى أن تتطوع لاستقبال اللاجئين الفلسطينيين الذين يرغبون في الهروب من ظروف العداء. تلك هى النكبة محددا إلا أنها ترى أنه في نهاية المطاف، لا بد من إقامة دولة فلسطينية. وأن يكون هناك تبادل للأسرى بالرهائن. وتحتجز إسرائيل آلاف الفلسطينيين في سجونها؛ ويجب إطلاق سراح بعضهم وفقاً لشروط تتفق مع القانون الدولي مقابل إطلاق سراح الرهائن.

إن الاتفاقيات، التي أهملت الفلسطينيين؛ يجب أن تتضمنهم أيضاً وتؤدي إلى الاعتراف النهائي بحدود دولة إسرائيل وإقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وأجزاء من غزة. ولابد من التعامل مع حقيقة عدم وجود تواصل إقليمي بين غزة وبقية الأراضي الفلسطينية من خلال بعض الترتيبات، تماماً كما لابد من انسحاب ما يقرب من خمسمائة ألف مستوطن إسرائيلي من الأراضي المحتلة. وهذا قد يؤدي إلى حرب أهلية في إسرائيل.) [32] ولكن برغم من تحديد سيلا للإجراءات التى من شأنها فى نظرها؛ أن تحد من دائرة العنف إلا أنها تحذر من خطرين سيؤثران على أي حل سلمي لهذا الصراع خلال نصف القرن القادم: الأول هو أن انتصار حماس في عيون العالم، وتعبئة الرأي العام العالمي ضد إسرائيل، يعني أيضاً أن أعضاء السلطة الفلسطينية، وغيرهم من الفلسطينيين الذين يقبلون التعايش مع إسرائيل، تم تهميشهم. وقد يبدأ الشباب الفلسطيني في الضفة الغربية، المعجب بحماس، في التدفق عليها. إن الأصوات العقلانية بين الفلسطينيين؛ الذين اختاروا التعايش السلمي، مثل الفيلسوف سري نسيبة، رئيس جامعة القدس الأسبق، ومصطفى البرغوتي، ربما يتم إسكاتها بالكامل الآن. ويتعين على المجتمع الدولي، وفي المقام الأول الولايات المتحدة، أن يتوقف عن تهميش القيادات الفلسطينية البديلة.كذلك الخطر الآخر، وأنا هنا أضم صوتي إلى أولئك الذين يتهمون إسرائيل بالسياسات الاستعمارية الاستيطانية في الأراضي المحتلة، وهو جهود الأحزاب الإسرائيلية اليمينية؛ من حزب الليكود الحاكم؛ والفاشي إيتمار بن غوير، وهو ما يسمى بوزير الأمن الوطني؛ بتسلئيل سموتريش، وزير المالية، وآخرين لخلق "حقائق على

الأرض" من خلال تجريد الفلسطينيين من ممتلكاتهم وضربهم وتعذيبهم في الضفة الغربية. **إنهم لا يقصدون شيئا سوى "التطهير العرقي" ليهودا والسامرة – الأسماء التوراتية لأرض إسرائيل. إنهم ورثة سلسلة طويلة من الفاشية اليهودية، التي أدانها ألبرت أينشتاين، الذي انضمت إليه حنة أرندت وسيدني هوك، في رسالتهم المفتوحة إلى صحيفة نيويورك تايمز في 2 ديسمبر 1948، بعنوان "حزب فلسطين الجديد: مناحيم". بداية وأهداف الحركة السياسية)**[33].

من بين الظواهر السياسية الأكثر إثارة للقلق في عصرنا من منظور بن حبيب؛ هو أن ظهور "حزب الحرية" (تنوت ههيروت) في دولة إسرائيل، وهو حزب سياسي قريب جدًا في تنظيمه وأساليبه وفلسفته السياسية وجاذبيته الاجتماعية من الحزب النازي والحزب الشيوعي والأحزاب الفاشية. تم تشكيلها من عضوية وأتباع منظمة إرغون زفاي ليومي السابقة، وهي منظمة إرهابية يمينية شوفينية في فلسطين. (ومن الأمثلة الصادمة سلوكهم في قرية دير ياسين العربية. ولم تشارك هذه القرية، في الحرب، بل إنها قاتلت العصابات العربية التي أرادت استخدام القرية كقاعدة لها. في 9 أبريل، هاجمت العصابات الإرهابية هذه القرية المسالمة، التي لم تكن هدفًا عسكريًا في القتال، وقتلت معظم سكانها – 240 رجلاً وامرأة وطفلًا – وأبقت عددًا قليلًا منهم على قيد الحياة للمشاركة في العرض العسكري. كأسرى في شوارع القدس.**واليوم، يتولى مندوبو هذا الحزب وهذه الحركة – الليكود الذي أسسه ميانتشيم بيغن – السلطة في إسرائيل وقد جلبوا على إسرائيل أسوأ كارثة منذ المحرقة. ويجب على المجتمع اليهودي في الشتات أن يتحلى بالشجاعة لقول هذه الحقائق والتدخل في دائرة العنف هذه قبل أن تنفجر المنطقة بشكل أكبر في نوبات من العنف المسياني على كلا الجانبين.)**[34]وتختم سيلا مقالها بأنها (لست واثقة من أن أيًا مما اعتقدت أنه يجب أن يحدث سيحدث في المستقبل القريب. لكن كفلاسفة نحتاج إلى توضيح أفكارنا. وكما قال كانط في عام 1795، على الرغم من أن فكرة "السلام الدائم" بين الأمم قد تشبه الصورة التي وضعها صاحب نزل هولندي على نافذة مقبرة له، وهو يلعب على الكلمة الألمانية"ewig" ، والتي يمكن أن تعني الأبدية والدائمة، وليس لدينا خيار سوى أن نأمل أنه من خلال مبادئنا يمكننا تغيير العالم أيضًا)[35].

خاتمة :

بعد أن استعرضنا موقف بن حبيب خلال مرحلتين الأولى أو ما يطلق عليها

مرحلة الرصاص المصبوب، والثانية بعد أحداث طوفان الأقصى ومازالت إلى هذه اللحظة مستمرة؛ حيث يرتكب الجيش الإسرائلي أشنع الجرائم الإنسانية فى حق المدنيين من الشعب الفلسطينى. إن الملاحظ في معالجة بن حبيب خلال المرحلتين أنها تفصل بين إسرائيل والشعب الإسرائيلي وكذلك الحال تفصل بين حماس والفلسطينيين، وتري أن الشعبين يمكنهما أن يعيشا فى سلام إذا تجنبوا عنف وأطماع ساسة إسرائيل المتغطرسون؛ الذين على استعداد لفعل أي شيء من أجل الاستمرار فى مناصبهم. فى الحقيقة إن سيلا بن حبيب قد حاولت فى بعض المواقف أن تحذو حذو الموضوعية وأن تنتقد سياسة إسرائيل الوحشة، وخاصة فى مرحلة قبل أحداث السابع من أكتوبر ولكن في رأي بن حبيب قد جانبها الصواب فى كثير مع الأمور، أو أنها بحاجة إلى مراجعة موقفها حول كثير من النقاط التى سكتت عنها، أو مرت عليها مرور الكرام أو فرضتها علينا كمسلمات على النحو التالي : بدءت بن حبيب من تجاهل احتلال الأراضي الفلسطينة وكون إسرائيل دخليل لا حق له فى الأرض أو الاستيطان بها؛ إن إنكارها لكون إسرائيل كيانًا استعماريًا استيطانيًا واضحة تمامًا منذ البداية.

وذلك ما عبرت عنه بقولها "من خلال تفسير الصراع الإسرائيلي الفلسطيني من خلال عدسة الاستعمار الاستيطاني، فإنك تتجاهل التطور التاريخي لكلا الشعبين". إذن ما هو هذا التاريخ الذي تعتقد أنه تم حذفه؟ على ما يبدو، بالنسبة لبن حبيب، فإن تاريخ إسرائيل وفلسطين بدأ في عام 1967 بالتوسع إلى ما أصبح يسمى "الأراضي المحتلة" (الضفة الغربية وقطاع غزة). لا أي إشارة عن إعلان دولة إسرائيل في عام 1948، بعد سنوات من العنف الاستعماري الاستيطاني الشبيه بالمستعمرات الاستيطانية التي بنيت في جميع أنحاء نصف الكرة الغربي في القارة التي أصبحت في نهاية المطاف الولايات المتحدة وكندا. في الواقع، لم تذكر سوى عام 1948 في نهاية رسالتها، ولكن ليس فيما يتعلق بالمؤسسة الاستعمارية لإسرائيل بعد التطهير العرقي للنكبة. بدلاً من ذلك، تم ذكر هذا التاريخ في إشارة إلى رسالة تنتقد إنشاء ما سيصبح حزب الليكود (رسالة تشير إلى مذبحة دير ياسين، وهو شيء اقتبسته للتو في الرسالة ولكن المعنى التاريخي؛ الذي حذفته في مقالتها بالكامل)، ومع ذلك فإن هذا يتم استدعاؤه للتعبير عن قلقها بشأن صعود الفاشية اليهودية التي يبدو أنها تلقي باللوم فيها على تصرفات حماس. إن اندهاشها حول كيفية تجاهل أصدقائها وزملائها للتاريخ (أو بالأحرى "التطور التاريخي لكلا الشعبين" هو في الواقع تجاهل للتاريخ. وعندما تذكر النكبة كمصطلح، فلا يعني ذلك أنها تعني التطهير العرقي الاستعماري الاستيطاني. وتقرر: "وقف إطلاق النار يجب أن

يرافقه إخلاء فوري للجرحى والمسنين والشباب من غزة. يجب ألا تكون هناك نكبة ثانية ". لكن النكبة هى ما تطالب به إخلاءً لأعداد كبيرة من السكان هربًا من الموت، وهذا هو التطهير العرقي. إذن هناك نكبة ثانية تحدث وبن حبيب تقول إن نكبة "الإخلاء الفوري" هذه ليست نكبة ثانية؟ أين الوضوح الأخلاقي والاتساق؟

ولنكن واضحين: إسرائيل دولة قومية استعمارية استيطانية. على الرغم من أن الأيديولوجيين الصهاينة حاولوا جاهدين في الآونة الأخيرة التشكيك في هذا الادعاء، كذلك الحال مع ادعاء بن حبيب الآخر غير التاريخي بأن "الصهيونية ليست شكلاً من أشكال العنصرية" هو ادعاء ساذج للغاية. إنها عقيدة عنصرية، حيث أن كل الأيديولوجيات الاستعمارية عنصرية. في الواقع، في المؤتمر الثاني للأممية الثالثة، وعندما بدأت إسرائيل تكتسب المزيد من الأرض، تمت إدانتها بشدة من قبل غالبية المندوبين الثوريين باعتبارها مشروعًا استعماريًا وإمبرياليًا، بما في ذلك البوند اليهودي. ومنذ قيام إسرائيل عام 1948، عندما قامت بتطهير عرقي للسكان الأصليين، ونقل المستوطنين في بعض الأحيان إلى منازل مهجورة والاستيلاء على ممتلكات الأشخاص الذين قُتلوا أو أُجبروا على الفرار، فقد تطورت وفقًا للمنطق الاستعماري الاستيطاني، إن إنكار ذلك، كما تفعل بن حبيب، هو الحذف الفعلي للذي يحدث. وبدونها لا يمكنك تفسير سبب حدوث هزيمة عام 1967، والتساؤل الذي يطرح هنا عما إذا كان إدعائها المزعوم بدعمها المفترض لحق تقرير المصير الفلسطيني ذا معنى على الإطلاق. في مستهل هذا المقال كتبت: "على مدى نصف القرن الماضي، دعوت أحيانًا إلى دولة ثنائية القومية؛ وفي أحيان أخرى إلى دولة واحدة". دولة، وأحيانًا بنية اتحادية." وبصرف النظر عن هذا شبه النداء للتقاليد – لقد فعلت ذلك لمدة نصف قرن، لذا يجب أن تنصتوا لي ! – ما الذي كان من المفترض أن تحققه هذه التوسلات ؟ ثم إن هناك تتطابق وحذف عند بن حبيب هو ما تدعيه حول القوميتين الإسرائيلية والفلسطينية، حذفت أو سكت عن كيفية تطور كلا من الصهاينة والفلسطينيين كشعب. واكتفت برؤيتها : "إن القوميتين الإسرائيلية والفلسطينية تعكسان بعضهما البعض، وفي نهاية المطاف يتعين عليهما أن يعيشا متجاورين ويتقاسمان الأرض مع بعضهما البعض". هذه ليست مرايا. إنهما متعارضان تمامًا. لقد قارن تاريخ الفكر المناهض للاستعمار بأكمله بين هذين النوعين من القوميات و لنعود مرة أخري إلى المؤتمر الثاني للأممية الثالثة حيث تم الاعتراف بحقوق الشعوب المستعمرة في تأكيد تقرير مصيرها كأمة من قبل الثوار في جميع أنحاء العالم. إن قومية الولايات المتحدة أو كندا لا تعادل حق تقرير المصير الوطني للدول الأصلية التي حلت محل أولئك منا الذين

يهتمون بمقاومة الاستعمار الاستيطاني. تتجاهل بن حبيب بشكل غريب المناقشات التاريخية حول هذه المسألة، ويعتقد مؤيدها أن هذا هو الوضوح، أو أن الاهتمام بهذا يعني الاستغراق في "المنطق المناهض للمستوطنين" الذي يمثل إشكالية إلى حد ما – لماذا؟ والسؤال: هل نقف مع المظلوم أم الظالم، هل وجهة نظرنا من الأسفل أم من الأعلى؟

إن بن حبيب لم تنحو منحى صديقتها بتلر فى دعهما للشعب الفلسطينى وبيان حقه فى المقاومة، ولم تصرح كساسة إسرائيل بأن الفلسطنين مجرد حيوان متوحشة ولم تأخذ موقفًا شديد الوضوح فى الانحياز إلى دولة إسرائيل كما فعل أستاذها هبرماس ولكنها أيضًا ساوت بين طرفين المقاوم والمستعمر صاحب الحق والمحتل.

الهوامش:

(1) المكابيون تاريخيا هم جماعة من المتمردين اليهود الذين سيطروا على يهودا التي كانت جزءًا من الإمبراطورية السلوقية، وعرفوا بنضالهم من أجل اليهود أمام التمدد الهلنيستي، وبرز من بينهم قائدهم يهوذا مكابي، في الثورة التي دعا لها للسيطرة على الهيكل وتطهير اليهود من الوثنية التي شاعت حينها. واستشهد رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في عدة مناسبات بهؤلاء المتمردين، إحداها في السادس من ديسمبر/كانون الأول 2023، إذ قال في مؤتمر صحفي "مقاتلونا هم الجيل الذي يتابع مسيرة المكابيين، إذ يخوضون هذه الأيام القتال بشجاعة وبمنتهى الشهامة وبعزم. واليوم، كما حدث حينها، سنصلي معا لأجل سلامتهم، وسنصلي معا لأجل سلامة بلادنا، ليصنع الله عز وجل خلاصا كبيرا".وفي هذه الجمل استعمل نتنياهو مصطلحا دينيا له تفسيره الخاص في الأدبيات اليهودية، وهو الخلاص، كما أشار إلى جماعة لها ذكرها الخاص وتأثيرها الكبير في تاريخ الديانة اليهودية، وهي جماعة المكابيين. وليست هذه المرة الأولى التي يستدعي فيها نتنياهو سيرة المكابيين في حديثه عن المواجهات مع الفلسطينيين، ففي 19 ديسمبر/كانون الأول 2017 تحدث أمام حزب الليكود واهتم بالرد على قرارات الأمم المتحدة التي أقرّت بأن حائط البراق أرض فلسطينية، فقال "كان لنا وسيبقى، لم يكن للفلسطينيين أي وجود في فترة المكابيين لمزيد من التفاصيل حول تاريخ المكابيين انظر : هانى عبد العزيز السيد /اليهود فى فلسطين فى العصرين البطلمى والسلوقى (المكابيون) دراسة فى الناحية الدينية والسياسية، دار عين للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ط، 2005.

(2) Seyla Benhabib, What is Israel's End-Game?, in https://www.resetdoc.org/story/what-is-israels-end-gam

(3) Ibid

(4) Ibid

(5) Ibid

(6) Ibid

(7) رشيد العلوي، الفلسفة بصيغة المؤنث، مؤسسة هنداوي، 2018، ص 68. ([1])

(8) إلى سنة 1648 التى أسس من خلالها مبدأ السيادة الوطنية Westphalian ترجع معاهدة ويستفاليا الذي يقر بأن لكل دولة سيادتها الخاصة على أجوائها البرية والبحرية والجوية. أما مصطلح ما بعد حوار مشترك مع الفيلسوف ويستفاليا فإنه يشير إلى الحدود أصبحت سهلة الاختراق، انظر : أرشيبيكي والفيلسوفة سيلا بنحبيب: تقييد الديمقراطيات .(mominoun.com).

(9) Seyla Benhabib, What is Israel's End-Game?, in https://www.resetdoc.org/story/what-is-israels-end-gam

(10) Ibid

(11) رشيد العلوي، الفلسفة بصيغة المؤنث، مؤسسة هنداوي، مرجع سبق ذكره، ص71 ([1])

(12) المرجع نفسه، ص 72.

(13) Seyla Benhabib, What is Israel's End-Game?, in https://www.resetdoc.org/story/what-is-israels-end-gam

(14) Ibid

(15) Ibid

(16) كاتب وروائي وصحفي إسرائيلي، أستاذ الأدب في جامعة بن غوريون في بئر السبع .مُنذ عام 1967 اعتبر من أبرز الدعاة والمؤيدين لحل الدولتين من أجل انهاء الصراع الفلسطيني الإسرائيلي توفى عام 2018 م.

(17) Amos Oz , In The Land of Israel , Chatto & Windus & Hogath Press 1983 , p 75.

(18) Seyla Benhabib, What is Israel's End-Game?, in https://www.resetdoc.org/story/what-is-israels-end-gam

(19) Ibid

(20) رشيد العلوي، الفلسفة بصيغة المؤنث، مؤسسة هنداوي، مرجع سبق ذكره، ص 73

(21) Seyla Benhabib, Exile, Statelessness, and Migration: Response to my critics, in , (sagepub.com) 2020.

(22) Seyla Benhabib, What is Israel's End-Game?, in https://www.resetdoc.org/story/what-is-israels-end-gam

* فيلسوفة أمريكية لها إسهامات في مجالات الفلسفة النسوية، الفلسفة السياسية، والأخلاق. وهي أستاذة في قسم الأدب المقارن والبلاغة في جامعة كاليفورنيا (بركلي) .حصلت بتلر على دكتوراة الفلسفة من جامعة يل عام1984 ،تقلدت بيتلر في أواخر الثمانينات عددة مناصب، وكان لها إسهامات في تأثيرات ما بعد البنوية في النظرية النسوية الغربية حول تحديد ماهية «المصطلحات الإفتراضية» للنسوية، تناولت أبحاثها نظرية الأدب، والخيال الفلسفي المعاصر، والنسوية، ودراسات النوع والجنسانية، والأدب والفلسفة الأوروبية في القرن 20، ركزت في أحدث أعمالها على الفلسفة اليهودية، مستكشفة الانتقادات التي وجهت لما قبل وبعد الصهيونية على عنف الدولة سياسياً، تدعم بتلر بقوة حركة بي دي إس على إسرائيل، تشير (BDS) إلى الحملة الدولية الاقتصادية والتي بدأت في

9 يوليو 2005 بنداء من 171 منظمة فلسطينية غير حكومية،.. للمقاطعة، وسحب الاستثمارات وتطبيق العقوبات ضد إسرائيل حتى تتصاع للقانون الدولي ومبادئ حقوق الإنسان .الأهداف الثلاثة المعلنة للحملة هي:

(1) انهاء الاحتلال الإسرائيلي واستعماره لكل الأراضي العربية فضلا عن تفكيك الجدار العازل.

(2) الاعتراف الإسرائيلي بالحقوق الأساسية للفلسطينيين المواطنين العرب في إسرائيل بالمساواة الكاملة.

(3) قيام إسرائيل باحترام وحماية وتعزيز» حقوق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم كما هو منصوص عليه في قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 194. للمزيد من التفاصيل انظر: www.bds-palestine.net

** See: Judith Butler on Hamas, Israel's Collective Punishment of Gaza & Why Biden Must Push for Ceasefire | Democracy Now!

*** See: Judith Butler، *The Force of Nonviolence: The Ethical in the Political*,London , Verso *Publisher,2020*

(23) Judith Butler on Hamas, Israel's Collective Punishment of Gaza & Why Biden Must Push for Ceasefire | Democracy Now!

(24) https://www.resetdoc.org/story/Habermas on Israel: a Principle of Solidarity | Reset DOC

(25) Ibid

* See: Seyla Benhabib, An Open Letter To My Friends Who Signed "Philosophy for Palestine" | by The Hannah Arendt Center | Amor Mundi | Medium

(26) Ibid

(27) Ibid

(28) Seyla Benhabib: "Why I Endorse the Call for an End to this Cruel Cycle of Violence "in https://www.resetdoc.org/story/seyla-benhabib-endorse-call-end-cruel-cycle-violence.

(29) Seyla Benhabib, An Open Letter To My Friends Who Signed "Philosophy for Palestine" | by The Hannah Arendt Center | Amor Mundi | Medium

(30) Ibid

(31) Ibid

(32) Seyla Benhabib: "Why I Endorse the Call for an End to this Cruel Cycle of Violence "in https://www.resetdoc.org/story/seyla-benhabib-endorse-call-end-cruel-cycle-violence.

(33) Ibid

(34) Ibid

(35) Ibid

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر

- Seyla Benhabib, An Open Letter To My Friends Who Signed "Philosophy for Palestine" | by The Hannah Arendt Center | Amor Mundi | Medium
- ……, Exile, Statelessness, and Migration: Response to my critics, in , (sagepub.com) 2020.
- ……, What is Israel's End-Game?, in https://www.resetdoc.org/story/what-is-israels-end-gam
- ……: "Why I Endorse the Call for an End to this Cruel Cycle of Violence "in https://www.resetdoc.org/story/seyla-benhabib-endorse-call-end-cruel-cycle-violence
- حوار مشترك مع الفيلسوف أرشيبيكي والفيلسوفة سيلا بنحبيب: تقييد الديمقراطيات. (mominoun.com)

المراجع :

- Amos Oz , In The Land of Israel , Chatto & Windus & Hogath Press 1983.
- Judith Butler، *The Force of Nonviolence: The Ethical in the Political*,London , Verso *Publisher,2020*
- : ……. on Hamas, Israel's Collective Punishment of Gaza & Why Biden Must Push for Ceasefire | Democracy Now!
-
- :www.bds-palestine.net12
- www.resetdoc.org/story/Habermas on Israel: a Principle of Solidarity | Reset DOC
- www.yale.eud/polisci/people/sbnhabib.htm.
- رشيد العلوي، الفلسفة بصيغة المؤنث، مؤسسة هنداوي، 2018.

هانى عبد العزيز السيد /اليهود فى فلسطين فى العصرين البطلمى والسلوقى (المكابيون) دراسة فى الناحية الدينية والسياسية، دار عين للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ط، 2005

ليست أحداثًا ناتئة.. سلافوي جيجيك والحرب في غزة

أمير زكي

منذ هجوم طوفان الأقصى في 7 أكتوبر عام 2023 توجهت الأنظار إلى الآراء المتباينة التي قدمها الفلاسفة الغربيون المعاصرون عن الحدث، وعن القضية الفلسطينية في العموم، وأحد أبرز هذه الأسماء كان الفيلسوف السلوفيني سلافوي جيجيك، ويعود هذا إلى أسباب عديدة، منها كونه الفيلسوف اليساري الذي يتعاطى مع الأحداث الجارية، ومنها أيضًا اهتمامه القديم بالقضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي الذي ذكره في أكثر من كتاب له.

أحد الأمور التي جعلت جيجيك بارز بشكل أكبر هو حضوره معرض فرانكفورت بعد أيام، ورغم إدانته لحماس وتأكيده على "حق إسرائيل الدفاع عن نفسها"، إلا أنه حين بدأ يتحدث عن سياق القضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني تلقى صيحات استهجان عديدة (جريس، 2023)، ولكن في المقابل لم يتلق العديد من العرب آراء جيجيك بإيجابية، فبسبب كلامه نفسه، الذي يبدأ بإدانة حماس وطوفان الأقصى، وتأكيده على حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها، لم يجد العديد من العرب المؤيدين للقضية الفلسطينية كلامه منصفًا.

إذن وسط الانتقادات التي يتلقاها جيجيك من المعسكر الإسرائيلي ومن وراءه الغربي والمعسكر العربي المناصر للقضية الفلسطينية، أين يمكننا أن نجد موقف سلافوي جيجيك؟

قبل أن نحدد موقف سلافوي جيجيك، علينا أن نضع في الاعتبار سؤال أهم، وهو كيف يمكن أن نستفيد من فهمنا لموقف جيجيك؟ أي كيف نستفيد من آرائه بما يساعدنا الدفاع عن قضيتنا المؤيدة للموقف الفلسطيني والعربي؟

هذا التساؤل مهم لأننا لا يمكن أن ننتظر من فيلسوف غربي، مهما كان منصفًا لنا، أن يكون مؤيدًا تمامًا لكل ما نقول، وأن يتبنى كلية سرديتنا، فمن الطبيعي أن تكون

له آراء غير مقبولة لنا، وهذا شيء ينبغي أن نتفهمه.

بدأ تعاطي سلافوي جيجيك مع هجوم "طوفان الأقصى" بمحاضرته في معرض فرانكفورت، بعد عشرة أيام من الأحداث، وفي خطابه في المحاضرة ركز على هذه القضية، ولكنه بدأ كما هو متوقع بإدانة شديدة لهجوم حماس وللحركة، وبتأكيده على "حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها". هذا الذي يضايق العرب، ولكن ما أن تحدث عن ضرورة العودة إلى سياق الصراع تلقى صافرات الاستهجان من الحضور. ولكن بعيدًا عن صافرات الاستهجان، ما هو تحليل جيجيك للصراع في هذه المحاضرة؟

بعد إدانة حماس بدأ جيجيك ينتقد تعامل المعرض مع القضية الفلسطينية، بحديث الحضور دومًا عن أن إسرائيل تواجه حماس، متجاهلين معاناة ملايين الفلسطينيين سواء في غزة أو في الضفة الغربية. (Rose, 2023)

بالطبع إدانة جيجيك لحماس كان فيها ما يستدعي النقد، والنقد ليس نابعًا من الميل لصف بقدر الأخطاء المعلوماتية، فجيجيك يتحدث عن ممارسات اغتصاب جنسية في طوفان الأقصى، وهذه المسألة وإن كانت تؤكدها إسرائيل، فحماس تنفيها، ومدى صدقها من عدمه ما زال محل نزاع، وليس من المفترض لفيلسوف مدقق أن يضع كل ما تقوله إسرائيل موضع الصدق، فمن الطبيعي أن تبالغ إسرائيل في وصف حجم الهجوم الفلسطيني يوم 7 أكتوبر، وأن تذكر وجود انتهاكات حرب وغيرها من الانتهاكات.

ولكن في مقابل ذلك، علينا أن نتمسك تحليليًا بإصرار جيجيك على العودة للسياق، لأن حدث 7 أكتوبر ليس حدثًا ناتئًا منفصلًا عن تاريخ طويل من الصراع الفلسطيني الإسرائيلي.

بالتوازي مع خطابه في فرانكفورت كتب جيجيك مقالاً عن الموضوع نفسه، وبعد الإدانة المعتادة، بدأ في ملاحظته المميزة عن تشابه الخطاب العدائي بين المتطرفين من الجانبين، في حين أن النظرة الغربية (نظرة الحَكَم) تركز على هذا التطرف العربي متجاهلة التطرف الإسرائيلي.

يدَّعي الإسرائيليون أن الخطاب الفلسطيني (أو الحمساوي) معادٍ للسامية، ولكن الإسرائيليين يستخدمون الخطاب نفسه الساعي لزوال العرب من فلسطين ولكن لا أحد

يدينهم في ذلك.

ولكن من المهم أن نذكر الطريقة التي تحدث بها جيجيك عن الخطاب الفلسطيني (أو الحمساوي) الذي يدعي الإسرائيليون أنه معادٍ للسامية، إذ أن جيجيك يؤكد أن الإسرائيليين يستخدمون الخطاب نفسه، ولكن لا أحد يدينهم في ذلك.

يقول جيجيك في مقاله: "أول شيء نضعه في الاعتبار هو اليأس المطلق الذي تتسم به حياة معظم الفلسطينيين. لنذكر سلسلة الهجمات الانتحارية المنعزلة التي جرت في شوارع القدس منذ نحو عقد مضى. إذ يقترب فلسطيني عادي من شخص يهودي، ويخرج سكينًا ويطعن الضحية، وهو يعرف تمامًا أنه سيقتل على الفور. لا توجد رسالة في هذه الأفعال (الإرهابية) ولا صيحات تقول (لتحيا فلسطين)، ولا يوجد أي نوع من التنظيم خلف هذه الهجمات، هي مجرد هجمات فردية منطلقة من اليأس العنيف". Žižek, S. (2023)

لنلاحظ أن العقل العربي سيرفض كلمة "الإرهاب" هنا، نحن أمام فلسطيني يدافع عن أرضه، ولكن علينا أن نضع في الاعتبار أيضًا طريقة تحليل جيجيك لهذه الأفعال، جيجيك يستطيع ببراعة أن يحلل تهافت الخطاب الإسرائيلي، خاصة أنه ينتقد الخطاب الفلسطيني الذي يقول الأمر نفسه، "لا لليهود على أرض فلسطينية" مقابل "لا للفلسطينيين على أرض يهودية"، في الحالة الأولى يقول الإعلام أو الخطاب الغربي أن هذا إرهاب، وفي المقابل يقول الإعلام أو الخطاب الغربي أن هذا "حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها".

ولكن جيجيك يؤكد على ضرورة انتقاد التطرف من الجانبين، فهذا هو الطريق الوحيد للوصول إلى حل.

"يمكننا وعلينا أن ندعم حق إسرائيل غير المشروط في الدفاع عن نفسها ضد الهجمات الإرهابية. ولكن علينا أيضًا أن نتعاطف تعاطفًا غير مشروط مع الظروف اليائسة والمحبطة التي يواجهها الفلسطينيون في غزة والأراضي المحتلة. ومن يظنون أن في هذا (تناقض) هم الذي يمنعون بحق الوصول إلى حل". Žižek, S. (2023)

يكرر جيجيك تأكيده على حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها، ولكنه، كفيلسوف

ذكي، ومحلل بارز، يسائل هذا "الدفاع عن النفس"، ما الذي يعنيه "الدفاع" وما الذي نعنيه بـ "النفس"، بالتالي هو مثلًا يضع الحرب الروسية الأوكرانية في الاعتبار، الكرملين يعتبر روسيا في هذه الحرب تدافع عن نفسها ضد انتهاكات أوكرانيا، ولكن الغرب لا يرى ذلك، إنما يرى أن روسيا قوة كبرى تحاول أن تسحق الأوكران. ولكنه لا يطبق طريقة التفكير نفسها مع إسرائيل.

توجد تقارير عديدة ذكرت تعذيب الإسرائيليين للمعتقلين الفلسطينيين، التعذيب الذي وصل إلى حالة هتك العرض، في هذه الحالة، يذكر جيجيك حديث بعض السياسيين الإسرائيليين عن أن هذا مبرر طالما جرى ضد "النخبة" العسكرية في حماس.

يذكر جيجيك أن علينا أن نتخيل لو كان الروس هم من ذكروا هذا الخطاب، بالطبع ستكون وجهة النظر الغربية مختلفة عن هذا.

"المأساة هي أن إسرائيل، الناتجة عن الذنب الإسرائيلي من الهولوكوست، صارت رمزًا للقمع والاستعمار الأوروبيين. قدم الأوروبيون للناجين من المحرقة الأرض التي سكنها شعب آخر للعديد من القرون. إنها الخطيئة الأصلية، التي لم يكفر عنها، التي تمنع مجددًا السلام والاستقرار في الشرق الأوسط".(Žižek, S. (2024

كما ذكرنا، لا يمكن أن نؤكد أن جيجيك يقف في صفنا تمامًا في هذه الحرب، أو هو لا يقف في صفنا كلية. ولكن جيجيك يقدم تبصرات ذكية، تبصرات يمكن أن تفيدنا في صياغة خطاب مواجه للعدوان الإسرائيلي، وإذا كانت الحرب تفرض نفسها، فعلينا أن نستعين بهذه التبصرات وأن نستفيد منها، وذلك في مواجهتنا الفكرية مع إسرائيل، قد لا تكون هذه المواجهة ترقى لقدر المواجهة الجسدية والعسكرية والحربية، على الأقل في الوقت الحالي، الذي يُقتَل فيه المئات يوميًا، ولكن هذه المواجهة الفكرية ملحة أيضًا، لأننا كثيرًا ما كنا غير قادرين على مجاراة الخطاب الإسرائيلي الذي رسخه على مدار عشرات السنين، بل ربما مئات السنين.

ولكن مثلما علينا أن نضع 7 أكتوبر وسط سياق تاريخي طويل، علينا أيضًا أن ندرك أن حديث جيجيك عن القضية الفلسطينية لم ينبع من هجوم "طوفان الأقصى"، بل يعود إلى كتب سابقة تتحدث عن القضية، أي أن اهتمام جيجيك بهذه القضية عميق

وعلينا أن نضعه في الاعتبار، لذلك بعد أن نظرنا إلى تعاطيه مع الأحداث الجارية بالمقالات، علينا أن نذكر ما الذي أشار إليه في فلسفته في العموم.

القضية الفلسطينية فلسفيًا

في مقال لسلافوي جيجيك بعنوان "هل يمكن أن نكون هيجليين اليوم؟" وهو مقال يختص بالشأن الفلسفي وليس كمقالاته الأخيرة التي تركز على التعليق على الشؤون السياسية يشير جيجيك في مقاله إن "معاداة السامية" الكلاسيكية تهاجم اليهود لكونهم شعبًا بلا جذور، ولكن بدلًا من أن تواجه الصهيونية هذا الاتهام، تبنته بأن لجأت بتزويد اليهود بجذور، وجذور عميقة، لذلك يشير جيجيك إلى أن المعادين للسامية المحافظين والصهاينة يتفقون مع فكرة الدولة الإسرائيلية وتوسعها.

ولكن المشكلة تكمن في أن تزويد اليهود بجذور وأرض، كان على حساب جذور شعب آخر وأرضه. أي أنه لكي يكفر اليهود عن ذنب انعدام الجذور، هذا الذنب الذي أضفته عليهم القوميات الأوروبية، أخرج الصهاينة الفلسطينيين من قراهم وأراضيهم. Žižek, S. (2019).

في كتابه "شجاعة اليأس" يشير جيجيك إلى قضية مهمة، تعبر عن التناقض الأيدولوجي الإسرائيلي، فالصهيونية تؤكد طوال الوقت أن الأرض العربية الفلسطينية هي الأرض التي وعدهم بها الله في الكتب المقدسة، أي أنها أرضهم التاريخية، والتناقض يقع في أن الإحصائيات تشير إلى أن إسرائيل تعتبر من أكثر الدول التي تضم مواطنين ملحدين في العالم، إذ تصل نسبة الملحدين فيها إلى 60%، فكيف لدولة عدد كبير من مواطنيها من الملحدين أن تقوم على أرضية دينية كالتي تقوم بها إسرائيل. وكأن الإسرائيلي يفكر بهذه الطريقة: "أعلم تمام العلم أن الله غير موجود، ولكني مع ذلك أؤمن أن الله وهب لنا هذه الأرض لتشكل إسرائيل الكبرى". (Žižek, S. 2008, P124)

عملية تزييف التاريخ مستمرة، وأحيانًا تناقض التاريخ اليهودي الحديث نفسه، يذكر جيجيك تصريحًا لبنيامين نتنياهو، رئيس الوزراء الإسرائيلي الحالي، يعود التصريح إلى 2015، ويقول فيه إن هتلر كان يسعى لطرد اليهود وليس إحراقهم، ولكن من أقنعه بالمحارق هو الشيخ أمين الحسيني، مفتي القدس، أثناء لقائه بالزعيم النازي عام 1941.

يريد نتنياهو من هذا التصريح أن يشير بوجود دور للعرب في المحارق النازية خلال الحرب العالمية الثانية، ولكن الحقيقة أن ليس لهذا الكلام أي سند تاريخي، فالمحارق والترصد لليهود كان جاريًا حتى قبل لقاء هتلر والحسيني، ولا دخل للعرب فيه. Zizek, S. (2017)

ويشير جيجيك في نفس الكتاب أن تأسيس دولة إسرائيل كان أشبه بتحقيق "الحل النهائي" الذي كانت تسعى إليه ألمانيا النازية، إذ الغرض هو تفريغ أوروبا كلها من اليهود، وهذا ما تحقق.

بتحليله الفلسفي يستطيع جيجيك أن يتوصل أن المسار التاريخي يجعل الصهاينة ينفذون ما أراده أعداءهم من البداية أي الرغبة النازية في إقصاء اليهود كلية من أوروبا.

في كتابه "العنف"، يشير جيجيك إلى ملاحظة أخرى مهمة، وهي أن إسرائيل تمارس الإرهاب بحجة أنها تحارب الإرهاب، أي أنها تشرعن إرهابها داخل إطار الدولة السياسية. هنا يستعين جيجيك باقتباس من الشاعر الألماني بريخت: "ما الذي تعنيه سرقة بنك بالمقارنة بإنشاء بنك؟"، إذ أن الدولة الإسرائيلية تشرعن إرهابها وعنفه بمسميات الدولة، ولكن لا يمكن أن ننزع عنها أنها تمارس الإرهاب والعنف.

ويكرر جيجيك أن الغرب ينتقد الفلسطينيين على التمسك بأراضيهم إلى هذا الحد، وربما هذا يخالف "السياسة الواقعية"، ولكن يغيب عنهم أن الصهيونية مارست نفس الأسلوب، بل بشكل أغرب وأعجب، إذ أنها تتمسك بأرض تدعي أنها أرضها منذ آلاف السنين، لا عشرات السنين مثل الفلسطينيين. (Žižek, S. 2008, P118)

في الكتاب نفسه يشير إلى أن الصهيونية هربت من انعدام التسامح الأوروبي لتسقط عنفها (الذي مارسه عليها الأوروبيون) على الشعب الفلسطيني، وهو (الفيلسوف البارز في التحليل النفسي) يشبِّه ذلك بنكتة الرجل الذي فقد محفظته، في مكان مظلم، ولكنه ذهب إلى مكان مضيء ليبحث فيها عما فقده، وعندما سؤال عن سبب ذلك، ولماذا لا يبحث عن المحفظة في المكان التي فقدها فيه، يقول "لأن الرؤية أوضح في هذا المكان".

نقطة إضافية هامة يشير إليها جيجيك في كتابه، وهي البعد العصابي الذي يحيط

بالصراع في الشرق الأوسط "يعلم الجميع الحل الناجع الوحيد: انسحاب الإسرائيليين من الضفة الغربية وغزة، وإنشاء دولة فلسطينية، بالإضافة إلى الوصول إلى تسوية تتعلق بالقدس... كل الناس ترى الطريقة التي يمكن بها التخلص من العقبة، ولكن لا أحد يريد أن يزيل العقبة، وكأنه يوجد ربح ليبيدي باثولوجي بالإصرار على إبقاء الطريق مسدودًا". (Žižek, S. 2008, P122,123)

ولكن جيجيك لا يتردد عن نقد العرب أيضًا، وتركيزهم على إسرائيل بأنها السبب في التخلف العربي أو إبقاء الرجعية العربية، بل هو يرى أن التركيز فقط على إسرائيل هو ما يعطل العرب، ويشير جيجيك أيضًا إلى ضرورة الرجوع إلى المعنى الأساسي لفكرة "الجهاد" الإسلامي، كنوع من جهاد النفس لتنقيتها وتحسينها (Žižek, S. 2008, P134)

حديث جيجيك عن القضية الفلسطينية لا ينبغي أن يفصلنا عن كامل رؤيته، لأن جيجيك ماركسي، بالطبع ليس ماركسيًا كلاسيكيًا، ولكنه في النهاية ماركسي، لذلك فهو يرى أننا بحاجة أصلًا للتحرر الأممي من وطأة رأس المال، بالإضافة إلى أن المخاطر البيئية التي تهدد العالم كله تحتاج إلى تضامن عالمي.

الأمر في بعد آخر أشبه بالمسلسل الفانتازي "لعبة العروش"، فكل صراعات البشر في المسلسل تصبح ضئيلة القيمة أمام خطر الشتاء القاسي الذي يمكن أن يودي بالبشرية كلها، لذلك علينا أن ننحي الخلافات لننظر إلى شيء أقوى ينتظرنا جميعًا.

علينا أن نضع هذه المسألة في الاعتبار حين نقرأ تعاطي سلافوي جيجيك مع القضية الفلسطينية، جيجيك بالتأكيد لن يكون في صفنا كلية، لن يتبنى القضية الفلسطينية بنفس التبني العاطفي الذي نتبناه به، لا نستطيع أن نلومه على ذلك، أولًا لأنه لم ينشأ كجزء من ثقافتنا، وثانيًا بسبب أن موقفه الفلسفي مختلف، وتوجد نقطة إضافية علينا أن نضعها في الاعتبار، أن العالم العربي كله لا يجتمع في تعاطيه مع القضية الفلسطينية، إذ أن الموقف العربي، لنقل السياسي، ليس واحدًا، إذ أن هناك العديد من الدول التي لا تتبنى تمامًا الموقف المتعاطف مع القضية في مواجهة العدوان الإسرائيلي المستمر.

المراجع:

- جريس، سمير (2023)، حرب عزة تخيم بظلالها على معرض فرانكفورت 2023، إندبندنت عربية
- Žižek, S. (2008). Violence: Six sideways reflections. Picador.
- Zizek, S. (2017). The Courage of Hopelessness: chronicles of a year of acting dangerously
- Žižek, S. (2019). Can one be a Hegelian today? - The Philosophical Salon. The Philosophical Salon.
- Rose, M. D. (2023). Slavoj Žižek – speech at the Frankfurt Book Fair. Brave New Europe
- Žižek, S. (2024). Nothing new on the Middle Eastern front. Project Syndicate.
- Žižek, S. (2023). The real dividing line in Israel-Palestine. Project Syndicate

السيطرة على الفلسطينيين هيجل والصهيونية التصحيحية[*]

شيراز دوسا، ترجمة : نوران خالد عبدالمنعم،

بالنسبة للفلسطينيين، يمثل الانحدار والسقوط الوجه الحقيقي لواقعهم التاريخي. ومما لا شك فيه أن الوضع الفلسطيني أصبح أكثر قسوة مع مرور الزمن. ورغم أن هذه الحقيقة أصبحت الآن مقبولة على نطاق واسع، إلا أن هناك حقيقة بالغة الأهمية مفقودة في الدراسات المتنوعة حول الوضع الفلسطيني: إن الوضع الفلسطيني هو جزئياً إرث الدوافع المعادية للقانون؛ التي تسعى إلى الاعتراف والسلطة، والتي اعترف بها منذ فترة طويلة فلاسفة مثل هوبز وهيجل ونيتشه باعتبارها ينابيع للفعل الإنساني. وما لم نفهم الاستراتيجية الصهيونية في التعامل مع الفلسطينيين باعتبارها رغبة هيجلية في الاعتراف مقترنة بإرادة نيتشية للسلطة، فإن الشفقة التي تحيط بالوضع الفلسطيني لا يمكن تصورها ولا يمكن فهمها بالكامل. وهذه هي الحجة الأساسية التي تستند إليها التأملات التالية حول المصير المعاصر للفلسطينيين.[1]

إن الأمر اللافت للنظر في الاستراتيجية الصهيونية هو قسوتها الهوبزية، وموقفها من الحياد الأخلاقي: إن هدفها الملموس هو السيطرة على الفلسطينيين. إن القتل الجماعي للفلسطينيين خارج إسرائيل أمر مقبول بل ومشجع. ولكن هذا ليس الهدف الأساسي. فمثل المذبحة المشينة في دير ياسين (1948)، كان الفظائع المنظمة في صبرا وشاتيلا (1982) تهدف إلى أن تكون بمثابة تحذير جديد من عناد العزيمة الصهيونية.[2]

شيراز دوسا يدرس النظرية السياسية في جامعة كالجاري، ألبرتا، كندا. ومن منشوراته "**تحت أعين الغرب: الإسلام والمشرق العربي**" في العلاقات الكندية العربية، تحرير ت. ي. إسماعيل (أوتاوا، 1984)؛ "بيلي بود وروبسبيير" في الفلسفة والنقد الاجتماعي (خريف/شتاء 1982)؛ "و"آيخمان والسياسة والشر" في مجلة "مراجعة السياسة" (أبريل 1984). وهو يكمل حالياً كتاباً عن النظرية السياسية لهانا أرندت.

(*) https://www.jsotr.org/stable/41857735، مجلة الدراسات العربية، خريف 1984، المجلد 6، العدد 4، ص303-296.

إن "المذابح المرخصة"[3] للمدنيين مسموح بها تحت ستار القضاء على الإرهابيين الفلسطينيين، حتى وإن كانت الإبادة الجماعية الصريحة غير مسموح بها. ومن المفهوم أن مثل هذه الأحلام المروعة محظورة رسمياً، لأنها تستحضر ذكريات "الحل النهائي" الذي أطلق ضد اليهود الأوروبيين.

ولكن إدراك وجود حدود "أخلاقية" لهذه المغامرة، على نحو متناقض، أعطى الزخم والشرعية لاستراتيجية الصهيونية السياسية. وما دامت هذه الاستراتيجية لا تستخدم الأساليب الدقيقة، ولا تدعي الأعداد الهائلة من ضحايا الإبادة الجماعية التي ارتكبها هتلر، فإن اليهود يستطيعون الاستمرار في الحفاظ على صورتهم كأشخاص لا ذنب لهم أخلاقياً. إن فشل عدد لا يحصى من اليهود في إدراك الأصل الأوروبي والحدود الأوروبية لأخلاقياتهم الجديدة؛ قد أدى إلى عمى أخلاقي قاتل تجاه الفلسطينيين . تجاه شعب لم يلعب أي دور في المحرقة الأوروبية.[4]

ورغم وجود العديد من اليهود الشرفاء المعارضين لها، فإن الاستراتيجية والأخلاق الصهيونية التعديلية تتمتع بدعم وموافقة ضمنية أو صريحة من جانب غالبية اليهود في مختلف أنحاء العالم.[5] ومع ذلك، فمن غير العدل أن نصور الاستراتيجية الصهيونية باعتبارها استراتيجية يهودية بالنسبة للأقلية المعارضة وأنصار الصهيونية الروحية، مثل مارتن بوبر ويهوذا ماجنيس. والعدالة تقتضي أيضاً أن يتم التمييز بين اليهود الذين يستسلمون لها وبين أبطال الصهيونية السياسية وقواتها.

وإذا خلت هذه الاستراتيجية من كل الأقنعة الأنانية، فإنها استراتيجية إبادة عرقية عدوانية. وعلى النقيض من الإبادة الجماعية، فإن الإبادة العرقية إنسانية بالمعنى المطلق: فهي لا تسعى إلى محو الشعب بأكمله جسدياً. إن استراتيجية الإبادة العرقية تحاول تدمير الهوية الوطنية والثقافية للمجموعة المستهدفة بشكل منهجي وفعال. إن تعريف الفيلسوف مونرو بيردسلي للإبادة العرقية هو تعريف مؤلم ومناسب في هذا السياق. فهو يصف الإبادة العرقية بأنها ارتكاب أفعال من أنواع محددة بقصد القضاء على ثقافة ما بشكل كامل أو جزئي. ومن بين هذه الأفعال الإبادية العرقية الحرمان من فرصة استخدام لغة أو ممارسة دين أو خلق فن بالطرق المعتادة أو الحفاظ على المؤسسات الاجتماعية الأساسية أو الحفاظ على الذكريات والتقاليد أو العمل بالتعاون من أجل تحقيق أهداف اجتماعية.[6]

إن الحكم على الأمر بهذه الطريقة لا يدع مجالاً للشك في أن السلوك الصهيوني

تجاه الفلسطينيين كان إبادة عرقية بالمعنى الأعمق، قبل عام 1967 وبعده على وجه الخصوص. والأدلة القاطعة التي قدمها علماء يهود وغير يهود قاطعة إلى الحد الذي لا يبرر التوصل إلى استنتاج أقل إدانة.[7] والواقع أنه في أعقاب الغزو القاتل الأخير للبنان والتوسع المتواصل للمستوطنات اليهودية على الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية، أصبح من الممكن أن نجادل في ما إذا كانت الاستراتيجية الصهيونية تتسم بالإبادة الجماعية على نحو واضح.

وسواء كانت استراتيجية بعينها تتسم بالإبادة الجماعية في طبيعتها، فإن هذا سؤال يتحدى الحل السهل. فقد زعم ليو كوبر أن الإبادة الجماعية تستلزم وجود نية ارتكاب الإبادة الجماعية. وإذا لم يكن من الممكن إثبات مثل هذه النية بما لا يدع مجالاً للشك، فإن تهمة الإبادة الجماعية تعادل ادعاءً غير مبرر.[8] ورغم أن كوبر يدرك تمام الإدراك أن الإنكار يشكل وسيلة أكيدة "للتهرب من المسؤولية"، فإنه لا يميل إلى الإصرار على إثبات الإبادة الجماعية ما لم يكن من الممكن إثبات نية الانخراط في الإبادة الجماعية بوضوح.

وعلى النقيض من ذلك، فإن الفيلسوف جان بول سارتر أقل تفاؤلاً في موقفه من عمليات القتل الجماعي. ويزعم سارتر أن إسناد الإبادة الجماعية إلى نية يمكن إثباتها هو مغالطة محضة، لأن النية قضية قابلة للجدال في الأساس ولا يمكن إثباتها بشكل لا يقبل الجدل. ويزعم سارتر بشكل مقنع أن نية الإبادة الجماعية ينبغي أن تستنتج من السلوك الموضوعي والعواقب الملموسة لسياسات محددة. وباستخدام الحرب في فيتنام كمثال له، يخلص سارتر إلى أن نية الولايات المتحدة في ارتكاب الإبادة الجماعية كانت "ضمنية في الوقائع". وعلاوة على ذلك، فإن الحقائق لم تكن لتكون مختلفة لأنها كانت تتضمن "العلاقة الوحيدة الممكنة بين بلد مفرط التصنيع وبلد متخلف، أي علاقة إبادة جماعية".[9]

إن استنتاج سارتر حاسم للغاية ومؤكد للغاية. ومع ذلك، فمن الصعب أن ننكر الحقيقة العامة التي تدعم حجته. وفي هذه الحالة فإن السؤال الذي يجب طرحه هو ما إذا كانت العلاقة بين إسرائيل الصهيونية المتقدمة والفلسطينيين الأضعف بكثير إبادة جماعية؟ وفي المعنى الكلاسيكي والتاريخي للإبادة الجماعية، فإن الإجابة سلبية، حتى برغم وجود سلالة واضحة من السلوك الإبادي الجماعي في الصهيونية– إن الاستراتيجية الصهيونية في جوهرها إبادة عرقية بلا رحمة في التزامها العنيف بطرد الفلسطينيين والسيطرة عليهم.

لقد كان الرجوع إلى هذه الاستراتيجية ضرورة منطقية. فبعد أن قرر اليهود الوافدون إقامة دولة يهودية والحفاظ عليها، لم يكن أمامهم سوى بديلين حقيقيين: إما تصفية الشعب الفلسطيني بالكامل أو تحويله إلى رعايا سلبيين تماماً تحت السيطرة والوصاية الصهيونية. ولأسباب "أخلاقية" سبق أن ناقشناها، كان البديل الأول غير مقبول رسمياً. وبالتالي فقد اضطر الصهاينة إلى متابعة مسار الهيمنة السياسية واكتساب القدرة الوطنية على إطلاق العنان للعنف غير المحدود ضد الفلسطينيين متى شاءوا.

وفي سياق الهدف الصهيوني الأعظم، كانت هذه الاستراتيجية الغريبة حتمية بقدر ما كانت ضرورية. فكما قال ماكسيم رودنسون باختصار، فإن الصراع بين الفلسطينيين واليهود الجدد (على النقيض من اليهود القدماء) "يبدو في الأساس وكأنه نضال السكان الأصليين ضد احتلال جزء من أراضيهم الوطنية من قبل الأجانب". إن تحقيق دولة قومية يهودية حصرية والحفاظ عليها لم يكن أمام الأجانب الأوروبيين من خيار سوى تدمير الفلسطينيين كوحدة وطنية وثقافية. وعلى حد تعبير رودنسون فإن "هذا أمر لا يمكن إنكاره بقدر ما هو واضح". (10)

ورغم أن الرغبة السياسية في الهيمنة حاسمة وملموسة، فإنها لا تستنفد النطاق الفكري والبعد الأخلاقي للاستراتيجية الصهيونية. إن جوهر هذه الاستراتيجية هو تحقيق الهيمنة والسيادة على نحو يستثير قبول الفلسطينيين لعدالة الطموح الصهيوني. إن ما هو على المحك هنا هو استعداد الفلسطينيين لمنح الغرض الصهيوني الشرعية الأخلاقية، والموافقة على حقيقة العقل اليهودي فيما يتصل بالمسألة الفلسطينية. وباختصار فإن الهدف الحقيقي للاستراتيجية الصهيونية هو السيطرة على الفلسطينيين.

وتتميز هذه الاستراتيجية وتدفعها موضوعان أساسيان: الرغبة اليهودية في الاعتراف بها والخوف اليهودي من العجز. وبمعنى دقيق فإن كلا الدافعين أوروبيان في الأصل وكلاهما يشكلان استجابات يهودية لمصيرهم المأساوي المروع على الأراضي الأوروبية أثناء الحرب العالمية الثانية. ولكي نفهم معالم الاستراتيجية الصهيونية، فمن الضروري أن ندرك التوجه البارز في جدلية هيجل عن السيادة والعبودية، وعقيدة نيتشه عن إرادة القوة.

بالنسبة لهيجل، يعتبر انتقال الوعي الإنساني إلى الذات المنطوقة عملية انتقالية، حيث ينتقل الفرد من مجرد الوعي إلى القدرة على التعبير عن الذات من خلال اللغة والفكر.

إن الوعي يستلزم معركة بين البشر على المستوى الروحي وكذلك على المستوى الملموس. إن الصراع الضروري بين البشر هو صراع فكري وسياسي، وعقلي ومادي في نفس الوقت. ويصور هيجل هذه العملية باعتبارها صراعاً من أجل الاعتراف والذي بلغ ذروته تاريخياً في سيادة القلة واستعباد المهزومين. إن كون المرء سيداً يعني ممارسة القوة المرئية والاعتراف به باعتباره بطلاً من قِبَل المهزومين."[11]

يفسر هيجل السيادة باعتبارها الخطوة الأولى في إضفاء الطابع الإنساني على الإنسان: إنها أساس اكتشاف الذات ومعرفة الذات. والسؤال، كما يراه هيجل، هو ما إذا كان المرء سيداً أم عبداً. ولكن التحول إلى سيد يتطلب امتثال المهزوم: فالذات السيدية تبرهن على نفسها خارجياً. وبالتالي فإن السعي إلى السيادة يفرض قيداً قاطعاً على نتيجة الصراع من أجل الاعتراف. ولا يراود هيجل أي أوهام بأن الصراع ينتهي بموت المهزومين في سياق الأحداث الطبيعي.[12] وعلى هذا المستوى البدائي، فإن التاريخ هو مشهد هوبزي للدمار والموت الذي لا ينتهي: حالة حقيقية من حالات الطبيعة. ولكن لا توجد إمكانية للاعتراف في هذه الحالة ببساطة لأن الموتى لا يستطيعون التعرف على أحد. وهذا هو القيد الجوهري الذي يميز السعي الجامح إلى السيادة.

ولكن في تحليل هيجل، إن الوعي الذاتي في بحثه عن الاعتراف ينقسم إلى نوعين أدنى وأعلى من الوعي الفكري والأخلاقي. وفي حين يظل النوع الأدنى متمسكاً بمقتضيات عالمه الهوبزي، فإن الوعي الذاتي الأعلى يرفض القتل لصالح سيادة المهزوم. ومن عجيب المفارقات أن هذا الشرط الضروري لضمان الاعتراف يثبت أنه غير كاف إلى حد كبير: إذ يزعم هيجل أن الاعتراف الحقيقي يفترض المساواة الأخلاقية بين المعترف به والمعترف به، وهو أمر لا يمكن تصوره في سياق السيادة والعبودية. ولأن السيد غير راغب في الاعتراف بإنسانية المهزوم، فإنه لا يستطيع أبداً أن يكون على يقين من إنسانيته لأنه لا يستطيع أن يكف عن الشك في قيمة الاعتراف القسري من المهزوم. وللسبب نفسه، فإن السيد غير متأكد بنفس القدر من معرفته بذاته ومن مطالبته بالهيبة الأخلاقية،[13] وبالتالي فإن السيادة تعمل على إحباط الرغبة الأساسية للسيد في الاعتراف به من قبل شخص يعترف به كإنسان كامل. إن المهزوم يستمع إلى السيد بدافع الخوف والاشمئزاز، وليس لأنه يحترمه حقًا.

ولا مفر من أن يدرك السيد الفشل الأخلاقي لسيادته: فهو يُحرم من الجائزة التي يشتهيها بشدة.[14] وبالنسبة لهيجل، فإن السيادة ليست أكثر ولا أقل من لحظة حيوية في

الصراع من أجل الاعتراف. ولا يمكن للسيادة أن تكون إن هذا الامتياز سوف يكون إرثاً لعالم لن يكون فيه سادة ولا عبيد، عالم حيث سيكون الصراع من أجل الاعتراف بين متساوين بين المواطنين بالمعنى الأرسطي.

بالنسبة لليهود المعاصرين الذين غامروا بدخول فلسطين، كانت حاجتهم الأساسية هي الاعتراف بهم على الطريقة الهيجلية. وكان هذا، في جوهره، الغرض الحقيقي من استيطانهم في أرض الأمة الفلسطينية. ففي أماكن ميلادهم في أوروبا، لم يكن اليهود معترفاً بهم إلى حد كبير ومحتقرين كجماعة، على الرغم من نجاح العديد منهم واحترامهم كأفراد. وكان اليهود يفتقرون إلى الاعتراف الكامل بهم كأعضاء في مجتمعاتهم السياسية وكبشر يحق لهم الحصول على الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها مواطنوهم المسيحيون. وعلى الرغم من إنجازات التنوير، فإن وضع اليهود كان موضع تساؤل دائم. وبهذا المعنى الحاسم، كان اليهود الأوروبيون بلا مأوى سياسياً وأخلاقياً: فقد كانوا يُحتقرون باعتبارهم نمواً طفيلياً غير طبيعي على جسد السياسة الأوروبية وعلى العرق الأوروبي.[15]

ومن غير المستغرب إذن أن يكون **الهدف اليهودي في فلسطين هو محو فشلهم الأوروبي بشكل صارخ، ومنع تكرار مصيرهم الأوروبي: أو بعبارة أخرى، حل مشكلتهم الأوروبية على الأراضي الشرقية. ومن الغريب والمثير للمأساة أن اليهود القادمين لجأوا إلى استراتيجية لم يكن السكان الفلسطينيون جزءاً منها على الإطلاق. إن تجاهل الوجود الفعلي لشعب كان هناك وسكن فلسطين لألف عام أو أكثر كان سخيفاً سياسياً بقدر ما كان غريباً أخلاقياً،**[16] والأمر الأكثر ضرراً وتبعية هو الفشل البشري الذي تنطوي عليه الاستراتيجية الصهيونية. ويتجسد هذا الفشل في حقيقة مفادها أن اليهود، باختيارهم البقاء أوروبيين في بيئة شرقية عميقة، لم يتم قبولهم قط باعتبارهم من الشرق الأوسط. فبعد أن كانوا يُحتقرون في أوروبا باعتبارهم آسيويين، أصبحوا الآن يُحتقرون باعتبارهم غزاة أوروبيين ومدنسين للمشرق الإسلامي. وبمصطلحات هيجل، فإن وعي اليهود بأنفسهم باعتبارهم يهوداً يعتمد على أكثر من مجرد قرار أحادي الجانب بشأن ماضيهم. إن القبول الفلسطيني ضروري بشكل أساسي ونهائي لإضفاء الشرعية على إن اليهود لا يزالون بلا مأوى بالمعنى الحقيقي، على الرغم من مهاراتهم المهيبة والمثبتة في فنون الحرب والتدمير. ولا يزال احترام الذات والهوية اليهودية في نظرهم محفوفاً بالمخاطر، على الرغم من غطرستهم الروتينية وتباهيهم. ولا يزالون مرتبطين ارتباطاً وثيقاً

بذكرياتهم عن النازية لدرجة لا تسمح لهم بإقامة علاقة طبيعية مع عالمهم الجديد.

إن إتقانهم للفلسطينيين حرم اليهود المعاصرين من الاعتراف الذي يرغبون فيه بشغف. وكما تنبأ هيجل، فإن اعتراف المهزوم بالسيد أمر غير مرضٍ على الإطلاق بسبب الوضع الإنساني المشكوك فيه لهذا الأخير. وبالتالي فإن الاعتراف الفلسطيني السلبي باليهود غير كافٍ، كما أن التبجيل المفرط غير مرضٍ أيضاً. إن الاعتراف الضمني أو الصريح من جانب أولئك الذين يعيشون في العبودية يلقي بالضرورة بظلال من الشك على المستوى الأخلاقي للسادة. ففي الدائرة المنهكة من السيادة والعبودية، لا يوجد أمل في الاعتراف الحقيقي بالسيد، ولا توجد إمكانية لاستعادة إنسانية المهزومين.

إن ما يتبقى عندما يرفض السيد نصيحة الوعي الذاتي الأعلى لهيجل هو انتقال السيادة إلى أقصى حدودها المنطقية. وفي ظل الفشل في الحصول على الاعتراف، يتحول مشروع السيادة إلى إرادة القوة من أجل القوة ذاتها.[17] في الواقع، يحل نيتشه محل هيجل لأن السيد لا يخشى شيئًا أكثر من الشعور بالعجز. تصبح الزخارف المرئية وعروض القوة حاسمة في إضفاء الشرعية على شعور السيد بالسيادة، ولكن لا يوجد هدف حقيقي لتراكم وممارسة القوة. الغرض المقصود الذي يحرك السيد ويبرر الاستراتيجية الجديدة هو ذريعة البقاء والأمن.

إن إرادة القوة، بمصطلحات نيتشه، تغتصب العقل باسم الحياة الصرفة، التي ليس لها غرض آخر غير ذاتها. إن إرادة القوة، التي تحوم على عتبة العدمية، تولد بلا هوادة اللاعقلانية. وخوفًا من غياب القوة وافتقاره إلى غرض صالح، يكون السيد حرًا في إنتاج معناه الخاص أو مجموعة من المعاني، والتي لا معنى لها على الإطلاق. وفي الدفاع عن مطالب الحياة والترويج لها حصريًا، كما كان نيتشه يعرف جيدًا ، فإن كل شيء مسموح به، وكل شيء مبرر، وكل شيء يصبح ذا معنى.[18]

وعلى النقيض من السيادة الهيجلية، فإن إرادة القوة عند نيتشه تنطوي على نوع من السيطرة العنيفة على الدوام والمدمرة بلا هوادة. ذلك أن عقيدة القوة هذه لا تهدف إلى غاية سامية أو غاية حسية. وعلى النقيض من الحدود المتأصلة في النضال الهيجلي من أجل الاعتراف، فإن إرادة القوة لا تدرك غاية قريبة: بل إنها تشكل مبرراً خاصاً بها. ودون أن تقيدها المحظورات الأخلاقية التي تتجاوزها، فإن إرادة القوة تنزلق بالضرورة إلى الهيمنة المدمرة على نحو مأساوي. وعلى حد تعبير جيه بي شتيرن، "يظل الغزو في قلب العقيدة. وفقط حيث لا تجد "إرادة القوة" معارضة تصبح غير مدمرة".[19]

منذ عام 1967، اتجه المشروع الصهيوني للسيطرة على الفلسطينيين بشكل ملموس نحو الغزو المطلق. إن الفلسطينيين في الضفة الغربية المحتلة، وفي غزة، وفي لبنان يتعرضون للإهانة والاحتقار بشكل منهجي، وتصادر أراضيهم ومياههم كما يحلو لهم، وتدمر قراهم، وتدنس أماكنهم المقدسة، وتنتقص من حرمة موسيقاهم وأدبهم، وتتعطل حياتهم، وتنتهك حرماتهم، وتنكر تطلعاتهم السياسية . وهذا كله عندما لا يتعرضون للسجن والتعذيب لأسباب "أمنية"،[20] إن هذا الكتالوج من الجرائم التي ارتكبت ضد الفلسطينيين يشهد بشكل لا لبس فيه على الإرادة الصهيونية للسلطة.

إن الصهاينة في المشرق الإسلامي لا يرغبون في أقل من الغزو السياسي والأخلاقي الكامل للفلسطينيين. وإذا لم يختفِ الفلسطينيون، فإن الصهاينة سوف يعملون على ضمان عدم ظهورهم كجنسية. وإذا أصبح الفلسطينيون غير قابلين للتعرف عليهم كفلسطينيين، باعتبارهم شعباً شرده اليهود الوافدون وطردوا من ديارهم، فإنهم سوف يتوقفون عن كونهم مشكلة سياسية بالنسبة للصهاينة. ولكن مثل اليهود الأوروبيين، يرفض الفلسطينيون أن يصبحوا غير مرئيين، وأن يختفوا كجماعة وطنية، وأن يتخلوا عن هويتهم الثقافية، وأن ينكروا مطالبهم المشروعة بوطن في فلسطين.

لم تنتج سوى قلة من المظالم التاريخية مثل هذه النتيجة المأساوية للضحايا ومثل هذا النصر الهزيل للغزاة. إن هذه المأساة لا يمكن وصفها بأكثر من المعنى المعتاد: إنها مأساة ذات حجم ملحمي لأن أبطال الصهيونية أنفسهم هم البقايا العرضية لرؤية أوروبية للسيطرة والتدمير المتعمدين. إن عجز هذه البقايا اليهودية عن فهم المعنى الأخلاقي للبرنامج الصهيوني للغزو يكمل المأساة بشكل لا رجعة فيه.

الهوامش:

1) Mastering Palestinians Hegel and Revisionist Zionism مجلة الدراسات العربية، خريف 1984، المجلد 6، العدد 4 (خريف 1984)، ص 296-303 في هذا المقال تشير مصطلحات "الصهيونية" و"الصهيونية" إلى الصهيونية التنقيحية أو السياسية، على النقيض من الصهيونية الدينية أو الروحية.

2) لقد ثبتت بلا أدنى شك مشاركة حكومة بيجين، وخاصة أرييل شارون، في رعاية مذبحة صبرا وشاتيلا. لمناقشة صادقة، انظر إقبال أحمد، "العلاقات العامة للإبادة العرقية"، مجلة دراسات فلسطين 12، العدد 3 (ربيع 1983): 31-40؛ وفرانكلين ب. لامب، "لجنة كاهان والقانون الدولي"، الشرق الأوسط الدولي، 18 مارس 1983، ص 10-11.

3) يستخدم ليو كوبر هذا المصطلح في دراسته "الإبادة الجماعية: استخدامها السياسي في القرن العشرين" (هارمونزوورث: بنغوين، 1981)، ص 87.

4) للحصول على تحليل متماسك وعميق لهذه القضية، انظر الكاتب الإسرائيلي بواز إيفرون، "الهولوكوست: تعلم الدروس الخاطئة"، مجلة دراسات فلسطين 10، العدد 1، العدد 1، ص 112. 3 (ربيع 1981): 16-26.

5) [1] يكفي أن نذكر ما يقرب من 400000 عضو في حركة السلام الآن الإسرائيلية، بما في ذلك نعوم تشومسكي، وإي إف ستون، وألفريد ليلينتال، وإسرائيل شاهاك، أوري ديفيس، ودانييل جيه أميت، وبواز إيفرون، وجاكوبو تيمرمان، ومارك لين.

6) تأملات حول الإبادة الجماعية والإبادة العرقية"، في الإبادة الجماعية في باراجواي، محرر.
ريتشارد أرينز (فيلادلفيا: مطبعة جامعة تيمبل، 1976)، ص. 86. تم تنزيل هذا المحتوى من196.153.188.188 في السبت، 09 نوفمبر 2024 UTC08:03:24
جميع الاستخدامات تخضع لـ https://about.jstor.org/terms

7) لمزيد من التفاصيل، انظر لان لوستيك، العرب في الدولة اليهودية: سيطرة إسرائيل على أقلية قومية (أوستن: مطبعة جامعة تكساس، 1980)؛ صبري جريس، العرب في إسرائيل (نيويورك: مطبعة مونثلي ريفيو، 1976)؛ نعوم تشومسكي، نحو حرب باردة جديدة (نيويورك: بانثيون بوكس، 1982)، الفصل 9-12؛ نعوم تشومسكي، "الشرق الأوسط واحتمال نشوب حرب نووية"، مجلة سوشاليست ريفيو، العدد 70، (يوليو-أغسطس 1983): 7-19؛ وألفريد ليلينتال، الارتباط الصهيوني (نيويورك: دود، ميد وشركاه، 1978)، وخاصة الفصل الرابع والخامس.

8) كوبر، الإبادة الجماعية، ص 32-36.

9) جان بول سارتر، "حول الإبادة الجماعية"، في جرائم الحرب، تحرير ريتشارد فالك، وجابرييل كولكو، وروبرت جيه ليفتون (نيويورك: فينتيج بوكس، 1971)، ص 545، 547، التشديد مضاف.

10) مكسيم رودنسون، إسرائيل والعرب (نيويورك: بانثيون بوكس، 1968)، الفصل التاسع، ص 219، 213.

11) ج. و. ف. هيجل، ظاهريات الروح (نيويورك: هاربر كولوفون،1967)، الفصل الرابع، القسم 3، ص 228-232.

12) المصدر نفسه، ص 232-233.
13) المصدر نفسه، ص 233-240.
14) للحصول على حجة واضحة لدعم هذا الرأي، انظر ألكسندر كوجيف، مقدمة لقراءة هيجل، تحرير آلان بلوم (نيويورك: كتب أساسية، 1969)، الفصل الأول، ص 3-30.
15) على سبيل المثال، انظر مناقشة هانا أرندت الرائعة والحادة في أصول الشمولية (نيويورك: كتب ميريديان، 1958)، الفصل الأول-4؛ وهانا أرندت، اليهودي كمنبوذ، تحرير رون إتش فيلدمان (نيويورك: صحافة جروف،1978)، الجزء الأول.
16) في كتابه إسرائيل والعرب، يقدم رودنسون مناقشة مدروسة لهذه القضية (ص 7-21، من حين لآخر). وللحصول على كشف مستنير ومثير للعلاقة بين وجهة النظر الصهيونية ومنهج الاستشراق، انظر إدوارد سعيد، الاستشراق (نيويورك: فينتيج، 1979)؛ وإدوارد سعيد، قضية فلسطين (نيويورك: فينتيج، 1980)، وخاصة الجزء الأول والثاني. وللحصول على دراسة تحليلية لأطروحة سعيد، انظر شيراز دوسا، "تحت أعين الغرب: الإسلام والمشرق العربي"، في العلاقات الكندية العربية، تحرير ت. ي. إسماعيل (أوتاوا، 1984).
17) إن عقيدة نيتشه حول إرادة القوة متناثرة في جميع أنحاء كتاباته، ولكنها مذكورة بشكل أكثر صراحة في إرادة القوة، تحرير والتر كوفمان (نيويورك: فينتيج، 1968)، الكتاب الثالث، الأجزاء من الأول إلى الثالث؛ وفي في علم أنساب الأخلاق، تحرير والتر كوفمان (نيويورك: فينتيج، 1969)، المقالان الأوليان.
18) حول هذا الموضوع، انظر ج. ب. ستيرن، نيتشه (جلاسكو: فونتانا، 1978)، وخاصة الفصل الخامس؛ و إريك هيلر، "أهمية نيتشه"، في رحلة الفنان إلى الداخل ومقالات أخرى (نيويورك: فينتيج، 1968)، ص 173-198.
19) شتيرن، نيتشه، ص 111. 85.
20) بالإضافة إلى الأعمال المذكورة في الحاشية رقم 7 أعلاه، انظر الاتهام المدمر للجرائم الإسرائيلية في كتاب شون ماكبرايد وآخرين، إسرائيل في لبنان: تقرير اللجنة الدولية للتحقيق في الانتهاكات المبلغ عنها للقانون الدولي خلال غزوها للبنان (لندن: مطبعة إيثاكا، 1983). وفي مراجعته لهذا التقرير، خلص ريتشارد أرينز إلى أن "مسؤولية إسرائيل عن جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية ثابتة بما لا يدع مجالاً للشك المعقول". (مجلة دراسات فلسطين 13، العدد 1، [خريف 1983]: 108).

إنهاء الاستعمار للاقتصاد السياسي الفلسطيني(*)

مارسيلو سفيرسكي، ترجمة: حاتم بشر

بحسب الفكرة المؤثّرة التي قال بها المؤرّخ الأسترالي الراحل باتريك وولف، **ترتكز الأنظمة السياسية الاستيطانية إلى منطق إقصاء السكّان الأصليين وتعمل من خلاله، علماً بأنه يمكن لوسائل إقصاء الشعوب الأصلية أن تتّخذ أشكالًا مختلفة: بدءاً من التهجير والتصفية الجسدية، إلى الإدماج القسري، وحتى سياسة التذرية الثقافية. تعمل الكتابات المجمّعة في كتاب «إنهاء الاستعمار للاقتصاد السياسي الفلسطيني»، التي حرّرها عمر شويكي وماندي ترنر، على توعية القارئ بشكلٍ آخر من أشكال إقصاء السكّان الأصليين – وهو تقويض التنمية – الذي أعاق تاريخياً الاقتصاد الفلسطيني وحدّ من فرص الحياة منذ العام 1948.** وعلى الرغم من أن فهم الاستعمار الاستيطاني لا يركّز على نوايا المستوطنين وإنّما على أفعالهم، تُشكل التصريحات السياسية العامة مع ذلك جزءاً من التركيبة المنطقية للنظام، والحقّ أن تصريحات المسؤولين في الحكومة الإسرائيلية غنية بالمعلومات. تروي سارة روي تجاربها البحثية في الضفّة الغربية وغزّة في منتصف الثمانينيات، في مقدّمة الكتاب وتقول:

"**لقد أمضيتُ وقتاً طويلاً برفقة المسؤولين في الحكومة الإسرائيلية، وقد أشاروا جميعاً صوب نقطة واحدة: وهي أنه لن تكون هناك تنمية اقتصادية في الأراضي الفلسطينية. ولقد قيل لي إن هناك سببين لذلك: الأول (والأقل أهمية نسبياً) هو الحاجة إلى القضاء على أي مصدرٍ للمنافسة مع الاقتصاد الإسرائيلي. أمّا السبب الثاني والأكثر أهمية فيتلخّص في الحيلولة دون قيام دولة فلسطينية بأي صورة من الصور**".

لا تستند وحدة الفلسطينيين إلى تاريخهم المشترك وارتباط أسلافهم بالأرض فحسب، بل أيضاً إلى تجربة النهب والاضطهاد المشتركة التي تعرضوا لها على يد إسرائيل

(*) مارسيلو سفيرسكي، حرب الإبادة على غزة، https://alsifr.org/colonialism-palestinian-economy. نشرت هذه المراجعة في مجلّة IREMAM في 01 تشرين الثاني 2023

في العام 1987، طرحت سارة روي مفهوم «تقويض التنمية» ضمن مقالٍ صحافي نُشر في مجلة «الدراسات الفلسطينية»، وبعد أعوام عدّة أصبح المقال كتاباً بعنوان «قطاع غزّة: الاقتصاد السياسي لتقويض التنمية» (1995 و2001 و2004 و2016). وبحسب روي، يتم التعبير عن تقويض التنمية في السياسات المُصمّمة من أجل «تقويض التنمية الاقتصادية الهادفة». واسترشاداً بما ذكره جيورجيو أغامبين، ترقى سياسات تقويض التنمية إلى شكلٍ من أشكال إقصاء السكّان الأصليين، كونها تتضمّن عدداً من العمليات التي تحدّ من استغلال الإمكانات. وهكذا، «وعلى الرغم من المعونات المقدرة بمليارات الدولارات منذ بداية عملية أوسلو في العام 1993، فإن الاقتصاد الفلسطيني في كلّ من الضفة الغربية وقطاع غزة ينهار». **منذ أن قامت روي بنشره، أُدرج مفهوم تقويض التنمية في التحليلات المُنصبّة على المجتمعات المضطهدة، وجرت مراجعته مرات عديدة، بيد أن معالجة تيرنر والشويكي لذلك المفهوم والسياسات التي اقترنتْ به في فلسطين كانت إستثنائية من ناحيتين: أولاً، أنها تتناول بالتفصيل الاقتصاد السياسي للتجزؤ الجيوسياسي الذي فرضته الدولة الإسرائيلية على الشعب الفلسطيني منذ النكبة في العام 1948، وثانياً، أنها تقوم بتحليل مختلف الأساليب الرامية إلى إنهاء الاستعمار، والتي تستهدف الحدّ من السياسات الاستعمارية الاستيطانية العاملة على تقويض التنمية. إن الإصرار على الفكرة القائلة بأن الفلسطينيين هُمْ شعبٌ واحد تعرّض للتجزؤ في خضم النضال ضد الاستعمار الاستيطاني لفلسطين هو في حد ذاته جزءٌ من هذا النضال. تستند وحدة الفلسطينيين لا إلى تاريخهم المشترك وارتباط أسلافهم بالأرض فحسب، بل أيضاً إلى تجربة النهب والاضطهاد المشتركة التي تعرضوا لها على يد إسرائيل، وبالتالي، لا بد من النظر إلى سياسات إسرائيل الاقتصادية تجاه الفلسطينيين داخل الخط الأخضر والقدس الشرقية والضفّة الغربية وقطاع غزّة واللاجئين الفلسطينيين كذلك، على أنها حلقات مترابطة ضمن مشروع واحد هو الإقصاء الاقتصادي للشعب الفلسطيني.**

وكما يقول تيرنر وشوُيكي بحقّ، يمثل كتابهما ممارسة لعملية إنهاء الاستعمار في إطار حقل الاقتصاد السياسي. وبهذا المعنى، يُعدّ عمل تيرنر وشُويكي تنقيحاً مُهماً لسردية المستعمر بالاستناد إلى المعالجة النقدية لما تصفه الأدبيات المتخصّصة في دراسة الشعوب الأصلية بابستمُولوجيا الجهل (نظرية معرفة اللامعرفة) الذي تُعمّمه القوّة الحاكمة في المجتمعات الاستيطانية. وينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام. في الجزء الأول، الذي يحمل عنوان «استكشاف تقويض التنمية»، يقوم المساهمون بتقييم سياسات إسرائيل

الاقتصادية تجاه الفلسطينيين، والاقتصاد السياسي للمعونة المقدّمة من الجهات المانحة الغربية، وسياسة توزيع المياه، والآثار الجندرية الناجمة عن سياسة الضمّ في القدس الشرقية. وفي الجزء الثاني من الكتاب، المعنون بـ«التطبيق العملي لتقويض التنمية»، ينصبّ التركيز على الدراسة الملموسة لتقويض التنمية على نحو ما يعيشه اللاجئون الفلسطينيون، والفلسطينيون داخل إسرائيل، والبدو الفلسطينيون في صحراء النقب، والفلسطينيون في القدس الشرقية. فيما يركز الجزء الثالث من الكتاب على المقاومة المناهضة لتقويض التنمية.

إن الدافع الصهيوني الإقصائي المستمر عبر الأجيال والموجود إلى اليوم، يبدّد الإمكانات الاقتصادية للفلسطينيين في سياق مشروع يهدف إلى إقصاء الشعب الأصلي

تتطلّب إعادة البناء العلمية لتجارب السكّان الأصليين الاستماع إلى الباحثين المتخصّصين بدراسة الشعوب الأصلية، إلاّ أنه في العديد من المناسبات يتطلّب الأمر إعادة بناء الأشكال المعرفية الموجودة بالفعل. هذا هو نوع المعرفة الذي يسود كتاب تيرنر وشويُكي. ولذلك، تتطرّق الفصول في بعض الأحيان إلى التحليل التاريخي، وفي أحيان أخرى يجتهد المساهمون للنفاذ إلى منطق الإقصاء الاقتصادي، ولا سيّما في قطاعات وحالات معيّنة من الحياة الفلسطينية. **وعموماً، يتعيّن التفكير في السياسات الرامية إلى تقويض التنمية التي انتهجتها إسرائيل تجاه الفلسطينيين منذ العام 1948، في علاقتها التاريخية بالممارسات الصهيونية التي سبقت تَكوُّن الدولة والتي صوّرت الوجود اليهودي في فلسطين بعبارات متعالية، باعتبارها لعبة لا فائز فيها ولا خاسر. إنه الدافع الصهيوني الإقصائي المستمر عبر الأجيال والموجود إلى اليوم، والذي يبدّد الإمكانات الاقتصادية للفلسطينيين في سياق المشروع الأعمّ الذي يهدف لإقصاء الشعب الأصلي. ربما تختلف أساليب تقويض التنمية، بيد أن التوجّه يظل قائماً.** وكما تشرح سحر تغديسي–راد في الفصل الافتتاحي أنه، منذ العام 1967 في الأرض الفلسطينية المحتلة، انحصرت «الأهداف الرئيسة للسياسات الإسرائيلية في: أولاً، إدماج الموارد الفلسطينية المفيدة في اقتصادها؛ ثانياً، الحدّ من تنمية الاقتصاد الفلسطيني المستقل وتقويضها؛ وثالثًا، رفض المطالب الفلسطينية المنادية بالسيادة وتقرير المصير عبر خلق آليّات وريع يضمن الانصياع لأولويات إسرائيل الأمنية، فضلاً عن الأولويات السياسية والاقتصادية ومصانعة المقاومة أو عرقلة بناء المؤسسات المحلية. تستعرض تغديسي–راد المراحل السابقة على أوسلو والتالية لها، لكي تخلص في النهاية إلى أن ما يميز اقتصاد الأرض

الفلسطينية المحتلة هو العجز التجاري الدائم والبنية التحتية الضعيفة وسوق العمل المشوّه والافتقار التام إلى التنمية المؤسّسية الاقتصادية، وهو ما لم تقم اتفاقية أوسلو بتصحيحه في العام 1993، ولا بروتوكول باريس بشأن العلاقات الاقتصادية لعام 1994، بل تمّ عبر هذه الترتيبات إضفاء الطابع المؤسّسي على اعتماد الضفة الغربية وقطاع غزة على الاقتصاد الإسرائيلي.

بيد أنه لا سبيل إلى فهم الحقبة التالية لأوسلو فهماً صحيحاً من دون إجراء تحليل نقدي للاقتصاد السياسي لمعوناتِ المانحين الغربيين في الأرض الفلسطينية المحتلة، وهو التحليل الذي عرضه ماندي تيرنر في فصله. والحقيقة كما يؤكد تيرنر إن «الحاجة إلى الحصول على المعونات بمقاديرٍ ضخمة ومستمرة تعود إلى فقدان الفلسطينيين للسيطرة على مواردهم»، وهو ما تسبّب فيه الاحتلال نفسه. وهذا يعني أن فشل الاقتصاد المانح في إنقاذ حياة الفلسطينيين لا علاقة له بالمجتمع الفلسطيني نفسه، لكن يتعيّن العثور على جوهر هذا الإخفاق في ما يسميه تيرنر «الإطار الفكري» المرشد لهذا النشاط، والذي عمل لمدة عشرين عاماً على تعزيز «وَهْم عملية السلام التي لم يكن لها وجود قَطّ». وببساطة، يعمل الاقتصاد المانح كجزءٍ من الاحتلال وليس بوصفه اقتصاداً مستقلاً. وعليه، «لا يمكن للمساعدات أن توقف أو تعكس اتجاه تقويض التنمية طالما ظل نموذج أوسلو قائماً». ويُختتم الجزء الأول من الكتاب بفصلينِ. يقوم كليمنس مسرشميدت بتشريح دقيق للدور الذي تلعبه السيطرة على الموارد المائية والوصول إليها في إفقار الاقتصاد الفلسطيني، وذلك عبر قيامه بتتبّع التراكم التاريخي لتفاوت القوى في هذا المجال منذ أيام الحكم العثماني وصولاً إلى رسوخ هيمنة إسرائيل المائية التي عزّزتها إتفاقية أوسلو. وفي فصلهما المشترك، تستمع نادرة شلهوب كيركُوفيان وراشيل بوسبرِيدج إلى أصوات النساء في غمرة المحن التي يخُضْنها يومياً، وهو ما يكشف عن الآثار الجندرية لتقويض التنمية في القدس الشرقية. إن قصّتهما الإثنوغرافية تسلّط الضوء على «الطرق التي يؤثر بها الاحتلال العسكري وأجهزته التنفيذية والقانونية التنظيمية على العلاقات الاجتماعية والاقتصادية الفلسطينية»، ولكنها تسلّط الضوء أيضاً على الكيفية التي يمارس بها النساء في ظل هذه الظروف فعاليتهنّ.

يعمل الاقتصاد المانح كجزءٍ من الاحتلال وليس بوصفه اقتصاداً مستقلاً. وعليه، "لا يمكن للمساعدات أن توقف أو تعكس اتجاه تقويض التنمية طالما ظل نموذج أوسلو قائماً"

وينبغي على الاستراتيجية الفلسطينية الخاصّة بمواجهة تقويض التنمية، كما تجادل إنغريد جرادات غاسنر في الفصل الخامس، أن تأخذ في الاعتبار ظروف التهجير القسري الفلسطيني، وأن تُضمِّن اللاجئين الفلسطينيين في الأجندة الفلسطينية. إن عدم القيام بهذا التضمين يشكّل نزعاً للطابع التاريخي عن الاستعمار الاستيطاني لفلسطين. إن التوافق بين هذا الاستنتاج وبين الفصل المتعلّق بالمواطنين الفلسطينيين في إسرائيل، الذي سطّره مطانس شحادة ورجا الخالدي، إنّما **يؤكّد على الحاجة إلى دراسة الاقتصاد السياسي للفلسطينيين كشعب واحد يواجه الحرمان الهيكلي من إمكاناته الاقتصادية في سياق إقصاء السكّان الأصليين. في إطار الحدود الجيوسياسية لما يسمّيه البعض «إسرائيل الحقيقية»، تَمثّل التهويد في تطبيق التمييز ونزع الملكية على موارد الأرض والبنية التحتية والمخصصات الحكومية والتعليم والعمل، بما يحافظ على الامتيازات اليهودية ويمنع في الوقت نفسه التبلور الفعلي للاقتصاد العربي البديل.** قد يتخذ تقويض التنمية شكل التنمية الانتقائية القسرية كما هو الحال مع البدو الأصليين في النقب. وكما يوضح إسماعيل أبو سعد، لا يمكن اعتبار سياسات إسرائيل تجاه بدو النقب بمثابة تنمية. إن استمرار الإزالة الفعلية لـ«القرى غير المعترف بها»، وإخضاع المجتمع للتحضّر القسري، ومصادرة أراضي الأسلاف، والسيطرة على التعليم، هذه هي ركائز سياسات تقويض التنمية الصهيونية. والأمر المهم هنا هو أن هذه السياسات يتم تحديها، يتم التعبير عن النشاط الشعبي في رفض الانتقال إلى المدن المخطّطة، ومن خلال الدعوة والتقاضي، وعن طريق التحالف بين منظّمات المجتمع المدني العابرة للعرق. ينتهي الجزء الثاني من الكتاب بدراسة آثار الخطة الهيكلية الاسرائيلية لعام 2020 على الفلسطينيين في القدس الشرقية. وكما أوضح رامي نصر الله، ترمي السياسات التي تتألّف منها هذه الخطة الخارقة إلى تقييد استخدام الأراضي والبناء، ولجم التنمية، وتعزيز الضوابط.

يحلّل الجزء الأخير من الكتاب – الذي يحمل عنوان «مقاومة تقوض التنمية» – برنامج السلطة الفلسطينية المتصل ببناء الدولة، واقتصاد الأنفاق في غزة، والاستراتيجيات الاجتماعية والاقتصادية لمنظّمة التحرير الفلسطينية (1965–1982)، ثم ينظر في نهاية المطاف في أجندة التنمية البديلة. ويبيّن رجا الخالدي وشوبي سمور أن برنامج السلطة الفلسطينية النيوليبرالي بشأن بناء الدولة لا يمثل «خطّة مُجدية لتأسيس دولة مستقلّة متماسكة جغرافياً ذات اقتصاد قوي». وبالأحرى، لا يخدم هذا البرنامج سوى «مصالح مجموعة من الرأسماليين الفلسطينيين والمانحين الدوليين». كانت قراءة نيكولاس بيلهام

لاقتصاد الأنفاق في غزة، هذا التجلّي للإبداع الفلسطيني، ملهمة بصورة إستثنائية. وكما يقول بيلهام، «تقدم الأنفاق الممتدّة تحت الحدود بين مصر وغزة مثالاً قوياً على الجلد الإنساني في خضم الشدائد». وقد أعادت الأنفاق في الواقع تطوير اقتصاد غزّة وحالت دون تحوّل «الأزمة الإنسانية إلى كارثة إنسانية». ينتهي الكتاب بفصلين: فصل الشويكي، وهو استعراض تاريخي للمبادئ الاقتصادية لمنظّمة التحرير الفلسطينية، وفصل مشتاق خان، وهو عبارة عن صياغة متطوّرة لما يسمّى «الحرية الأكبر» كإطار لاستراتيجيةٍ إنمائية أطول وأوسع. إن النقطة الرئيسة في تحليل خان تنحصر في الحاجة إلى تطوير قوة تفاوضية كبيرة قادرة على إرغام إسرائيل على التخلّي عن عقيدتها العنصرية القائمة على الحقوق الحصرية، أي الصهيونية.

إن استمرار الإزالة الفعلية لـ«القرى غير المعترف بها»، وإخضاع المجتمع للتحضّر القسري، ومصادرة أراضي الأسلاف، والسيطرة على التعليم، هي ركائز سياسات تقويض التنمية الصهيونية

على الرغم من أن هذه الكتابات المُجمّعة تندرج تحت طائلة الاقتصاد السياسي بالمعنى الدقيق للكلمة، إلاّ أنها ليست مكتوبة للاقتصاديين حصرياً دون سواهم. على العكس من ذلك، يقيم المساهمون نوعاً بين التناول الصارم لموضوع الدراسة واللُّغة التي يسهل تناولها على الباحثين في شتّى المجالات، والناشطين، فضلاً عن مسؤولي السياسة العامة مِمن يهتمون بفلسطين. وبدلاً من تقديم الحجج الأيديولوجية الكلاسيكية المضجرة التي تسود الكثير من الأدبيات المتصلة بحقل الدراسات الفلسطينية–الإسرائيلية، تُوفِّر هذه المجموعة المحرّرة للقارئ ما يلزم حقّاً للفوز في الجدل المتعلّق بإنهاء الاستعمار: أي التحليلات المادية للواقع الموحش في فلسطين.

فلسطين من الحياة المشتركة إلى المقاومة المشتركة،

مارسيلو سفيرسكي/ رونين بن آرييه، ترجمة ضياء العزاوي(*)

يمكن أن نستنبط من منظومة التدمير الصهيونيّة للحياة الأصلانية رؤى بنّاءة ليس للتفكير بالماضي فحسب، وإنما للتفكير السياسي بالحاضر: لا متسع "لعمليّة سلام" من داخل الصهيونيّة.

صار معلوماً ومؤكّداً بأن حياة مشتركة بين اليهود والعرب وُجدت في فلسطين التاريخيّة قبل بداية الاستيطان الصهيونيّ. بل وُحفظت هذه الحياة المشتركة حتّى العقود الأولى من القرن العشرين. تطرح هذه الحقيقة التاريخيّة، بالنسبة لنا، سؤالاً نظرياً وسياسياً: ما الذي يُمكن تعلّمه من هذه الحقيقة؟ ماذا تُعلّمنا معرفة وقائع الماضي عن حاضرنا؟ كيف يُمكنها أن تخدمنا قُدماً نحو المستقبل؟ كيف يُمكننا أن نفهم هذا الواقع ليس باعتباره شاهداً على تعقيدات الماضي فحسب، إنما باعتباره يحمل قيمةً سياسيّة فعليّة في يومنا هذا؟ تكمن الإجابة بالنسبة لنا في فهم الطريقة التي أُفنيت فيها هذه الحياة المشتركة، في فهم أساليب تحوّلها واختفائها، وكيف كان فناء هذه الحياة المشتركة جزءاً من استفحال النظام الجديد ـ نظام الاستعمار الاستيطاني ـ الذي حلّ مكانها، والذي لا زلنا نعيشه حتّى يومنا هذا.

إن المبدأ المُحرّك في تقدّم المشروع الاستعماري الاستيطاني هو اقتلاع الأصلاني. أي أن يُخرِّب المستوطن، خلال خلقه لمجتمعه الجديد، الأطر الاجتماعيّة والبيئة الحياتيّة التي حفظت واحتوت الوجود الأصلانيّ. تصفية الأصلانيّ تعني تجريد الحيّز من عاداته، بيئاته، اجتماعيّاته، مؤسساته، وأصوله – أي أن تُجرّد الحياة بذاتها من أشكالها الأصلانيّة. يُقام البناء الصهيوني الجديد من خلال عمليتين ترتبطان فيما بينهما: لا يتشكّل حكم المستوطِن إلا بشرط تجريد الحياة من أشكالها الأصلانيّة.

بدأ استهداف أنماط الحياة الأصلانيّة مبكراً، في نهايات القرن التاسع عشر، ومع وصول أول موجة من المهاجرين ـ المستوطنين الصهاينة. وتكثّف هذا الاستهداف وتجذّر في السنوات اللاحقة. تَعامُل المهاجرين ـ المستعمِرين مع الأرض، ممارسات

(*) 04-07-2018 / https://assafirarabi.com/ar/21780/2018/07/04/

الشرذمة التي انتهجوها، وسلوكيّاتهم الثقافيّة، أيقظت لدى العرب واليهود الذين عاشوا في فلسطين أكثر من مجرّد شكوك. لم يمر وقت طويل حتى شكّل الاستعمار في فلسطين توجهاً وشكلاً لا يتعارض فحسب مع ظروف الحياة التقليديّة في البلاد، إنما يهدف إلى تدميرها. على ضوء ذلك، فإن سؤالنا الأوّل هو ما هي أشكال الحياة الأصلانيّة التي وُجدت في فلسطين العثمانيّة والتي هدفت الصهيونيّة، في مراحل التشكّل، إلى تدميرها؟

التدمير المضاعف

قبل أن تبدأ الهجرة الصهيونيّة بإحداث تأثيرٍ تاريخيّ إبان العقد الثالث من القرن العشرين، انسجمت الأغلبيّة العربيّة والأقليّة اليهوديّة – ومعظمها من اليهود الشرقيين– في فلسطين من خلال عددٍ هائلٍ من الممارسات اليوميّة، الثقافيّة والسياسيّة والاقتصاديّة. كانت الحياة المشتركة حالة طبيعيّة ألّفت الحياة اليوميّة لأصلانيي فلسطين عرباً ويهوداً. إلا أنّ اصطدام ممارسات الحياة المشتركة باستراتيجيّات الشرذمة الصهيونيّة كان اصطداماً مدمّراً أحدث شرخاً عميقاً. تغيّرت أو اختفت أشكال الحياة وأحوال الوجود مع استفحال المجتمع الصهيونيّ في فلسطين. ولا يُمكن دراسة تدمير الحياة الأصلانيّة في فلسطين بمعزل عن خسارة الحياة العربيّة – اليهوديّة المشتركة. ونحن لا نستخدم "الحياة المشتركة" لإبراز التأقلم التام بين أعراق مختلفة في المكان ذاته، إنما لنحيل إلى الأثر التاريخي للألفة العربيّة ـ اليهوديّة التي تطوّرت خلال مئات السنوات في فلسطين الحديثة **وكما في كل العالم العربي. زكما يؤكّد الياس صنبر، فإن مصدر الشرعيّة للأصلانيّة المشتركة – عروبتها – هو ما أدّى بالمستوطِنين اليهود إلى رفض هذه المساحات كمساحات قابلة للعيش. تصوَّر الصهاينة الأوروبيّون بأن المضمون الأصلاني يتضارب عرقياً، ثقافياً وفيزيولوجياً مع الصهيونيّة. لم يروا واقع الحياة المشتركة في فلسطين كشيء يرغبون بأن يكونوا جزءاً منه. وعليه، فإن مضمون هذه الأصلانيّة المشتركة تحوّل هدفاً للتصفية من خلال تشكّل منظومة استعمار استيطاني للصهيونيّة في فلسطين.**

إن المبدأ المُحرّك في تقدّم المشروع الاستعماري الاستيطاني هو اقتلاع الأصلاني، وقد شكّل الاستعمار في فلسطين توجهاً وشكلاً لا يتعارض فحسب مع ظروف الحياة التقليديّة في البلاد، إنما يهدف إلى تدميرها.

تطلّب تدمير الأصلانيّة في فلسطين هدم المجتمع العربي: سحق الهيمنة الثقافيّة العربيّة، سلب الأرض، والتخلّص من التفوّق الديمغرافي. لكنّه تطلّب كذلك الرفض العنصريّ للألفة العربيّة – اليهوديّة، أي رفض الحياة المشتركة. تضافرت العمليّتان كجزء

من تنظيم المجتمع الاستعماري – الاستيطاني الناشئ. شكّلت هذه العمليّات أعضاء الجسد الصهيوني، وتقدّم تدمير فلسطين بصفته تدميراً مضاعفاً. سلب وتهجير عرب فلسطين كان شرطاً ضرورياً بالنسبة للمشروع الصهيونيّ، لكنّه لم يكن وافياً. إنما اكتملت عمليّة السلب والتهجير بواسطة تدمير البنية التحتيّة الثقافيّة والاجتماعيّة التي جعلت الحياة العربيّة–اليهوديّة هويةً وواقعاً تاريخياً. رأى المستوطنون جانبين اثنين لحياة الأصلانيين في فلسطين، ووُضع بحسب ذلك هدفان: الحياة العربيّة – اليهوديّة المشتركة يجب أن تفنى، كما يجب أن يفنى العرب من فلسطين.

في المعنى الأوسع للفصل العنصريّ(*)

لا تقتصر هذه الصياغة المفاهيميّة وهذا الإطار التحليلي على مساعدتها لنا لفهم تطوّر التكوين الاستعماري الاستيطاني في فلسطين على حساب الشعب الفلسطيني، إنما ترسم أمامنا أيضاً جذور التوجّهات والممارسات العنصريّة للصهيونيّة اتجاه اليهود الشرقيين، قبل وبعد تأسيس دولة إسرائيل. كذلك يمكننا أن نشاهد جانباً آخر من هذه العمليّة، وهو تحويل الحياة المشتركة من شكل متكامل للحياة كما كانت في الماضي، إلى فكرة سياسيّة، ايديولوجيا وخطاب، والتي رُمز إليها بمصطلح "**تعاون عربي ـ يهودي**". هكذا، تحت آلة الاستعمار الاستيطاني، يتحوّل المركّب "العربي ـ اليهودي" المثْمر إلى مركّبٍ خطابيّ بدلاً من أن يكون مُمارَساً. مع تهجير الحياة الأصلانيّة، فإن المفهوم الخطابي العربي ـ اليهودي طَمسَ ما سبقه من ممارسةٍ ماديّة فعليّة.

المقاومة المشتركة: صياغة المركّب العربي – اليهودي

يمكن أن نستنبط من منظومة التدمير الصهيونيّة هذه رؤى بنّاءة ليس للتفكير بالماضي فحسب، وإنما للتفكير السياسي بالحاضر. إننا لا نسعى – لا نريد ولا هو ممكن – إلى استعادة ما مضى. إن تسييس فهمنا لكيفيّة تشكّل الحياة الصهيونيّة في فلسطين بالاعتماد على التدمير المضاعَف يحمل معنى آخر، ويكمن هذا المعنى في سؤالنا الثاني: ما الذي تقوله منظومة التدمير عن إمكانيّات تفكيك الاستعمار؟

فلسطين: كيف نستعيد الأمل؟

بتدميرها للحياة المشتركة، حوّلت الصهيونيّة هذه الحياة إلى مجرّد خصم افتراضي لا أكثر. إلا أنّ هذا التدمير ليس ناتجاً عن ماضٍ قام على الفصل العنصري فحسب، إنما عن الإنتاج اليومي لآليّات الوجود الاجتماعي. الحياة الاجتماعيّة في المجتمع اليهودي – الإسرائيلي مبنيّة بحيث تمنع، بشكلٍ متكامل وتام، أي إمكانيّة لاجتماع اليهود والفلسطينيين ضمن أي سياقٍ مدني. أي أن تدمير المساحة المشتركة ومنع وجودها يفسّر

ماضينا تماماً كما يفسّر حاضرنا. **ولمّا كان فصل اليهود والفلسطينيين واحداً من الشروط الوجوديّة لتكوّن المشروع الصهيوني واستدامته، فإنه من المنطقيّ الادعاء بأن واحدة من الطرق لخلخلة هذا النظام تكمن بالإصرار على تقويض هذا الفصل، وذلك من خلال صياغة المركّب العربيّ ـ اليهوديّ من داخل النضال لتفكيك الاستعمار.** إن كان المشروع الصهيونيّ يستهدف الحياة المشتركة، فلا بدّ من التفكير بقوّة الائتلاف الاجتماعي من أجل مقاومة هذا المشروع. إنما، وبحيث أن الحياة المشتركة ليست ممكنة تحت الظرف الاستعماري، فإن الائتلاف لا يمكنه أن يعني إلا تجنيد المركب العربي ـ اليهودي كجزء من النضال لأجل تفكيك الاستعمار، وأن يكون هذا من خلال مقاومة مشتركة بقيادة فلسطينيّة.

كيف ينشأ المستعمِر؟

إن أدنى معرفة بقوى المجتمع اليهودي – الإسرائيليّ تجبرنا على الاعتراف بأن إمكانيّة المقاومة المشتركة محدودة، وخاضعة لأحوال الوجود الاستعماري. لذلك، ومن أجل صياغة إمكانيّة المقاومة المشتركة، لا بد من طرح سؤال ثالث: ما هي الظروف الثقافيّة التي تمنع الفلسطينيين واليهود من الائتلاف؟

العلاقات التي ربطت الفلسطينيين والإسرائيليّين آخر 100 عام صاغت الإسرائيليين باعتبارهم مُهجِّرين. كيف يتجسّد هذا في المجتمع الإسرائيلي اليوم؟ نحتاج لبحث ذلك أن نجمع ونستكشف أرشيفاً مفصلاً من الممارسات اليوميّة التي تُظهر لنا مدى اتّساع وتفرّع شبكة الممارسات التي تجعل الإسرائيليّون مستعمرين. لنبدأ بالنظر إلى الحياة العائليّة مثلاً، فإن الأهل الصالحين هم من يضحّون بأجساد وأرواح ابنائهم، من خلال إغرائهم بالتجند للخدمة العسكريّة، ومن خلال تطبيع تجربتهم العسكريّة الخاصّة كتجربة اعتياديّة. أما في التعليم المدرسي فإن المربّي الجيّد هو ذاك الذي يصقل التمييزات العرقيّة في رؤية الطلّاب للعالم. الجيش هو ذروة تدريب الإسرائيليين ليكونوا مستعمِرين. ومع هذا، فإن تحوّلك مستعمِراً يحصل في أكثر لحظات الحياة اعتياديّة، مثلًا في جولةٍ في الطبيعة بإرشاد يتبنّى السرديّة الصهيونيّة. في المحادثات اليوميّة التي نُجريها مع أصدقائنا أو عائلاتنا، وكذلك في التزامنا بالقوانين، في مشاركتنا بانتخاب قيادات ليحكموا ملايين الفلسطينيين المستعمَرين.. هذه الممارسات الاجتماعيّة، كلّها، تتراكم وتعمل كدافع لأقوى أحوال الوجود الجماعي، وأكثرها تماسكاً وجهوزيّة في العصر الحديث.

وعلى الرغم من عدم وجود ذات يهوديّة واحدة يُمكن تلخيصها بمجموعٍ متجانسٍ من التواريخ والمصالح التي تجتمع حول الأيديولوجيّات الصهيونيّة، إلا أنّ معظم اليهود

الإسرائيليين ـ بمعزل عن اختلافاتهم ـ يؤدّون ممارساتهم الصهيونيّة اليوميّة، ويجتمعون على مقام مشترك هو كراهيّة الحضور الفلسطيني: القوميّون المتديّنون المتطرّفون، العلمانيّون المنافقون، الشرقيّون والأشكناز، الأثيوبيّون والروس، النساء والرجال – جميعهم يتماسكون بصمغ الفنتازيا الجماعيّة: أن يستيقظوا في صباح يومٍ ما ليجدوا مجتمعاً وأرضاً خاليين من العرب. هل يمكن لهذا التشكل الاجتماعيّ للمستعمِر أن يتغيّر؟ هذه ليست بالمهمة السهلة. أن تكون مستعمِراً غارقًا في معرضٍ من الممارسات القمعيّة اليوميّة كظرف حياتي، فذلك يجعلك متوحّشاً. كيف يمكن، غير ذلك، أن نفسر التركيبة بين جنودٍ يُطلقون النار على المتظاهرين العُزَّل، ومستوطنين يجلسون على الشرفات في كيبوتس ناحل عوز وسديروت يستمتعون بمشاهدة المجزرة في غزّة كأنها استعراضاً؟

إسقاط الميّزات الجماعيّة الإسرائيليّة

إننا نشير إلى اضطرار تاريخي مرجعي: إسقاط العلاقات الاستعماريّة التي يشكّل الإسرائيليّون طرفاً فيها، يعني إسقاط الميّزات الجماعيّة الإسرائيليّة، وكذلك إسقاط تشكّلهم الاجتماعي القائم. إن تأسيسهم الاستعماري الحالي لا يلائم مجتمعاً يتساوى فيه الناس. هذه هي الكارثة التي تعرّف ورطة الفلسطينيين، لكنّها بالضرورة تعرّف أيضاً ميّزات الكينونة الإسرائيليّة وأحوال وجودها. بالتأكيد، كما قال ألبير ممّي، "ليس من السهل الإفلات ذهنياً من وضعيّة متماسكة، أن ترفض أيديولوجيّتها بينما تستمر في عيش علاقاتها العينيّة". تحرّر الإنسان من رفاهيّة أن يكون مستعمِراً صهيونياً هو عمليّة طويلة لا بد للإنسان خلالها أن يعتزل القوانين والوظائف والعلاقات الاجتماعيّة والامتيازات والمنفعة التي تحوّل الإسرائيليين إلى ما هم عليه.

معظم اليهود الإسرائيليين – بمعزل عن اختلافاتهم – يؤدّون ممارساتهم الصهيونيّة اليوميّة، ويجتمعون على مقام مشترك هو كراهيّة الحضور الفلسطيني: القوميّون المتديّنون المتطرّفون، العلمانيّون المنافقون، الشرقيّون والأشكناز، الأثيوبيّون والروس، النساء والرجال – جميعهم يتماسكون بصمغ الفنتازيا الجماعيّة: أن يستيقظوا في صباح يومٍ ما ليجدوا مجتمعاً وأرضاً خاليين من العرب.

إننا نؤمن بأن الحد الأدنى من الشروط للمستعمِرين الصهاينة، حتّى يكونوا قادرين على الخروج من حال وجودهم هي: 1) الاعتراف بالعلاقة السببيّة التي تربط مصير المستعمَرين بامتيازاتهم الخاصّة، 2) اعتزال الصهيونيّة، 3) اتّباع خطى المستعمَرين. الهدف هو إحداث تغيير يتغلغل في قلوب وعقول جيلٍ بأكمله. التحدي ضخم بالتأكيد، لكنّه يوضّح بأن لا متسع "لعمليّة سلام" من داخل الصهيونيّة.

كيف نصيغ مفهوم النشاط السياسي المناهض للصهيونيّة؟ في الوقت الحاليّ، لا

بدّ لهذا العمل أن يُعتبر تجهيزاً ثقافياً. في الوقت الحاضر، فهذه مساهمة هامّة لعمليّة تفكيك الاستعمار في فلسطين. مهما كان هذا النضال صغيراً وهشاً، فإنه يخلق أدوات يُمكنها أن تصب في خدمة إعادة بناء الحياة بين النهر والبحر. وظيفة المساهمة النقديّة لهذا النشاط أن تضرب وتقطّع القيود التي كبّلت بها الصهيونيّة الفكر والفعل. إن تأثير هذا العمل أقل دراماتيكيّة مما نرغب، وبطولاته الرنّانة أقل تأثيراً مما نعتقد. لكننا سنرى في يوم من الأيام، بأثر رجعي، صنيع هذا العمل يلعب دوراً في تأسيس وعي جماعيّ لشعبٍ لم ينشأ بعد.

انهاء الاستعمار : دولوز فى فلسطين

يظهر المهندس المعمارى الإسرائيلى المتطرف ايال وايزمان بعد عام 1967 كيف أمكن للمستعمرين أن يستغلوا حتى جهود إنهاء الاستعمار حسنة النية من الحلفاء المتميزين، فيما اسميه "انهاء الاستعمار" وايال ويزمان من الخبراء العسكريون فى جيش الدفاع الإسرائيلى؛ الذين أعادوا توظيف فلسفة كتابات جيل دولوز لتكون ضد المقاومة الفلسطينية والنتيجة التى توصلت إليها الدراسة هى **أن محاولة انهاء الاستعمار عبر الحلفاء المميزين؛ يجب أن تتضمن ما يسميه وايزمان "المقاومة المشتركة"، وأنا اسميه "إعادة الاعمار" وبعبارة أخرى عندما يكون "خط الهروب" كما قال دولوز مستحيلا، كما يمكن القول بالنسبة للفلسطينين اليوم؛ فيجب على المرء أن يتبع المثال البطولى للبدو؛ الذين (كما يعترف وايزمان) هم العرب الوحيدون؛ الذين لم يتواقفوا أبداً إعادة بناء فلسطينهم.**

يزعم وايزمان فى مقدمته لكتاب الأرض المحروقة: عمارة الاحتلال فى اسرائيل؛ أن "الانفصال" فى الفضاء والقانون هو العنصر الأكثر أساسية فى نظام الاستعمار الإسرائيلى وهذا الانفصال متطرف للغاية بل إن إسرائيل قد تجاوزت الآن؛ نظام الفصل العنصرى فى جنوب أفريقيا ليس فقط من حيث المدى وتطور مظاهره المعمارى ولكن أيضا مدته[3].

ما كشفه هذا التحليل المكانى بحسب وايزمان؛ هو **أن "المشروع المعمارى" للاحتلال تم ترتيب على شكل طبقات وتحديدا السطح، الجيوب غير الساحلية؛ التى تم تسيلمها للسلطة الفسطينية باطن الأرض بما فى ذلك الماء والموارد المعدنية، والمجال الجوى فوق المناطق الفلسطينية والذى بقى فى أيدى إسرائيلية فى المقام الأول؛ تلك الخاصة بقواتها الجوية. وخلاصة القول "هكذا كانت كل بلدة وقرية فلسطينية؛ محاط بالكامل بالفضاء الإسرائيلى فى ثلاث أبعاد". ويطلق وايزمان على ذلك اسم "سياسة العمودية" وتدعى أن العمودية أصبحت شكلا من أشكال الفصل العنصرى "ببساطة؛ فى حين استخدمت الأشكال السابقة للاستعمار الفصل العنصرى؛ إلا أنه كان شانا أفقيا حصريا، فى حين كانت اسرائيل رائدة فى نظام فصل عنصرى ما بعد حداثى أكثر شراسة.**

ولعل العدو الإسرائيلى؛ الأكثر ظلما منذ حرب فلسطين عام 1948 هو الجنرال والسياسى اريل شارون؛ الذى من خلاله يقدم وايزمان لأول مرة دولوز، العنوان الفرعى للفصل الثانى من الأرض المحروقة مخصص لبيان دور اريل شارون الأولى فى "الجدل حول البناء وسقوط التحصينات الإسرائيلية على طول قناة السويس، خط بارليف

البالغ طوله 200 كيلو متر". ويرى وايزمان كيف أن شارون؛ "الذى كان حينها مديرا للتدريب العسكرى، بدأ يتحدى استراتيجية الدفاع" لقد تجسدت لصالح نهج أكثر ديناميكية ومرونة ولا مركزية يتردد صداها. يتذكر شارون انتقاد دولوز الديناميكى للنموذج الخطى للدفاع مقارنات اقتراحها انطونيو جرامشى" بين حرب المواقع وحرب المناورات بأنماط سياسية متشابهة.

وكانت النتيجة ظهور شبكة عنكبوتية متنامية من المنشآت يتم نسجها عبر الضفة الغربية، أما بالنسبة لطبيعة هذه البؤر الأستيطانية؛ يكتب وايزمان ذلك لقد "كان لديهم القدرة على الفورية والتنقل والمرونة، لقد كانوا الأدوات المثالية الاستعمار "مرة أخرى هذا التركيز على المرونة والتنقل يعود إلى دولوز، الذى سيلجأ إليه الأساتذة العسكريون فى جيش الدفاع الإسرائيلى[4].

تتضمن قوائم القراءة لبعض المؤسسات العسكرية المعاصرة أعمالا يعود تاريخها إلى حوالى عام 1968 وخاصة أعمال دولوز ومن هذه الأكاديميات العسكرية كان وايزمان فى معهد أبحاث النظري التشغيلية (otrl) الذى عمل من عام 1996 إلى عام 2006 تحت الإدارة المشتركة لشمعون نافيه ودوف تمارى وكلاهما عميد متقاعد وعلى حد تعبير نافيه مع مقابلته مع وايزمان، لم يكن جيش الدفاع الإسرائيلى يخشى الحديث عن دولوز وعلى سبيل المثال تتضمن إحدى محاضرات نافية فى (otrl) من عام 2004 عناوين مثل "**الاختلاف والتكرار وجدلية الهيكلة والبنية**". وهى إشارات صريحة إلى كتاب ومفهوم دولوز، لاحظ نافيه أن العديد من المفاهيم فى كتاب دولوز الف هضبة؛ أصبحت مفيدة فى جيش الدفاع الإسرائيلى؛ مما يسمح بشرح المواقف المعاصرة بطريقة لم يكن بالإمكان تفسيرها والأهم من ذلك كما يتابع نافيه **كان التمييز الذى قام به دولوز وفيليكس وجواتارى بين مفهومى الفضاء السلس والمخطط؛ الذى يتوافق مع المفاهيم التنظيمية حول آلة الحرب وجهاز الدولة. ويعلق الكاتب إن مصطلح "الفضاء السلس" يذكرنا بممارسات جيش الدفاع الإسرائيلى سيئة السمعة – من شارون إلى كوخافى وما بعده: هدم مخيمات اللاجئين الفلسطينيين واستبدال التعقيد المخطط لحياتهم مساحات ملساء مجردة متاحة للفضاء بعنف لمزيد من الاستعمار. وبشكل أكثر عمومية فإن السبب وراء اهتمام الجيش الإسرائيل بدلولوز كما يوضح وايزمان: كان لصراع إسرائل مع الفلسطينين منذ الانتفاضة وضع وبقدر ما يتعلق الأمر بالجيش فإن حرب المدن هى الشكل النهائى لما بعد الحداثة فى الحرب**[5].

يشير وايزمان إلى أن "الجندى الشاعر الفيلسوف" يتجسد فى شارون وينسجم مع فلسفة دولوز وهو "شخصية مركزية فى الصهيونية الأساطير" وهذا الاستقطاب لانهاء استعمار ما بعد الحداثة؛ يوضح كيف أن العلوم الإنسانية يمكن أن يتم الاستيلاء عليها بالتساوى كأداة للقوة الاستعمارية نفسها"[6].

رؤية دولوزية لفلسطين (كونترا إسرائيل)

إن ما يحدث في غزة وما حولها في الوقت الحالي – سواء على أرض الواقع أو خارجها – أمر مرعب. في عصر الإعلام المعاصر لدينا، هناك شعور بأن وسائل التواصل الاجتماعي تقوم بمهمة تسليط الضوء بشكل مستمر. تستخدم صحافة المؤسسة نفس التقارير القديمة غير الملتزمة والمراوغة، وتتحدث عن التوترات من جميع الأطراف، في حين أن صحافة المواطن، منذ أسابيع، توثق صبر إسرائيل المستمر على الشعب الفلسطيني لأنه لا يمتثل للمحاولات السلبية أو الإيجابية عند التهجير والتهجير. في الواقع، بالنسبة لأولئك الذين يراقبون عن كثب، من الواضح كيف يتطور العدوان السلبي الإسرائيلي ويتطور إلى عدوان نشط، لكن رد فعل الفلسطينيين هو المسؤول عن التحول، بالطبع. إذا كانت هذه علاقة بين شخصين، فستكون مثالًا كلاسيكيًا على العلاقة المسيئة. وبدلاً من ذلك، فهي عبارة عن "دولتين قوميتين"، تم تعريف كل منهما بشكل مثير للجدل، وحالة واضحة من قنابله مقابل قنابلها.

على إنستجرام في وقت سابق من اليوم(*)، نشرت محادثة قديمة من عام 2014 شارك فيها فريد موتن، حيث تحدث بشكل رائع عن هذا الجدل. عند سؤاله عن خصوصية فلسطين والمحادثات الأوسع حول الاستعمار الاستيطاني الذي يحدث عالميًا، يبدأ موتن **بالقول إنه يجب أن يكون هناك مكان لتعريف أوسع للاستعمار الاستيطاني من التعريف التاريخي الذي اعتدنا عليه. وعلى الرغم من أننا نركز على العلاقة بين أوروبا وبقية العالم، على سبيل المثال، فإن العلاقة بين إسرائيل وفلسطين تظهر أن هذا الأساس يمكن أن يحبط أحيانًا قدرتنا على تحديد المشاريع الاستعمارية الاستيطانية في لحظتنا المعاصرة.**

وعلى الرغم من أن تعليق موتن طويل، ومع هذا علينا الإشارة إليه، قبل الانتقال إلى قضية أكثر تحديدًا أود أن أستخلصها من الوضع الحالي – وهي

(*) نشرت الدراسة بتاريخ 13 مايو 2021 https://xenogothic.com/2021/05/13/a-deleuzian-view-of-palestine-contra-israel/

علاقة دولوز وجواتاري بالوضع الحالي. وهذا مستوحى إلى حد كبير من جهود لإشراك تويتر في الوضع الحالي عبر الإنترنت، بالإضافة إلى تضخيم الأصوات الفلسطينية في المنفى وعلى الأرض. وإذا كانت بعض أقسام العالم الإنجليزي بطيئة في المشاركة، فلا شك أن هذا لأننا، ضيقو الأفق إلى حد كبير. ولكن ربما يكون هناك أيضًا قلق كامن حول حقيقة أن دولوز وجواتاري، على وجه الخصوص، محبوبان بشكل سيء من قبل النظام الإسرائيلي.

يقول موتن. وفي حديثه عن قراره تأييد المقاطعة الأكاديمية والثقافية لإسرائيل : ما أردت القيام به هو أمران: أولاً، إدراك أن شروط ما يسميه الناس "الحداثة" أو "الحداثة العالمية"... الشروط التي تشكل ذلك هي الاستعمار الاستيطاني... وأعتقد أنه يمكننا التحدث عن الاستيطان –الاستعمار بطرق أوسع من الطرق العادية التي نعتبرها عادة مجموعة من العلاقات العنيفة والوحشية بين أوروبا وبقية العالم...

ولكن إذا فهمنا ذلك الاستعمار الاستيطاني، وتجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي، وظهور مجموعة من الصيغ الفلسفية التي تزودنا بشكل أساسي بمفهوم حديث للذات يقوم على نوع من التفرد الأبوي التملكي وغير المعياري... هذا هو معنى أن تكون ذاتًا، على المستوى الأساسي... إذا سألت أي شخص في قسم الفلسفة، فسيخبرك أن هذا صحيح! ولن يمزحوا... أن هذه تشكل أساس حداثتنا... ولكن بالنسبة لمعظم الناس الذين يعيشون في العالم – في الواقع لكل شخص يعيش في العالم، على الرغم من أن معظم الناس الذين يعيشون في العالم قادرون على ذلك أن ندرك ونقول هذا – أن الحداثة هي كارثة اجتماعية وبيئية نحاول الآن النجاة منها.

وإذا تناولنا ذلك، فإن جزءًا من ما هو على المحك هو أننا ندرك أن **التدخلات النسوية ضد النظام الأبوي المعياري المغاير؛ وأن تدخلات السود ضد نظرية وممارسة العبودية مستمرة؛ أن التدخلات المحلية ضد الاستعمار الاستيطاني تشكل الأساس العام – العملي والفكري – ليس فقط لمحاولاتنا للبقاء ولكن ... لإنقاذ الأرض.**

يستمر موتن، لكن الأمر يستحق التوقف هنا للحظة، حتى لو كان ذلك فقط

للتعرف على بعض التفاصيل هنا... ذلك أن تطور الذات هذا يتبع بالفعل مسارًا من التفرد الملكي. ومع ذلك، فهي ليست فقط "حديثة" ظاهريًا – يمكننا أن نؤرخها إلى ما قبل بداية عصر التنوير مباشرة – بل إنها أيضًا ليبرالية بشكل واضح.

بالنسبة لي، هناك سببان للتضامن مع شعب فلسطين. الأول لأنهم بشر ويتم معاملتهم بوحشية مطلقة. لكن الأمر الآخر هو أن هناك مقاومة محددة لإسرائيل كدولة قومية. ولكي أكون واضحًا تمامًا بشأن هذا الأمر، أعتقد أن الدولة القومية لإسرائيل هي في حد ذاتها قطعة مصطنعة من معاداة السامية. إذا فكرنا في إسرائيل والصهيونية ليس فقط كشكل من أشكال العنصرية التي تؤدي إلى تهجير الفلسطينيين، ولكن إذا فكرنا فيهما أيضًا كقطع أثرية للتهجير التاريخي لليهود من أوروبا، إذا فكرنا في الأمر بهذه الطريقة – والسبب في أنني أقول هذا هو فقط للتأكد من أنك تعرف أن هناك حجة محتملة ضد الصيغة التي تقول إن انتقاد إسرائيل هو معاد للسامية، عندما نعلم أن دونالد ترامب مؤيد صارخ، وأن أشخاصًا مثل بات روبنسون في الولايات المتحدة هم مؤيدون صارخون، فإن ذلك يجب أن يساعدنا على حقيقة أنه يمكنك أن تكون معاديًا بشدة للسامية وما زلت تدعم دولة إسرائيل. هذه الأشياء تسير جنبا إلى جنب . إنهم لا يتناقضون مع بعضهم البعض.

ويواصل موتن: لذا، يصبح من المهم بالنسبة لنا أن نكون قادرين على الإشارة إلى أن مقاومة دولة إسرائيل هي أيضًا مقاومة لفكرة شرعية الدولة القومية. ليس من قبيل الصدفة أنه... عندما يتجلى الدفاع عن إسرائيل في الدفاع عن حقها في الوجود – وهذا أمر مهم – فهو دفاع ليس فقط عن حق إسرائيل في الوجود، بل عن الدولة القومية كشكل سياسي لحق في الوجود. والدول القومية ليس لها حقوق. ما يفترض أن تكون عليه هو آليات لحماية حقوق الأشخاص الذين يعيشون فيها، وهذا لم يكن الحال على الإطلاق تقريبًا. وبقدر ما تحمي حقوق الأشخاص الذين يعيشون فيها، يكون ذلك على حساب الأشخاص الذين لا...

إنه خطاب موتن رائع، السبب وراء رغبتي في تسليط الضوء هنا، باعتباره حجة فلسفية وسياسية حديثة جدًا للتضامن مع دولة فلسطين – وهو بالطبع محبط

أن مثل هذه الحجة ضرورية، ولكن ها نحن هنا – لأنها تتوافق مع السياسة الراديكالية في قلب عمل دولوز وجواتاري، والتي كثيرًا ما أساءت إسرائيل استخدامها.

وهذه حقيقة سيئة السمعة الآن. أنا متأكد من أن معظمهم على علم بذلك. اعتمد العديد من المسؤولين رفيعي المستوى في رابطة الدفاع الإسرائيلية، على مر العقود، بشكل واضح على الفلسفات الراديكالية لدولوز وجاتاري وتأثيراتهم، مثل جريجوري بيتسون، وجورج باتاي، والموقفيين على نطاق أوسع. مع تزايد شعبية دولوز وجواتاري، على وجه الخصوص، على مر العقود، حيث أصبحا أسماء في كل مكان داخل كليات العلوم الإنسانية المتوسطة وفي دوائر التعلم الذاتي عبر الإنترنت أيضًا، غالبًا ما يستخدم بعض السذج هذه الحقيقة باعتبارها "مسكتك". على الرغم من أن الافتراض بأن ما بعد البنيويين مثل مصانع وكالة المخابرات المركزية أو جيش الدفاع الإسرائيلي لا أساس له من الصحة، إلا أن هذا ليس نقدًا يجب تجاهله ببساطة. من المهم الاهتمام به، وقد فعل الكثيرون ذلك.

إن مساهمات إيال وايزمان جديرة بالملاحظة هنا. لقد كتب عن شعبية دلوز وجاتارى داخل جيش الدفاع الإسرائيلي لكل من Metamute والفلسفة الراديكالية – وعدد من الأماكن الأخرى، أنا متأكد من ذلك، ولكن هذه هي الأماكن الأكثر سهولة في الوصول إليها. أثناء التحدث إلى عميد سابق في جيش الدفاع الإسرائيلي يُدعى "نافيه" في مقابلة استضافتها الفلسفة الراديكالية ، فإن الفكرة الرئيسية هي أن دولة إسرائيل تنشر الرؤى المختلفة لفلسفة ما بعد البنيوية والممارسات الفنية الأوروبية الطليعية من أجل التفكير مثل حرب العصابات . وهم يدركون أنه في حين أن تكتيكات حرب العصابات قادرة على خرق الحدود التي يفترض أنها راسخة للذات والدولة القومية، فإن منطقة عدم التحديد حول المساحات الخلافية تصبح أشبه بالأرض الحرام. إن عدم وضوح حدود الذات والدولة لا يرسل هذه الأشكال إلى نوع من وضع القتال أو الهروب فحسب، كما لو كان وجودها ذاته تحت التهديد، ولكنه يخلق أيضًا مساحة يمكن لهذه الأشكال أن تتوسع فيها. التعرض للتهديد هو أن تتاح لك الفرصة لتوسيع نفسك، مثلما تقوم الحيوانات

المختلفة بتضخيم مكانتها عندما تكون خائفة. أما في حالة الدول القومية، فالمشكلة هي أنها غالبًا ما تظل على هذه الحال، في هذه الحالات من الوعي المتزايد. وهكذا فهي تساعد إسرائيل على استفزاز الشعب الفلسطيني ومعاملته بوحشية والتسلط عليه باستمرار. إذا امتثل الفلسطينيون، فإنهم يفعلون ما يحلو لهم ويوسعون دولتهم. وإذا قاوم الشعب الفلسطيني، فإنه سيخلق منطقة تهديد غير محددة يمكن لإسرائيل أن تستولي عليها بشكل أكثر علانية وبالقوة تحت ستار الدفاع عن النفس. ومن ثم، فإن تكتيكات حرب العصابات تخلق نوعًا من الفسحة السياسية، سواء على المستوى المكاني أو الخطابي، والتي تسمح لأفكار وأشكال معينة من العمل بالتوسع.

ولهذا السبب يستخدم جيش الدفاع الإسرائيلي دولوز وغواتاري. وعلى مستوى الخطابة، تعمل هندستهم المفاهيمية على توسيع عقل آلة الحرب الإسرائيلية. إنها تتيح لها أن تتصور نفسها بطرق جديدة، ولكن من الأعلى، وليس من الأسفل، كما قصد دولوز وغوتاري. وفي هذا يقول وايزمان:

من الواضح أن النظرية قد تخلق أحاسيس جديدة وقد تساعد في شرح ومواصلة تطوير الأفكار التي ظهرت بشكل مستقل في مجالات منفصلة من المعرفة. من حيث الخطاب، فإن الحرب، إذا لم تكن حرب إبادة شاملة، فهي دائمًا خطاب بين الأعداء . كل عمل عسكري يهدف إلى إيصال شيء ما إلى العدو، أو التظاهر، أو التهديد، أو الإشارة. وبالتالي فإن الحديث عن الاحتشاد والقتل المستهدف والتدمير الذكي قد يساعد المؤسسة العسكرية في إبلاغ أعدائها بأنها تستخدم فقط جزءاً من قدراتها الكاملة للتدمير. **وفي هذا الصدد، يتم تقديم عملية الاحتشاد كتحذير بأننا "في المرة القادمة سوف ننقذ أنفسنا من العديد من الضحايا" من خلال التصرف بطريقة وحشية دون ضبط النفس – كما حدث في جنين. وبالتالي فمن الممكن تصوير الغارات باعتبارها "أهون الشرين"، أو بديلاً أكثر اعتدالاً للقدرة التدميرية الكاملة التي تمتلكها المؤسسة العسكرية، وسوف يتم إطلاقها إذا زاد العدو من المستوى المقبول من العنف أو خرق بعض القواعد غير المكتوبة. في النظرية العملياتية العسكرية، من الضروري ألا يستخدم**

الجيش أبدًا قدرته التدميرية الكاملة وأن يحتفظ دائمًا بالقدرة على زيادة مستوى الأعمال الوحشية. وبدون هذا "ضبط النفس" النسبي، يصبح الخوف، وبالتالي التهديد، بلا معنى.

على الرغم من أن قفزاته والحدود بين الذات والدولة، وأفكارهما حول الوطن، قد تبدو وكأنها رحلات خيالية للبعض، إلا أن هذه هي نفس التكتيكات التي تستخدمها دولة إسرائيل لتعزيز إحساسها بالسيادة والاستقلال. يعيد وايزمان مرة أخرى طرح فكرة موتن حول الوطن للتأثير على مفهوم "الوطن" و"الأمن الداخلي:"

يُنظر إلى الجدار الداخلي على أنه حدود، والمنزل على أنه أرض للعدو، والتطفل على الممتلكات باعتباره غزوًا مسلحًا. وعلى هذا فقد أصبح "الأمن الداخلي" (أو ما يمكن أن نطلق عليه الآن "الأمن الداخلي") خارج نطاق السيطرة الديمقراطية. يبتهج المحللون العسكريون بالإمكانيات التي يقدمها دولوز وجواتاري وتشومي وغيرهم، لأن هذا المجال الداخلي ـ السيادة الجزئية التخريبية للخصوصية ـ يمثل الآن امتدادًا محتملاً لسلطتهم وسيادتهم إلى أماكن لم تكن موجودة من قبل ممتد. وعلى هذا النحو، أصبح غزو "الوطن" – أي الفضاء الحميم، فضاء الذاتية – "حدودًا أخيرة" أخرى.

ومن الواضح تماما كيف يتم ذلك، سواء بشكل مذهل أو غير ضار. لقد رأينا ذلك مراراً وتكراراً في الأسابيع الأخيرة عندما يتم طرد الفلسطينيين من الشيخ جراح، حيث يقول الإسرائيليون المتواطئون للناس "هذا بيتي الآن"، ويصرون على أن يتحرك الفلسطينيون. فهو يسمح لهم بالتخلي عن المسؤولية، حيث يصر المواطنون على أنهم يفعلون فقط ما تطلبه منهم الدولة، بينما يعتقدون في الوقت نفسه أن هذا التمديد بين الأشخاص هو حقهم القانوني، مع تأطير النزوح العنصري بشكل غير ضار على أنه تغيير في اتفاقية الإيجار.

هناك أصداء واضحة لخطاب موتن في تحليل وايزمان، وعلى وجه التحديد الحجة القائلة بأن انتقاد إسرائيل لا يقتصر على نقد تصرفات الدولة القومية، بل يجب أن يمتد إلى نقد فكرة الوطن ذاتها، "المجتمع العام" . فكرة إشكالية عن الحياة المنزلية ". ولكن ما هو أكثر من ذلك هو أن أوجه التشابه الأوسع مع السياسة

الأمريكية مذهلة. والحقيقة أن التفكير في إسرائيل وفلسطين بنفس الطريقة التي فكر بها العديد من الفلاسفة في أميركا . قد يكون مفيداً.

عندما درسنا "الصراع العربي الإسرائيلي" ، كانت الرسالة العامة التي وصلتني من ذلك الفصل هي أن الوضع مستحيل. يجب علينا أن نسعى جاهدين من أجل حل الدولتين – هذا كل ما يمكننا القيام به. ولكن هذا لا يحل شيئاً، لأن هاتين الدولتين القوميتين سوف تكونان متشابكتين دائماً. مثل التوأم الملتصق، على الرغم من أنهما قد يكونان جسدًا واحدًا، إلا أنه ستكون هناك مخاطر وعيوب وقيود على ما يمكن أن يفعله كل منهما.

إن الركود المشحون الذي تعيشه أميركا يشكل في الأساس الإرث الحقيقي لليبرالية. لكن الحلم الأمريكي، في حد ذاته، كان يحمل الكثير من الإمكانات، وهو ما كتب عنه دولوز بإسهاب. إذا لم نتمكن من العودة إلى الوراء وإصلاح الضرر الذي حدث، فإن أقل ما يمكننا القيام به هو أن نطمح إلى تلك الأحلام الأولى – التي يحملها أولئك الذين وصلوا إلى أمريكا من جميع الزوايا، وحتى أولئك الذين وصلوا إلى إسرائيل وفلسطين في منتصف القرن العشرين. على الرغم من أننا نتحدث عن الجغرافيا السياسية هنا، إلا أنها شيء اكتشفناه في كثير من الأحيان من خلال علاقتنا مع العالم الطبيعي، والذي نكافح أيضًا من أجل العيش في وئام معه – وفي الواقع، تعتبر مقاومة الاستعمار الاستيطاني أمرًا ضروريًا لأي تنظير للطبيعة. الطوارئ المناخية.

بالنسبة لدولوز، فإن مثل هذا الفضاء "يتطلب مجتمعًا جديدًا، يكون أعضاؤه قادرين على الثقة، أي الإيمان بأنفسهم، وبالعالم، وبالصيرورة". فإسرائيل، في تأسيسها، ورغم أنها ربما فرت أيضاً من عنف أوروبا الليبرالية وتحولها (الذي لا مفر منه) إلى الفاشية، فشلت في تصور هذا النوع من المجتمع الجديد. لم تكن مبنية على نوع من "التحول إلى اليهودية"، في بداية أسلوب حياة جديد ضمن مجموعة جديدة من العلاقات، ولكنها وقعت في نوع من مغالطة روبنسون كروزو – في الصحراء، وفشلت في رؤية الحياة التي بدأت بالفعل عاشوا هناك، ورأوا الصفحة البيضاء ، وشرعوا في إعادة بناء العالم الذي عرفوه بالفعل: عالم العنف

والسيادة الفاشية والتهجير العنصري. **لقد كانت ولادة إسرائيل تنطوي على احتمالات، باعتبارها هروباً من الفشل الأوروبي، الذي لا يعود إلا إلى أحلام الوطن الأم أو الأب. ويشعر الشعب الفلسطيني بوطأة هذه العودة. "ولادة أمة، واستعادة الدولة القومية".**

قد تتبنى إسرائيل استراتيجيات السياسة المتطرفة، لكنها تخون أساسها على الدوام. ويتعين عليهم أن يقرأوا قدراً أقل من فلسفة ديلوز السلسة والمخططة وأن يفهموها بدلاً من ذلك في سياقها، ربما من خلال قراءة كتاباته عن أميركا وثقافتها، والتي توضح كيف أن أميركا، الحليف الأقوى لإسرائيل، ضلت طريقها رغم ذلك.

على الرغم من أن دولوز قد يكتب عن الأدب، إلا أن تشخيصه الاكلينيكى يتناسب مع أعراض الاستعمار الاستيطاني في القرن الحادي والعشرين. فلسطين، على وجه الخصوص، تعطي شكلاً حرفيًا عنيفًا لرموزه الأدبية. أمة من الأبناء الأيتام والبنات الأيتام، مهيأة للتجديد الثوري ونضالها هو نضالنا جميعا. إن التضامن مع فلسطين يعني الكفاح من أجل أسلوب جديد للحياة على الأرض، حيث لا يشكل الوطن أساسًا للإنسانية، كما قال لوك، بل مساحة يجب على البشرية أن تبنيها معًا في تضامن.

هُنود فلسطين حوار جيل دولوز وإلياس صنبر(*)

ترجمة : حسام موصللي

في مُقابل هذا التاريخ الكارثيّ، هناك إدراكٌ آخر لتاريخٍ لا سبيلَ لصناعته إلَّا عبر الممكِن وتنوُّعه ووفرة الاحتمالات في كلِّ لحظة. أليس هذا ما تريدُ المجلَّة تسليط الضوء عليه، حتَّى وإن كان من خلال تحليلاتها للأحداث الراهنة بصفةٍ رئيسيَّة؟

ترقَّبنا لفترةٍ طويلة صدور مجلَّةٍ عربيَّةٍ باللغة الفرنسيَّة، لكن بدلاً من أن تصدُر من شمال أفريقيا، فقد حصلنا عليها من الفلسطينيِّين. تتميَّزُ مجلة الدراسات الفلسطينيَّة بسمتين تُركِّزان، مثلما هو جليّ، على المشكلات الفلسطينيَّة التي بدورها أيضاً تهمُّ العالم العربيَّ برمَّته. فهي من ناحيةٍ تُقدِّمُ تحليلاتٍ اجتماعيَّةً سياسيَّةً شديدة العمق، بأسلوب ماهر ورصين في الوقت نفسه؛ ومن ناحيةٍ أخرى، تحشدُ "مخزوناً" عربيَّاً محدَّداً، أدبيَّاً وتاريخيَّاً وسوسيولوجيَّاً، يتَّسم بغناه الشديد وكونه غير معروف إلى حدٍ كبير. جيل دولوز، 1982 .

1- **دولوز**: يبدو لي أنَّ شيئاً ما نضجَ في الجانب الفلسطينيّ. هناك نبرةٌ جديدة، وكأنَّهم قد تجاوزوا الطورَ الأوَّل لأزمتهم، وكأنَّهم قد بلغوا حالةً من اليقين والسكينة، من "الحقّ"، تَشهدُ على وصولهم إلى وعيٍ جديد. حالةٌ تتيحُ لهم التعبير بأسلوبٍ جديد، لا هجوميٍّ ولا دفاعيّ، لكن نحوٍ تعاطٍ على طريقة "المثل بالمثل" مع الجميع. ما تفسيرُك لهذه الظاهرة، مع الأخذ بالحسبان أنَّ الفلسطينيِّين لم يُحقِّقوا مقاصدهم بعد؟

صنبر: لقد لمسنا ردَّ الفعل هذا منذ صدور العدد الأوَّل. هناك جهاتٌ فاعلةٌ تخاطبُ نفسها بالقول: "انظروا إلى الفلسطينيِّين وهم يُصدِرون أيضاً مجلَّاتٍ بهذا المستوى"، وزعزع هذا تلك الصورة الراسخة في أذهانهم. لا تنسَ أنَّ صورة المناضل الفلسطينيّ التي ندَّعي تبنِّيها قد ظلَّت شديدة التجريد في منظور الكثيرين. سأشرحُ ما

(*)نشرت في منشورات فيرسو في 8 آب 2014. نشرت لأوَّل مرَّة في صحيفة ليبراسيون، عدد 8-9 أيَّار 1982 .في عام 1982، أجرى الفيلسوف الفرنسيّ جيل دولوز مقابلةً مع إلياس صنبر- المؤلِّف الفلسطينيّ ومؤسِّس مجلَّة الدراسات الفلسطينيَّة بالفرنسيَّة. تضمَّنت المقابلة تأمُّلاتٍ في كلٍّ من أهميَّة المجلَّة، ووجود الشعب الفلسطينيّ، وأرض فلسطين. ما هو مؤسِّفٌ أنَّه، عقب 30 عاماً من تلك المقابلة، فإنَّ هذه المناقشات لا تزال ذات صلةٍ قاتمةٍ بما تَشهدُه هذه المرحلة الراهنة.

[المترجم]https://rommanmag.com/archives/21472

قصدت: قبل أن نُرسِّخَ واقع وجودنا، كان يُنظر إلينا بوصفنا لاجئين. لكن مع تعزيز حركتنا المقاوِمة لفكرة أنَّه ينبغي أخذ نضالنا بعين الاعتبار، فقد وقعنا مرَّةً أخرى في فخِّ الصورة المختزلة.

تكثيفٌ وعزلةٌ إلى الأبد، كذلك كانت صورتنا كمحض ميليشياويّين، وكان يُنظر إلينا بوصفنا لا نفعل أيَّ شيءٍ عدا ذلك. لذا، كان لزاماً من أجل تجاوزها أنَّ نميل إلى صورتنا كمناضلين بدلاً من الميليشياويَّة بمعناها الضيِّق.

باعتقادي، ما أثاره صدور المجلَّة من دهشةٍ تتأتَّى أيضاً من حقيقة أنَّه ينبغي على بعض الأشخاص الآن الإقرار لأنفسهم بوجود الفلسطينيِّين، وأنَّ مُجرَّد استحضار المبادئ المجرَّدة لم يعد كافياً. فعلى الرغم من أنَّ هذه المجلَّة تصدر من فلسطين، إلَّا أنَّها تُشكِّل فضاءً لشواغل متنوِّعة؛ مساحةً لا تقتصرُ فيه الأولويَّة على الفلسطينيِّين وحسب، بل يرفده أيضاً العرب والأوروبيّون واليهود وغيرهم.

قبل كلِّ شيء، لا بدَّ أن يبدأ البعض بإدراك أنَّه مع وجود مثل هذا الجهد، بهذه الغزارة من تنوُّع الآفاق، فمن المحتمل أنَّه، ضمن مستوياتٍ أخرى من فلسطين، سينطوي أيضاً على فنَّانين، ونحَّاتين، وعمَّال، وفلَّاحين، وروائيّين، ومصرفيّين، وممثّلين، ورجال أعمال، وأساتذة جامعات... باختصار، مجتمعاً حقيقيَّاً تُعبِّرُ هذه المجلَّة عن وجوده عبر منحه مساحةً وصوتاً.

فلسطين ليسَت الشعب وحسب، بل الأرض أيضاً. هي الرابط ما بين هذا الشعب وأرضه السليبة، وتقاطُعُ الغياب مع الرغبة الجارفة بالعودة. هذا المكان فريدٌ من نوعه إذ يُشكِّل محطَّ عمليَّات الطرد كافَّة التي عانى منها شعبُنا منذ عام 1948. حينما يضعُ المرء فلسطين نصب عينيه، فيدرسها ويُمحص النظر فيها، ويرصدُ أقلَّ تحرُّكاتها، فإنَّه يلاحظُ كلَّ تغيُّرٍ يتحيَّنها، ويجمع كلَّ صورها القديمة، وبالمختصر، يدركُ أنَّها ينبغي ألَّا تغيب عن ناظريه أبداً.

2- **دولوز**: تستحضرُ العديد من المقالات المنشورة في مجلَّة الدراسات الفلسطينيَّة إجراءات اقتلاع الفلسطينيِّين من أراضيهم، وتُحلِّل ضمن مقاربةٍ جديدة. لهذه المسألة أهمِّيَّة بالغة، لأنَّ الفلسطينيِّين ليسوا في موقع الشعب المستعمَر، بل المهجَّر والمطرود. وفي كتابِك الذي تعكف على تأليفه الآن، تصرُّ على عقد مقارنة بسكَّان أميركا الأصليِّين. هناك حركتان شديدتا الاختلاف ضمن الرأسماليَّة؛ لدينا مسألة السيطرة على الشعوب داخل أراضيها وإجبارها على العمل، واستغلالها، في سبيل مراكمة الفائض: هذا ما يُسمَّى

عادةً بمستعمَرة. وعلى النقيض من ذلك، أمامنا حالةٌ تتعلَّق بإفراغ منطقةٍ من سكَّانها بغية تحقيق قفزةٍ إلى الأمام، حتَّى لو كان ذلك يعني تحويلهم إلى قوَّةٍ عاملةٍ في منطقةٍ أخرى. ويبدو لي أنَّ الحالة الأخيرة هي الأكثر انطباقاً على تاريخ الصهيونيَّة وإسرائيل، ومثل ذلك تاريخ أميركا: أي، كيف نخلق مساحةً فارغة، كيف نطردٌ شعباً من أرضه؟

في إحدى المقابلات، يشير ياسر عرفات إلى حدود هذه المقارنة؛ هذه الحدود نفسها التي تُشكِّل أفق مجلَّة الدراسات الفلسطينيَّة: هناك عالمٌ عربيّ قائمٌ بالفعل، بينما لم يكن لدى سكَّان أميركا الأصليِّين مَركزٌ أو قوَّةٌ خارج الأراضي التي اجتُثّوا منها.

صنبر: نحنُ تجسيدٌ لحالةٍ فريدةٍ من المُبعَدين؛ لأنَّنا لم نُهجَّر إلى أراضٍ أجنبيّة، بل إلى ما يُشكِّلُ امتداداً "لمكاننا نفسه". هُجِّرنا إلى أراضٍ عربيَّةٍ حيثُ لا أحد يرغبُ في تفكيكنا، لكنَّ الفكرة مشوَّهةٌ بحدِّ ذاتها. هُنا، أفكِّر بالنفاق الصارخ الذي تنطوي عليه بعض الادِّعاءات الإسرائيليَّة إذ تلقي اللوم على العرب الآخرين باعتبار أنَّهم لم "يدمجونا"؛ في حين أنَّ المقصود بتعبير "الاندماج" هذا بلغة إسرائيل أن "يجعلونا نختفي"... أولئك الذين هجَّرونا صاروا على حين غرَّةٍ قلقين بشأن عنصريَّةٍ عربيَّةٍ مزعومةٍ تجاهنا. هل يعني هذا أنَّنا لم نتعرَّض إلى أيِّ تناقضاتٍ في بعض الدول العربيَّة؟ قطعاً لا، بيد أنَّ هذه المناوشات لم تنجم من جرَّاء كوننا عرباً؛ بل تَحتَّمَ حدوثها أحياناً لأنَّنا كنَّا، وما زلنا، ثورةً مسلَّحة. نحنُ أيضاً بمثابة سكَّان أميركا الأصليُّين من منظور المستوطنين اليهود في فلسطين؛ إذ يرون أنَّه لا دورَ لنا إطلاقاً سوى الاضمحلال. وفي هذا السياق، من المؤكَّد أنَّ تاريخ تأسيس إسرائيل إنَّما يعيد إنتاج السيرورة التي أفضَت إلى نشوء الولايات المتَّحدة الأميركيَّة.

على الأرجح أنَّ ما سبق من ضمن العوامل الأساسيَّة لفهم التضامن المتبادل ما بين هذه الشعوب. هُناك أيضاً عوامل تشيرُ إلى أنَّنا، إبَّان مرحلة الانتداب، لم نتعرَّض لاستعمارٍ "تقليديّ" مُعتاد، أعني بذلك تَعايشَ المستوطنين والمستعمَرين. كان الفرنسيُّون والإنكليز، وغيرهم، يرغبون بالاستقرار في مساحاتٍ بشرط أنَّ تكون مشغولةً مسبقاً بالسكَّان المحليّين. كان حضورُ الخاضعين للاستعمار ضرورياً تماماً من أجل ممارسة تلك السيطرة. أفضى هذا بدوره إلى نشوء مساحاتٍ مشتركة، سواءٌ أرادها المرء أم لا، وشبكات وقطاعات ومستوياتٍ من الحياة الاجتماعيَّة حيثُ يحدث اللقاء بين المستوطنين والمستعمَرين. وأمَّا واقع أنَّه كان لقاءً لا يُطاق، ساحقاً، استغلالياً، قهرياً، فهو لا يغيِّر من حقيقة أنَّه من أجل السيطرة على "المحلِّيّ"، كان على "الأجنبيّ" أن يشرع بالتواصل مع

ذلك "المحلِّيّ". ثمَّ جاءت الصهيونيَّة، التي انطلقَت من النقيض ومن ضرورة غيابنا التي شكَّلت، إلى حدٍّ يفوق في الأولويَّة خصوصيَّة أعضائها (أي انتماءهُم إلى مُجتمعاتٍ يهوديَّة)، حجر الأساس في رفضنا، وتهجيرنا، و"الترانسفير"، واستبدالنا، كما وصَّف إيلان هاليفي ذلك جيِّداً. وهكذا، ظهرَ أولئك الذين يبدو لي أنَّه ينبغي تسميتهم بـ "المستوطنين المجهولين"، الذين وصلوا بالوتيرة نفسها لوصول أولئك الذين أُسمِّيهم بـ "المستوطنين الغرباء". وقد استندت مُقاربة أولئك "المستوطنين المجهولين" برمَّتها على تحويل خصائصهم إلى أساسِ الرفضِ القطعيّ للآخر.

علاوةً على ذلك، أرى أنَّ بلادنا لم تتعرَّض لمجرَّد الاستعمار وحسب في عام 1948، بل "اختفَت" بصورةٍ أو أخرى. وأجزم أنَّ هذا ما أراد المستوطنون اليهود، الذين صاروا في تلك اللحظة "إسرائيليِّين"، تحقيقه على الأرض.

فكرةُ أنَّ الفلسطينيِّين سيرحلون ذات يومٍ عن البلاد لم تكن المسند لتعبئة الحركة الصهيونيَّة للمجتمع اليهوديَّ في فلسطين، بل أنَّ هذه البلاد كانت "خاوية" في الأصل. بطبيعة الحال، اكتشفَ بعض الأشخاص زيفَ هذه الفكرة بمجرَّد وصولهم إلى هناك، وكتبوا عن هذه الحقيقة! بيد أنَّ الغالبيَّة العظمى من هذا المجتمع تعاملَت مع الشعب الذي كانت على احتكاكٍ مباشرٍ ويوميٍّ بهم وكأنَّه غير موجودٍ أساساً. لم يكن عماهُم جسديَّاً، ولم تنطلِ تلك الخديعة على أحد حتَّى بأبسط درجاتها؛ بل كانوا جميعاً على علمٍ أنَّ هذا الشعب، الحاضِر الآن، هو "على مشارف الاختفاء"، كما أدركوا أيضاً أنَّه في سبيل تحقيق هذا الاختفاء، فإنَّه ينبغي عليهم منذ البداية التصرُّف وكأنَّه قد حدث بالفعل. وبعبارةٍ أخرى، انتهاج "التعامي" عن وجود الآخر الذي يمكن إنكاره على الإطلاق. للوصول إلى هذه الغاية، كان لا بدَّ من استناد فكرة الأرض الخاوية إلى إخلاء وجود "الآخر" من عقول المستوطنين أنفسهم.

لتحقيق هذا الأمر، تلاعبَت الحركة الصهيونيَّة باستمرارٍ بمنظورٍ عُنصريٍّ صيَّرَ اليهوديَّة الأساسَ الفعليَّ لطرد الآخر ورفضِ وجوده. وكان للاضطهاد الذي تعرَّضوا له في أوروبا، على أيدي جماعاتٍ عنصريَّة أخرى، أثره الحاسم في توطيد مقاربتهم الخاصَّة.

علاوةً على ما سبق، نرى أنَّ الصهيونيَّة سجنٌ لليهود حيثُ تأسرهم داخل المنظور الذي أشرتُ إليه قبل قليل. أقول إنَّها تأسرهم، وليس أسرَتهُم في مرحلةٍ زمنيَّةٍ خلَت؛ لأنَّه، وبمجرَّد انتهاء الهولوكوست، ارتقَت تلك الفكرة من مُقاربةٍ لتصير "مبدأً أبديَّاً" زائفاً يدَّعي أنَّ اليهود هُم "الآخر" في نظِر كلِّ المجتمعات التي يعيشون فيه، دائماً وفي كلِّ مكان.

لكن ما من شعبٍ ولا مجتمع، بإمكانه الادِّعاء– لحسن حظِّهم– بأنَّه يشغل موقع "الآخر" المنبوذ والملعون إلى الأبد.

في هذه الحقبة من تاريخ الشرق الأوسط، الآخرون هم العرب، الفلسطينيُّون. وأمَّا ذروة النفاق والسينيكية، فتتجلَّى في مُطالبة القوى الغربيَّة هذا الآخر، الذي تَحوَّل اختفاؤه المستمرُّ إلى سمةٍ سائدة، بتقديم ضمانات. بينما نحنُ من نحتاج في الحقيقة إلى ضماناتٍ تقينا جنون القادة العسكريِّين الإسرائيليِّين.

على الرغم من هذا، فقد قدَّمَت جهة تمثيلنا الوحيدة، وأعني منظَّمة التحرير الفلسطينيَّة، حلَّها لهذا الصراع: دولةٌ فلسطين الديموقراطيَّة، دولةٌ بمقدورها تحطيم الجدران التي تفصل بين جميع سكَّان البلد، بغضِّ النظر عن مشاربهم.

3- **دولوز**: في أوَّل صفحتين من العدد الأوَّل، تُقدِّم مجلَّة الدراسات الفلسطينيَّة بيانها وفيه وردَت عبارة "نحنُ شعبٌ كغيرنا من الشعوب". تبدو لي هذه العبارة صرخةً مُتعدِّدة المعاني؛ وفي المقام الأوَّل، هي تذكيرٌ أو مناشدة.

بصفةٍ مستمرَّة، يتعرَّضُ الفلسطينيّون للوم على رفضهم الاعتراف بإسرائيل. انظروا، يقول الإسرائيليُّون، إنَّهم يريدون تدميرنا. في المقابل، يُكافح الفلسطينيُّون أنفسهم، منذ أكثر من خمسين عاماً، من أجل نيل الاعتراف.

في المقام الثاني، تتعارضُ تلك العبارة والبيان الإسرائيليّ الذي مفادُه "نحنُ لسنا كغيرنا من الشعوب" نتيجة تفوُّقنا وفداحة ما تعرَّضنا له من اضطهاد. من هنا، تنبعُ أهمِّيَّة نصَّين لمؤلِّفين إسرائيليَّين تضمَّنهما العدد الثاني من المجلَّة، يتمحوران حول المحرقة، وردود الفعل الصهيونيَّة إزاءها، والمكانة التي اكتسبها هذا الحدث في إسرائيل؛ وذلك في ضوء العلاقة مع الفلسطينيِّين والعالم العربيِّ برمَّته، العالَم الذي لم يتورَّط بالمحرقة. من خلال مُطالبتها بـ "المعاملة كشعبٍ غير معياريّ"، فإنَّ دولة إسرائيل تبقي نفسها أسيرة موقفٍ لا مثيل له في أيِّ دولة أخرى، من الاعتماد المطلق على الغرب اقتصاديَّاً وماليَّاً (بحسب تعبير المفكِّر الإسرائيليّ بوعز إيفرون). ولذا يتمسَّك الفلسطينيُّون بالموقف المعاكس: أي أن يصيروا ما هُم عليه بالأصل؛ شعباً "طبيعيَّاً" تماماً.

في مُقابل هذا التاريخ الكارثيّ، هناك إدراكٌ آخر لتاريخٍ لا سبيلَ لصناعته إلَّا عبر الممكِن وتنوُّعه ووفرة الاحتمالات في كلِّ لحظة. أليس هذا ما تريدُ المجلَّة تسليط الضوء عليه، حتَّى وإن كان من خلال تحليلاتها للأحداث الراهنة بصفةٍ رئيسيَّة؟

صنبر: بكلِّ تأكيد. إنَّ مسألةَ تذكير العالم بوجودنا هي لا شكَّ خزَّانٌ للمعاني،

لكنَّها في منتهى البساطة أيضاً. وهي الحقيقة التي، من خلال الإقرار بها حقَّاً، ستصبحُ مهمَّة أولئك الذين يتطلَّعون إلى اختفاء الشعب الفلسطينيِّ شديدة الصعوبة. لأنَّها، في نهاية المطاف، تعني أنَّ لجميع البشر "الحقّ في الحقوق". هي عبارةٌ في مُنتهى الوضوح، لكنَّها تنطوي أيضاً على قوَّةٍ هائلة تجعلُها تقريباً منطلقَ كلِّ النضالات السياسيَّة ومنتهاها. فلنأخذ الصهاينة كمثال؛ ما وجهة نظرهم بصدد هذا الموضوع؟ إنَّك لن تسمعهم قطّ يقولون أشياء من قبيل "إنَّه ليس للشعب الفلسطينيِّ أيُّ حقٍّ في أيِّ شيء"، لأنَّهم يُدركون تماماً أن ما من قوَّة، مهما بلغ حجمها، ستدعم موقفاً كهذا. على النقيض من ذلك، ستسمعُهم بالتأكيد يؤكِّدون على "عدم وجود شعبٍ فلسطينيّ."

لذا، وبوضوح، فإنَّ تأكيدنا على وجود الشعب الفلسطينيّ هو أقوى بكثيرٍ ممَّا قد يبدو عليه للوهلة الأولى.

جيل دولوز مجد ياسر عرفات[*]

ترجمة: حسام موصللي

كيف تعلَّم الشعب الفلسطينيُّ النضال والاستمرار بالنضال؛ كيف لشعبٍ من نسلٍ عريقٍ أن يتحوَّل إلى أمَّةٍ مُسلَّحة؛ كيف مَنحوا لأنفسهم صورةً لا تمثِّلهم فحسب بل تُجسِّدُهم، خارج أرضهم ومن دون أن تكون لهم دولة. إنَّ القضيَّة الفلسطينيَّة هي في المقام الأوَّل جملةُ المظالم التي ما زال هذا الشعب يرزح تحت نيرها، والتي لا تقتصر على كونها أعمال عنفٍ وحسب، بل هي أيضاً أعمالٌ منافيةٌ للمنطِق، زائفةٌ في مسوِّغاتها والضمانات التي تزعم أنَّها بصدد صيانتها أو الزود عنها. عندما وقعَت مجزرة صبرا وشاتيلا،[1] لم يحتَج عرفات إلَّا لكلمةٍ واحدةٍ لتوصيف كلٍّ من الوعود المنكوثة والاتِّفاقيَّات المنتهكة: العار، العار!

قيل عمَّا حدَث إنَّه لا يرقى إلى مستوى الإبادة الجماعيَّة. ومع ذلك، فهي قصَّةٌ شملت منذ مطلعها عدَّة قرى شبيهة بأورادور[2]. فلم يكن الإرهاب الصهيونيُّ موجَّهاً ضدَّ الإنكليز دون غيرهم، بل عمَّ القرى العربيَّة أيضاً التي كان يرى أنَّه لا بدَّ من إزالتها عن الوجود؛ وكانت منظَّمة إرغون ناشطة[3] للغاية في هذا السياق (بدليل ارتكابها مذبحة دير ياسين). هي قصَّةٌ مبنيَّةٌ، من البداية إلى النهاية، على أفعالٍ لا تقتصرُ على ضرورة إنهاء وجود الشعب الفلسطينيّ فحسب، وإنَّما على جعل الواقع يبدو وكأنَّه لم يكن للفلسطينيِّين أيُّ وجودٍ في الأصل.

كان الغزاة هم أولئك الذين عانوا أنفسهم من أفظَع إبادةٍ جماعيَّةٍ عرفها التاريخ. لقد حوَّل الصهاينةُ تلك الإبادة الجماعيَّة إلى شرٍّ مُطلقٍ، بيد أنَّ عمليَّة التحويل هذه صادرةٌ عن رؤيةٍ دينيَّةٍ وباطنيَّة، وليسَت رؤيةً تاريخيَّة. فهي لم تضع حدَّاً للشرّ؛ بل، على نقيض ذلك، عملَت على نشره، لتُنزله من جديدٍ على رؤوس أبرياء آخرين، وتطالبَ بتعويضاتٍ من شأنها أن تُلحِق بهؤلاء الآخرين جزءاً ممَّا عانى اليهود منه (من طردٍ وحصارٍ في أحياء معزولة، وإخفاء وجودهم كشعب). هكذا، وبوسائل "أكثر برودةً" من إبادة جماعيَّة، يصلُ المرء إلى النتيجة نفسها في نهاية المطاف.

تدين الولايات المتَّحدة وأوروبا بتعويض اليهود عمَّا لحق بهم، لكنَّهم أجبروا شعباً، أقلُّ ما يقال عنه إنَّه لا علاقة له بالمحرقة من قريبٍ أو بعيد، وربَّما لم يسمع بها حتَّى، على دفع ذلك التعويض. هُنا يبدأ التناقض الفجّ، والعنف أيضاً. **سيطالبُ الصهاينة، ومن**

---

[*]نُشِر النصّ الأصليّ في مجلَّة الدراسات الفلسطينيَّة (بالفرنسيَّة) في أيلول ١٩٨٣، وترجمَه إلى الإنكليزيَّة تيموثي إس. مورفي. https://rommanmag.com/archives/21275

ثمَّ الدولة الإسرائيليَّة، الفلسطينيِّين بالاعتراف بحقِّهم (القانونيّ). بيد أنَّ الدولة الإسرائيليَّة لن تتوقَّف أبداً عن إنكار حقيقة وجود شعبٍ فلسطينيّ، ولن تتحدَّث إطلاقاً عن الفلسطينيِّين بحدِّ ذاتهم، بل عن عرب فلسطين، وكأنَّهم الأخيرين قد وجدوا أنفسهم هناك مصادفةً أو بالخطأ. لاحقاً، ستتصرَّف الدولة الإسرائيليَّة على اعتبار أنَّ الفلسطينيِّين المهجَّرين قسراً قد وفدوا من خارج البلاد في الأصل، ولن تنطق بأيِّ كلمةٍ عن حرب المقاومة الأولى التي قادها الفلسطينيّون وحدهم. وبما أنَّهم لم يعترفوا بحقِّ إسرائيل، فستحوِّلهم الأخيرة إلى نسلِ هتلر. والمفارقة في الحقيقة هي أنَّ إسرائيل التي تحتفظ لنفسها بالحقِّ في إنكار وجود الفلسطينيِّين. من هُنا تبدأُ سرديَّةٌ زائفةٌ تزداد اتِّساعاً أكثر فأكثر، لتثقلَ كاهل كلَّ من ينبري للدفاع عن القضيَّة الفلسطينيَّة. والغاية من هذه السرديَّة، من هذا الرهان الإسرائيليّ، هي جعلُ الذين يُعارضون ظروف الأمر الواقع وممارسات الدولة الصهيونيَّة يبدون كمعادين للساميَّة. تستمدُّ هذه العمليَّة وجودها من السياسات الباردة التي تتبنَّاها إسرائيل فيما يختصُّ بالفلسطينيِّين.

منذ اللحظة الأولى، لم تُخفِ إسرائيل هدفها: تفريغ الأراضي الفلسطينيَّة من سكَّانها. بل أكثر من ذلك؛ أن تتصرَّف كما لو أنَّ تلك الأراضي كانت فارغةً في الأصل، ومقدَّرةً للصهاينة. كان جليّاً أنَّنا بصدد حالة احتلال، لكن ليس بالمفهوم أوروبا القرن التاسع عشر: أي أنَّه لن يتعرَّض السكَّان المحليُّون للاستغلال، بل سيُجبرون على الرحيل. وأمَّا الذين ظلّوا، فلن يجري تحويلهم إلى قوَّةٍ عاملةٍ إقليميَّةٍ مُستقلّة، بل بالأحرى إلى قوَّة عملٍ متنقِّلة وغير مترابطة، كما لو كانوا مهاجرين مودَعين في أحياء معزولة. منذ اللحظة الأولى، جرَت عمليَّة شراء الأراضي تحت شرط أن تكون خاليةً من قاطنيها، أو قابلةً للتفريغ. **إنَّها إبادةٌ جماعيَّة، لكن من النوع الذي تكون فيه الإبادة الجسديَّة مرهونة بالتفريغ الجغرافيّ: لكونِهم عرباً فقط بصفةٍ عامَّة، فإنّه يجب على الفلسطينيِّين الناجين أن يرحلوا وينضمّوا للعرب الآخرين. الإبادة الجسديَّة حاضرةٌ بالطبع، سواءٌ أكان تنفيذها موكلاً إلى مرتزقةٍ أو غير ذلك؛ بيد أنَّهم لا يصنِّفونها كإبادة جماعيَّة، لأنَّها ليست، بحسب تعبيرهم، "الهدف النهائيّ": فهي في الواقع ليسَت سوى وسيلةٍ من بين وسائل أخرى.**

ليس اللوبيُّ الصهيونيّ وحدَه مبعثَ التواطؤ الأميركيِّ مع إسرائيل. لقد بيَّن إلياس صنبر بوضوحٍ كيف أعادت الولايات المتَّحدة اكتشاف جانبٍ من تاريخها في إسرائيل: وذلك في إشارةٍ إلى الهنود الحمر (الأميركيِّين الأصليِّين) الذين تعرَّضوا أيضاً إلى إبادةٍ لم يكن شقُّ التصفية الجسديّة المباشرة فيها إلَّا جزئيّاً. كان محور المسألة هو التفريغ، وكأنَّه لم يكن هناك وجودٌ للهنود الحمر قطّ باستثناء الذين زُجّوا في أحياء العزل المبنيَّة في

الأصل لاستيعاب وجودهم باعتبارهم نازحين داخليّاً. **في نواحٍ عديدة، صار الفلسطينيُّون الهنودَ الحمر الجدد؛ هنود إسرائيل الحمر. تكشف المقاربة الماركسيَّة عن حركتين مُكمِّلتين للرأسماليَّة: الأولى هي الاستمرار بفرض الحدود التي تتطوَّر الرأسماليَّة ضمنها وتستغلُّ نظامها؛ والثانية هي المضي دوماً نحو تجاوز هذه الحدود الجديدة إلى حيِّز أوسع أكثر فأكثر بحيث تفضي إلى إعادة تأسيسها مرَّةً أخرى لكن ضمن نطاقٍ أكبر وأشدَّ كثافة. ولطالما كان تجاوزُ الحدود سمةَ الرأسماليَّة الأميركيَّة، الحلم الأميركيّ، والذي تبنَّته إسرائيل لاحقاً وكذلك حلم إسرائيل الكبرى في الأراضي العربيَّة، على حساب العرب.**

كيف تعلَّم الشعب الفلسطينيُّ النضال والاستمرار بالنضال؛ كيف لشعبٍ من نسلٍ عريقٍ أن يتحوَّل إلى أمَّةٍ مُسلَّحة؛ كيف مَنحوا لأنفسهم صورةً لا تمثِّلهم فحسب بل تُجسِّدُهم، خارج أرضهم ومن دون أن تكون لهم دولة: تستلزم كلُّ هذه الأحداث شخصيَّةً تاريخيَّةً عظيمة، شخصيّةً يمكن أن نقول عنها، من منظورٍ غربيٍّ، أنَّها شكسبيريَّة الطابع؛ والحديث هُنا عن عرفات. لقد سبقَ أن شهدنا ظاهرةً تاريخيَّةً بهذا الحجم من قبل (يمكن للفرنسيِّين مقارنة الأمر بفرنسا الحرَّة، باستثناء حقيقة أنَّ الأخيرة كانت ذات قاعدةٍ شعبيَّةٍ أصغر في البدايات). كما أنَّه ليس بجديد تاريخياً ما يفعله الإسرائيليُّون في كلِّ الفرص التي يبدو الحلُّ فيها ممكناً، أو تتوافر عناصره؛ أي الفرص التي يجهضها الإسرائيليُّون عن عمدٍ وقصد. يتمسَّك الإسرائيليّون بموقفهم الدينيِّ الذي لا يتوقَّف عند إنكار الحقِّ الفلسطينيّ، بل الحقيقة الفلسطينيَّة. ومن أجل تطهير أنفسهم من الإرهاب الذي يمارسونه، فإنّهم يلجؤون إلى معاملة الفلسطينيِّين باعتبارهم إرهابيِّين غرباء. بيد أنَّ الفلسطينيّين ليسوا كذلك، بل هم بالأحرى شعبٌ بعينه يختلف عن العرب على غرار اختلاف الأوروبيِّين ما بين أنفسهم، ولهذا السبب تحديداً لم يتوقَّعوا من الدول العربيَّة أكثر من مجرَّد مساعدةٍ غامضةٍ وملتبسة، والتي كانت تنقلب ضدَّهم أحياناً لتتحوَّل إلى عنفٍ وإبادةٍ كلَّما شعرَت تلك الدول بأنَّ النموذج الفلسطينيّ يشكِّل خطراً عليها. لقد خاض الفلسطينيُّون دوائر التاريخ الجهنميَّة كلّها: فشلٌ دائمٌ في الحلول كلَّما كانت الفرصة مُتاحة، وأسوأُ انتكاساتٍ ممكنةٍ على صعيد التحالفات التي كانوا يتحمَّلون العبء الأكبر منها، ووعودٌ رسميَّةٌ وجدِّيَّة لم تتحقَّق. ومع كلِّ ما سبق، كان عليهم أن يذكوا جذوة نضالهم بأنفسهم.

من الممكن القول إنَّ النيل من مصداقيَّة عرفات كان واحداً من أهداف مجزرة صبرا وشاتيلا. لقد وافقَ عرفات على خروج المقاتلين –القوَّة التي لم تتعرَّض لأذى– من المخيَّمَين شريطة ضمان الولايات المتَّحدة، وحتَّى إسرائيل، أمن ذويهم بشكلٍ كامل. لذا،

بعد المجزرة، لم يجد أيَّ كلمةٍ لينطق بها سوى "العار". فإذا ما أفضَت الأزمة التي تعرَّضت لها منظمة التحرير الفلسطينيّة في أعقاب المجزرة، على المدى الطويل إن أمكن القول، إلى حالةٍ من الاندماج مع الدول العربيَّة أو الذوبان ضمن الأصوليَّة الإسلاميَّة، فسيمكن القول عندئذٍ إنَّ الشعب الفلسطينيَّ قد اختفى فعليَّاً. لكن حدوث هذا الأمر سيكون ضمن إطار مجموعة ظروف لن يتوقَّف العالم والولايات المتَّحدة خلالها، بل حتَّى إسرائيل، عن الندم على الفرص الضائعة، بما في ذلك الفرص التي لا تزال متاحةً إلى اليوم. وأمَّا بالنسبة إلى المعادلة الإسرائيليَّة المتعجرفة التي مفادُها "لسنا شعباً كبقيَّة الشعوب"، فإنَّ الفلسطينيِّين لم يتوقَّفوا عن ترديد الصرخة التي استندنا إليها في العدد الأوَّل من مجلَّة الدراسات الفلسطينيَّة (بالفرنسيَّة): "نحنُ شعبٌ مثل بقيَّة الشعوب، ولا نريد أن نكون أكثر من ذلك."...

عبر قيادتها للحرب الإرهابيَّة في لبنان، اعتقدَت إسرائيل أنَّها قادرةٌ على قمع منظَّمة التحرير الفلسطينيَّة وحرمانها من دعم الشعب الفلسطينيّ، المحروم أصلاً من أرضه. وربَّما حقَّقَت نجاحاً في هذا الصدد إذ لم يعد في طرابلس المحاصَرة سوى الوجود المادّيّ لعرفات بين أتباعه، وجميعهم في حالة مجدٍ قيد العزلة. بيد أنَّ الشعب الفلسطينيَّ لن يخسر هويَّته من دون أن يخلِق في مكانها إرهاباً مزدوجاً، على صعيدي الدولة والدين، يستفيدُ من غيابهما ويجعل من المستحيل إيجاد أيّ تسويةٍ سلميَّةٍ مع إسرائيل. ولن تنعكس تبعات الحرب في لبنان على إسرائيل نفسها بصورة انقسامٍ أخلاقيٍّ وفوضى اقتصاديَّةٍ فحسب، بل ستواجه أيضاً صورتها في المرآة من جرَّاء تعصُّبها. إنَّ الإمكانيَّة الوحيدة للتوصُّل إلى حلٍّ سياسيّ، إلى تسويةٍ سلميَّة، تتمثَّل بوجود منظَّمة التحرير الفلسطينيَّة مُستقلَّةً من دون أن تختفي في دولةٍ قائمةٍ بالفعل أو تضيع بين الحركات الإسلاميَّة المتنوِّعة. وأمَّا اختفاؤها، فلن يكون نصراً إلَّا لقوى الحرب العمياء، غير المكترثة ببقاء الشعب الفلسطينيّ.

هوامش:

(1) مجزرة صبرا وشاتيلا: هي المجزرة التي تعرَّض لها فلسطينيُّون في مخيَّمَين للاجئين في سنة 1982، وكانت من تنفيذ حزب الكتائب اللبنانيّ بمساعدة الجيش الإسرائيليّ.

(2) أورادور: قرية فرنسيَّة دمَّرتها قوَّات الاحتلال النازيَّة انتقاماً من نشاطات المقاومة الفرنسيَّة في أعقاب إنزال نورماندي.

(3) إرغون: مُنظَّمة صهيونيَّة يمينيَّة عُرفَت باستخدام تكتيكاتٍ إرهابيَّةٍ ضدَّ القوَّات البريطانيَّة وغيرها في فلسطين خلال مرحلة ما بعد الحرب العالميَّة الثانية .

حرب غزة والمركزية الأوروبية(*)

حميد دباشي(**)

تخيلوا لو أن إيران أو سوريا أو لبنان أو تركيا – مدعمين ومسلحين بالكامل ومحميين دبلوماسياً من قبل روسيا والصين –ولديهم الإرادة والوسائل اللازمة لقصف تل آبيب لمدة ثلاثة أشهر، ليلاً ونهاراً، ولقتل عشرات الآلاف من الإسرائيليين، وتشويه عدد لا يحصى من الأشخاص. وتشريد الملايين، وتحويل المدينة إلى كومة من الأنقاض غير الصالحة للسكن، مثل غزة اليوم. تخيلوا ذلك لبضع ثوان فقط: إيران وحلفاؤها يتعمدون استهداف المناطق المأهولة بالسكان في تل أبيب، والمستشفيات، والمعابد اليهودية، والمدارس، والجامعات، والمكتبات – أو في الواقع أي مكان مأهول بالسكان – لضمان الحد الأقصى من الخسائر في صفوف المدنيين. وأنهم يقولون للعالم إنهم يسعون فقط للنيل من رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو وحكومته الحربية. اسألوا أنفسكم عما ستفعله الولايات المتحدة والمملكة المتحدة والاتحاد الأوروبي وكندا وأستراليا وألمانيا على وجه الخصوص، في غضون 24 ساعة، بعد هذا السيناريو الخيالي من الهجمات.

عودوا الآن إلى الواقع، وفكروا في حقيقة أنه منذ 7 أكتوبر (ولعقود قبل ذلك التاريخ)، لم يشاهد حلفاء تل أبيب الغربيون ما فعلته إسرائيل بالشعب الفلسطيني فحسب، بل زودوها أيضًا بالمعدات العسكرية والقنابل والذخائر، وبالتغطية الدبلوماسية، في حين قدمت وسائل الإعلام الأمريكية مبررات أيديولوجية لذبح الفلسطينيين وإبادتهم الجماعية.

السيناريو الخيالي المذكور أعلاه لن يتحمله النظام العالمي القائم ولو ليوم واحد.

(*)حميد دباشي ، حرب غزة كشفت الإفلاس الأخلاقي للفلسفة الأوروبية، 21 فبراير 2024 https://www.awaser.net/2024/02/21/%d8%ad%d8%b1%d8%a8-%d8%ba%d8%b2%d8%a9-%d9%83%d8%b4%d9%81%d8%aa-%d8%a7%d9%84%d8%a5%d9%81%d9%84%d8%a7%d8%b3-%d8%a7%d9%84%d8%a3%d8%ae%d9%84%d8%a7%d9%82%d9%8a-%d9%84%d9%84%d9%81%d9%84%d8%b3%d9%81%d8%a9/

(**) حميد دباشي هو أستاذ هاكوب كيفوركيان للدراسات الإيرانية والأدب المقارن في جامعة كولومبيا في مدينة نيويورك، حيث يقوم بتدريس الأدب المقارن والسينما العالمية ونظرية ما بعد الاستعمار. تشمل أحدث مؤلفاته "مستقبل الوهمين: الإسلام بعد الغرب" (2022)؛ آخر مثقف مسلم: حياة وإرث جلال الأحمد (2021)؛ عكس النظرة الاستعمارية: المسافرون الفرس إلى الخارج (2020)، والإمبراطور عارٍ: في الزوال الحتمي للدولة القومية (2020). وقد ترجمت كتبه ومقالاته إلى العديد من اللغات.

ومع البلطجة العسكرية التي تمارسها الولايات المتحدة وأوروبا وأستراليا وكندا التي تقف خلف إسرائيل بالكامل، فإننا نحن شعوب العالم العاجزة، مثل الفلسطينيين، لسنا في الحسبان. وهذا ليس مجرد واقع سياسي؛ هذا أيضًا وثيق الصلة بالعالم الخيالي الأخلاقي والفلسفي للشيء الذي يطلق على نفسه اسم "الغرب."

إن أولئك الذين من بيننا ممن هم خارج المجال الأوروبي للخيال الأخلاقي لا وجود لهم في عالمهم الفلسفي. العرب والإيرانيون والمسلمون؛ أو الناس في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية – إننا لا نتمتع بأي حقيقة وجودية بالنسبة للفلاسفة الأوروبيين، باستثناء التهديد الميتافيزيقي الذي يجب التغلب عليه وإسكاته.

بدءاً من إيمانويل كانط وجورج فيلهلم فريدريش هيغل، واستمراراً مع إيمانويل ليفيناس وسلافوي جيجيك، نحن شذوذات وأغراض وأشياء معروفة كلف المستشرقون بفك رموزها. علينا أن نتذكر أن هناك اختلافات متعددة بين هؤلاء، وعلى هذا فإن مقتل عشرات الآلاف منا على يد إسرائيل، أو الولايات المتحدة وحلفائها الأوروبيين، لا يثير أدنى وقفة لدى أذهان الفلاسفة الأوروبيين. **إذا كنتم تشكون في ذلك، فما عليكم سوى إلقاء نظرة على الفيلسوف الأوروبي الرائد يورغان هابرماس وعدد قليل من زملائه، الذين خرجوا في عمل فظ ومذهل من الابتذال القاسي، لدعم المذبحة التي ترتكبها إسرائيل ضد الفلسطينيين. لم يعد السؤال هو ما الذي يمكن أن نفكر فيه إزاء هابرماس، البالغ من العمر الآن 94 عامًا، كإنسان. والسؤال هو كيف يمكن أن نفكر فيه كعالم اجتماعي وفيلسوف ومفكر نقدي. هل ما يعتقده يهم العالم بعد الآن، إذا كان قد اهتم به من قبل؟**

وقد كان العالم يطرح أسئلة مماثلة حول فيلسوف ألماني كبير آخر، ألا وهو مارتن هايدجر، وذلك في ضوء انتماءاته الخبيثة إلى النازية. في رأيي، يجب علينا الآن أن نطرح مثل هذه الأسئلة حول صهيونية هابرماس العاتية والعواقب المهمة إزاء ما يمكن أن نفكر به في مشروعه الفلسفي برمته؟ إذا لم يكن لدى هابرماس ذرة من المساحة في مخيلته الأخلاقية لأشخاص مثل الفلسطينيين، فهل لدينا أي سبب لاعتبار مشروعه الفلسفي بأكمله مرتبطًا بأي شكل من الأشكال بباقي البشرية – على نحو يتجاوز جمهوره القبائلي الأوروبي المباشر؟

في رسالة مفتوحة إلى هابرماس، قال عالم الاجتماع الإيراني البارز آصف بيات إنه "يناقض أفكاره" عندما يتعلق الأمر بالوضع في غزة. مع كامل احترامي، أستسمحكم

في أن أختلف. **أعتقد أن تجاهل هابرماس لحياة الفلسطينيين يتوافق تمامًا مع صهيونيته. وهو ينسجم تماماً مع النظرة العالمية التي ترى أن غير الأوروبيين ليسوا بشراً بالكامل، أو أنهم "حيوانات بشرية"، كما أعلن جهرًا وزير الدفاع الإسرائيلي يوآف غالانت.** إن هذا التجاهل المطلق للفلسطينيين متجذر بعمق في الخيال الفلسفي الألماني والأوروبي. والحكمة السائدة هي أن الألمان، بسبب ذنب المحرقة، قد نمى لديهم التزام قوي تجاه إسرائيل.

ولكن بالنسبة لبقية العالم، كما يتضح الآن من الوثيقة الرائعة التي قدمتها جنوب أفريقيا إلى محكمة العدل الدولية، فثمة اتساق تام بين ما فعلته ألمانيا خلال حقبتها النازية وما تفعله الآن خلال حقبتها الصهيونية.

أعتقد أن موقف هابرماس يتماشى مع سياسة الدولة الألمانية المتمثلة في المشاركة في المذبحة الصهيونية للفلسطينيين. وهو يتماشى أيضًا مع ما يُنظر إليه على أنه "اليسار الألماني"، مع كراهيته العنصرية وكراهيته للإسلام والأجانب وللعرب والمسلمين، ودعمه الشامل لأعمال الإبادة الجماعية التي ترتكبها المستعمرة الاستيطانية الإسرائيلية.

ويجب أن يغفر لنا إذا تصورنا أن ما تعانيه ألمانيا اليوم لم يكن ذنب المحرقة، بل الحنين إلى الإبادة الجماعية، في تساهلها بشكل غير مباشر مع المذابح التي ارتكبتها إسرائيل ضد الفلسطينيين على مدى القرن الماضي (وليس فقط في المائة يوم الماضية). إن تهمة المركزية الأوروبية التي يتم توجيهها باستمرار ضد تصور الفلاسفة الأوروبيين للعالم لا تستند فقط إلى خلل معرفي في تفكيرهم. إنها علامة ثابتة على الانحطاط الأخلاقي. وفي مناسبات عديدة سابقة، أشرت إلى العنصرية غير القابلة للشفاء والتي تكمن في قلب التفكير الفلسفي الأوروبي وممثليه الأكثر شهرة اليوم. وهذا الانحطاط الأخلاقي ليس مجرد زلة سياسية أو نقطة أيديولوجية معتمة. فهو مسطور بعمق في مخيلتهم الفلسفية، التي ظلت قبائلية على نحو غير قابل للعلاج.

وهنا يجب أن نلخص العبارة الشهيرة للشاعر المارتينيكي المجيد إيمي سيزير: "نعم، سيكون من المفيد أن ندرس بالتفصيل، سريريًا، الخطوات التي اتخذها هتلر والهتلرية، وأن نكشف للبرجوازية المسيحية المتميزة جدًا والإنسانية للغاية، القرن العشرين الذي يسكن بداخله هتلر دون وعي، فهتلر هو شيطانه، وهو إذا انتقده، فهو غير متسق مع نفسه. في الأساس، ما لا يمكن للقرن العشرين أن يغفره لهتلر ليس جريمته ضد الإنسان في حد ذاته، وليس إذلاله للإنسان في حد ذاته، بل هو الجريمة في حق الرجل

الأبيض، وإذلال الرجل الأبيض، وحقيقة أنه طبق على أوروبا الإجراءات الاستعمارية التي – حتى ذلك الحين كانت مخصصة حصريًا لـ (الشعوب العربية والهندية والإفريقية).

فلسطين هي اليوم امتداد للفظائع الاستعمارية التي يستشهد بها سيزار في هذا المقطع. يبدو أن هابرماس يجهل أن تأييده لذبح الفلسطينيين يتوافق تمامًا مع ما فعله أسلافه في ناميبيا خلال إبادة الهيريرو والناماكوا الجماعية. وقد دفن الفلاسفة الألمان رؤوسهم داخل أوهامهم الأوروبية، مثلهم كمثل النعامة، معتقدين أن العالم لا يراهم على حقيقتهم. في النهاية، من وجهة نظري، لم يقل هابرماس أو يفعل أي شيء مفاجئ أو متناقض؛ بل على العكس تماما. لقد كان متسقًا تمامًا مع القبائلية غير القابلة للشفاء في شجرة عائلته الفلسفية، والتي تمتعت بشكل خاطئ بمكانة عالمية.

لقد تحرر العالم الآن من هذا الشعور الزائف بالعالمية. إن الفلاسفة مثل في واي موديمبي في جمهورية الكونغو الديمقراطية، أو والتر ميجنولو أو إنريكي دوسيل في الأرجنتين، أو كوجين كاراتاني في اليابان لديهم مطالبات أكثر شرعية بكثير بالعالمية من أي وقت مضى في مقابل هابرماس وأمثاله. في رأيي، يمثل الإفلاس الأخلاقي لتصريح هابرماس بشأن فلسطين، نقطة تحول في العلاقة الاستعمارية بين الفلسفة الأوروبية وبقية العالم. لقد استيقظ العالم من سبات الفلسفة العرقية الأوروبية الزائف. واليوم، نحن مدينون بهذا التحرر للمعاناة العالمية لشعوب مثل الفلسطينيين، الذين أدت بطولاتهم وتضحياتهم التاريخية الطويلة إلى تفكيك الهمجية السافرة التي كانت تقوم عليها "الحضارة الغربية."

[[1]]https://www.middleeasteye.net/opinion/war-gaza-european-philosophy-ethically-bankrupt-exposed

الحرب على غزة كيف تُعلم فلسفة هيجل العنصرية الصهيونية الأوروبية(*)

حميد دباشي

آخر رسالة للناقد جوزيف فهيم من مهرجان برلين السينمائي (برلينالله) تحمل عنوان: "**حادث سيارة في برلينالله ينتهي بمطاردة ساحرات ألمانية ضد صانعي الأفلام المؤيدين لفلسطين** "، **في إشارة إلى مخرجين تجرأوا على قول الحقيقة الواضحة حول عنصرية إسرائيل ، أسس الفصل العنصري. يكتب فهيم: "لقد سعت العاصفة المناهضة للفلسطينيين التي قادها السياسيون الألمان والصحافة المحلية إلى محاكمة أي صوت يجرؤ على انتقاد إسرائيل". "ما شاهدته لم يكن مجرد قبيح أو غير إنساني أو غير مهني، بل كان فاشيًا تمامًا."وقالت مسؤولة ألمانية، وزيرة الثقافة كلوديا روث، في وقت لاحق إنها عندما شوهدت وهي تصفق للمخرجين، فعلت ذلك فقط للمخرج الإسرائيلي وليس لزميله الفلسطيني.**

وهذا يتوافق مع الموقف الألماني من الإبادة الجماعية الحالية التي ترتكبها إسرائيل في فلسطين. عندما اتهمت جنوب أفريقيا إسرائيل رسمياً بارتكاب جرائم إبادة جماعية في محكمة العدل الدولية في يناير/كانون الثاني، سارعت ألمانيا إلى الدفاع عن إسرائيل وحمايتها من الإدانة العالمية.

وسرعان ما ذكّر رئيس ناميبيا ألمانيا بتاريخ الإبادة الجماعية في أفريقيا، مشيرًا إلى أنها "لم تكفر بعد بشكل كامل عن الإبادة الجماعية التي ارتكبتها على الأراضي الناميبية"، في إشارة إلى المذبحة التي راح ضحيتها أكثر من 70 ألفًا من شعب الهيريرو والناما بين عامي 1904 و1908. إن ما نقوم به في فلسطين يأخذ صفحة من الكتاب المدرسي الذي كتبته ألمانيا منذ زمن طويل.

واجه الإرث العنصري الذي خلفته ألمانيا عقبة أخرى هذا الشهر عندما رفعتها نيكاراغوا إلى محكمة العدل الدولية بتهمة انتهاك اتفاقية الإبادة الجماعية من خلال تمويل الحرب الإسرائيلية على غزة. وقالت نيكاراغوا في ملفها: "من خلال إرسال المعدات

(*)https://www.middleeasteye.net/opinion/war-gaza-hegel-racist-philosophy-informs-european-zionism-how

العسكرية ووقف تمويل وكالة الأمم المتحدة للاجئين الفلسطينيين التي تقدم الدعم الأساسي للسكان المدنيين، فإن ألمانيا تسهل ارتكاب الإبادة الجماعية". ما هو القاسم المشترك بين جنوب أفريقيا وناميبيا ونيكاراغوا؟ ليس فقط تضامنهم مع القضية الفلسطينية النبيلة، ولكن أيضًا تاريخهم الطويل من الغزو والسلب على أيدي الوحشية الاستعمارية الأوروبية.

تاريخ الاستعمار

إن العالم بأسره يضيق الخناق على الهمجية الأوروبية العنصرية التي طالما روّجت لنفسها على أنها "حضارة غربية". لفهم الحماس والنشاط الحاليين اللذين يؤيد بهما المسؤولون ووسائل الإعلام الألمانية الصهيونية، من الضروري أن نتذكر التاريخ الألماني الطويل للاستعمار والإمبريالية في أفريقيا.

ومن الجدير بالملاحظة أيضًا الدور الخاص الذي لعبه كبار الفلاسفة الألمان، مثل جورج فيلهلم فريدريش هيغل (1770–1831)، في العنصرية الجريئة والمبتذلة التي تشكل تجاهل ألمانيا الحالي للآداب الإنسانية، والتي تجلت بشكل أفضل في الصهيونية المتحمسة للفيلسوف الكبير يورغن هابرماس. .

نحن في احتياج إلى إعادة النظر بشكل جدي في تاريخ الرايخ الألماني الثالث، كما وصفه المنظرون النازيون. إن الفظائع التي ارتكبتها ألمانيا النازية والمذبحة التي راح ضحيتها الملايين من البشر أثناء الحرب العالمية الثانية لم تكن انحرافاً في التاريخ الألماني، إذا تذكرنا سجل الإبادة الجماعية الذي ارتكبته ألمانيا في أفريقيا. وفي هذا السياق، يجب علينا أن ننظر في الكم الهائل من الأبحاث التي تراكمت على مدى العقود القليلة الماضية حول الاستعمار والإمبريالية الألمانية، والمجموعة المقنعة بنفس القدر من العمل الأكاديمي حول العنصرية البنيوية المكتوبة في نسيج الفيلسوف الألماني الشاهق هيجل.

كانت العنصرية حاسمة بالنسبة للجهاز الفلسفي بأكمله لهيجل والعديد من الفلاسفة الألمان والأوروبيين الآخرين

في مقال نشر عام 2017 بعنوان "الاستعمار الألماني والإمبريالية من بسمارك إلى هتلر" ، يلخص المؤرخ فولكر بيرغان الكم الهائل من المنح الدراسية على مدى العقود العديدة الماضية والتي "جمعت المؤرخين مع علماء السياسة والاجتماعيين وكذلك علماء الأدب والسينما والتاريخ". الجنس والذاكرة والعواطف" لفضح أهوال الاستعمار الألماني في آسيا والمحيط الهادئ وأفريقيا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين. يصف المقال

التحولات النموذجية الرئيسية في دراسة الاستعمار والإمبريالية الألمانية، و"الاستمرارية في التاريخ الألماني الحديث من بسمارك إلى هتلر"، كما قال مؤرخ آخر، جون سي جي روهل. ويشير مقال بيرغهان أيضًا إلى ما يلي: "بعد أن تخلى هتلر عن معارضته السابقة للمستعمرات الخارجية، أمر الآن بتشكيل وزارة بميزانية قدرها 6.3 مليون مارك لعام 1940، تُدفع منها دورات اللغة السواحيلية للمسؤولين المستقبليين في أفريقيا". ويتعين على العالم خارج ألمانيا أن يولي اهتماماً أكبر لهذه الهيئة العلمية، حتى يتسنى في المرة القادمة التي يدعم فيها صهيوني ألماني الإبادة الجماعية للفلسطينيين، أن يعرف أصول هذا التعصب القاتل.

الأيديولوجي الرئيسي

في فلسفة التاريخ ، يعتبر هيجل أربع مراحل في تاريخ العالم: الشرقية واليونانية والرومانية والألمانية. وفي هذا المخطط، يرى أن أفريقيا تفتقر إلى الأخلاق والسياسة والدين. في مقالة عام 1993 بعنوان "هيجل وأفريقيا" ، يكشف المؤلف رونالد كويكيندال وجهة نظر هيجل العنيفة ذات المركزية الأوروبية للعالم، ويعكسها بوضع أفريقيا في مركز نقده لهيجل.

بالنسبة لهيجل، أفريقيا هي "أرض الطفولة، التي تقع وراء نهار التاريخ الواعي بذاته، مغلفة بعباءة الليل المظلمة". ويؤكد لقرائه الأوروبيين: «النقطة المميزة في حياة الزنوج هي حقيقة أن الوعي لم يصل بعد إلى تحقيق أي وجود موضوعي جوهري». وبالتالي فإن الشخص الأفريقي هو "رجل طبيعي في حالته البرية الجامحة تمامًا". قد نرى بوضوح أن هيغل هو المنظر الأيديولوجي الرئيسي للغزو الاستعماري الألماني والوحشية الإمبريالية عبر القارة بأكملها.

في مقال رئيسي آخر بعنوان "ملاحظات نقدية حول معاملة هيغل لأفريقيا" ، يشرح المؤلف أوموتاد أديغبيندين العيوب القاطعة في معاملة هيغل لأفريقيا، ويضع قارة بأكملها لم يعرف عنها سوى القليل خارج إطار التاريخ: "إن الجدلية الهيغلية هي وهو مشروع يهدف إلى استبعاد أفريقيا من التاريخ العالمي، مما يؤدي إلى بعض الأطروحات الإشكالية مثل أطروحة هيجل حول العبودية، المرتبطة بمشكلة التكوين الطبقي ومفهومه عن الدولة.

في مقال أحدث بعنوان "استكشاف ميتافيزيقيا عنصرية هيجل" (2022)، يجادل دانييل جيمس وفرانز كنابيك بأن موقف هيغل من العرق "يُصنف بشكل مناسب على أنه

عنصري، وأنه يفترض وجود عجز عقلي فطري لدى بعض الأجناس، وأنه يتحول إلى موقف عنصري". "العنصرية من مذهب أنثروبولوجي إلى مذهب ميتافيزيقي من خلال الادعاء بأن تقسيم البشرية إلى أعراق ... ليس حقيقة مجردة، ولكنه يتبع "ضرورة عليا"".

وفي كتابها الرائد هيغل وهايتي والتاريخ العالمي ، الذي نشر في عام 2009، توضح المنظرة النقدية سوزان باك مورس كيف كانت نضالات الشعوب في القارات المستعبدة والوحشية بمثابة مادة لفلسفة هيجل. وتتكهن بأن فكرة هيجل عن "السيد والعبد" ربما كانت في الواقع متجذرة في قراءته للثورة الهايتية.

ومن خلال ثورة وثورة العبيد في هايتي، اتضح لهيجل أخيرًا أن العبودية ليست حالة من حالات الطبيعة، لكنه فشل في رؤيتها. ويجب أن يتحول تركيز تفكيرنا إلى الأبد بعيداً عن الأوهام التأملية للفيلسوف الأوروبي ونحو الحقائق الفعلية – من الطريقة التي رأى بها هيجل هايتي، إلى الطريقة التي يرى بها هابرماس غزة.

لا يتعلق الأمر بسلسلة من العنصرية العرضية أو التافهة أو "المؤسفة" في أعمال فيلسوف أوروبي لامع. ومع الكوارث التي تواصل إسرائيل إلحاقها بغزة على مرأى ومسمع من العالم، فقد تجاوزنا هذه التعرجات الليبرالية. كانت العنصرية حاسمة بالنسبة للجهاز الفلسفي بأكمله لهيغل والعديد من الفلاسفة الألمان والأوروبيين الآخرين. يجب إسقاط النظام برمته، مثل تلك التماثيل العنصرية التي أسقطناها في أوروبا ومستعمراتها الاستيطانية حول العالم.

لماذا ستفشل الجهود الصهيونية لقمع النشاط الفلسطيني في الجامعات الأمريكية؟(*)

إن حملة الترهيب والخداع التي تشنها الجماعات المؤيدة لإسرائيل ستفشل في الجامعات والمؤسسات حيث يبحث الناس عن الحقيقة ويتحدثون عنها وينشرونها أشخاص يتجمعون للاحتجاج على حظر منظمة "طلاب من أجل العدالة في فلسطين" و"الصوت اليهودي من أجل السلام" في جامعة كولومبيا في 20 نوفمبر 2023 في مدينة نيويورك (Michael M Santiago/Getty via AFP)

احتجاج في مدينة نيويورك ضد الحظر الذي فرضته جامعة كولومبيا على طلاب من أجل العدالة في فلسطين والصوت اليهودي من أجل السلام، 20 نوفمبر 2023 (Michael M Santiago/Getty via AFP)

كانت مسألة طبيعة ووظيفة الجامعة موضوعًا للتأملات الأكثر تفصيلاً واستقصاءً. في دراسته الكلاسيكية فكرة الجامعة ، اقترح اللاهوتي الإنجليزي جون هنري كاردينال نيومان أن الهدف النهائي للجامعة هو تقديم فرضية "كل المعرفة الموحدة" التي من شأنها تمكين وإثراء الطلاب لاكتساب أي شيء محدد آخر. شكل من أشكال المعرفة التي قد تتطلبها مهنتهم. وبعد قرن من الزمان، نشر ياروسلاف بيليكان تكملة لهذا العمل المبدع، بعنوان "فكرة الجامعة: إعادة فحص" . وفي الآونة الأخيرة، في كتابه "الجامعة الأمريكية الكبرى: صعودها إلى الصدارة، ودورها الوطني الذي لا غنى عنه، ولماذا يجب حمايتها" ، قام جوناثان كول، العميد صاحب في جامعة كولومبيا من عام 1989 إلى عام 2003، بتفصيل الأهمية العالمية للجامعات الأمريكية وقصر النظر. التهديدات الأيديولوجية التي يواجهونها محليًا من الضغوط السياسية الضيقة.

القاسم المشترك بين جميع هذه الدراسات التاريخية هو اعترافها بالطابع الفريد للجامعة والحاجة إلى حمايتها من القوى الخارجية التي تسعى إلى الإضرار بطابعها الفكري ورسالتها الأخلاقية وروح التحقيق الحر في القضايا الأكثر حيوية في الماضي البعيد و الحاضر الفوري.

في الوقت الحاضر، توجد في الولايات المتحدة قوى خارجية شريرة . سياسية ومالية

(*) https://www.middleeasteye.net/opinion/us-zionist-effort-suppress-palestine-activism-campus-fail-why-american-universities

على حد سواء . تسعى إلى المساومة وتشويه شخصية الجامعة. الدراسة الأساسية التي أجراها عالم الاجتماع الأمريكي سيجموند دايموند، بعنوان الحرم الجامعي المخترق: تعاون الجامعات مع مجتمع الاستخبارات، 1945–1955 ، تشرح بالتفصيل الأساليب التي تم بها انتهاك موقع الجامعة تاريخيًا من قبل مثل هذه القوى الخارجية والانتهاكات الحزبية.

جاءت الضغوط الأيديولوجية الأخيرة بشكل رئيسي من العنصريين المتطرفين البيض ، والآن، قبل كل شيء، من القوى الصهيونية المسلحة التي تسعى إلى خنق وإسكات القوى الإبداعية والانتقادية العاملة في الجامعة. ومثل كل الدوغمائيين، تسعى هذه المجموعات إلى السيطرة على الكيفية التي يفكر بها الناس في العالم ـ سواء الأحداث التاريخية أو المعاصرة.

الحرم الجامعي عبارة عن مؤسسات يبحث فيها الناس في كثير من الأحيان عن الحقائق ويتحدثون عنها وينشرونها – بدءًا من المناقشات حول نظرية العرق النقدية وحتى انتقاد الاستعمار الاستيطاني. الحقيقة تزعج هؤلاء المتطرفين اليمينيين الذين يسعون إلى إسكات وترهيب والتنمر وتشويه سمعة الأشخاص الذين يجرؤون على التحدث.

الاعتداءات الصهيونية على الكلام

منذ فرار الفلسطينيين من غزة في 7 تشرين الأول/أكتوبر وحملة الإبادة الجماعية اللاحقة ضد الشعب الفلسطيني في وطنهم، تعرضت الجامعات الأمريكية للهجوم من قبل المانحين المؤيدين لإسرائيل وأتباعهم السياسيين، الذين يعتقدون أن أموالهم أعطتهم القدرة على تغيير الوضع. طبيعة هذه المؤسسات وتشكيلها بطريقة تخنق أي انتقاد لسياسات إسرائيل . إنهم يعرفون أن الحفاظ على هذا الوهم هو قضية خاسرة، لكنهم مصممون، ويبدو أنهم أقوياء، ويمتلكون جيوبًا عميقة للغاية.

ويشير إلى استياء رؤساء ثلاث جامعات أمريكية كبرى – هارفارد، وجامعة بنسلفانيا، ومعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا – من أعضاء مجلس النواب الجمهوريين المؤيدين بشدة لإسرائيل، الذين اتهموا جامعاتهم بـ "معاداة السامية"، وهو اتهام شنيع استخدموه منذ فترة طويلة كسلاح لتخويفهم. وإسكات أولئك الذين يجرؤون على انتقاد مستعمرتهم الاستيطانية المفضلة.

تابع التغطية المباشرة لموقع ميدل إيست آي لمعرفة آخر المستجدات حول الحرب الإسرائيلية الفلسطينية. كان هذا في نفس الوقت تقريبًا الذي أقر فيه مجلس النواب الذي يسيطر عليه الجمهوريون إجراءً يساوي بين انتقاد الأيديولوجية العنصرية اليهودية

المتعصبة للصهيونية و" معاداة السامية ".

بعد شهاداتهم، واجه رؤساء الجامعات الثلاثة رد فعل عنيفًا وهجومًا إعلاميًا، وتم طردهم خارج المدينة. استقال أحدهما ، واعتذر الآخر بشدة عن عدم إدانة خطاب الكراهية الوهمي، والثالث لم يسمع عنه.

وتم تنبيه رؤساء الجامعات الآخرين: تعهدوا بالولاء للعلم الإسرائيلي، وإعلان الولاء للمستعمرة الاستيطانية الإسرائيلية، والسماح بشيطنة الفلسطينيين بالعنف باعتبارهم "إرهابيين"، وإسكات أعضاء هيئة التدريس والطلاب الذين يجرؤون على قول الحقيقة، أو غير ذلك.

إن التهمة الكاذبة المتمثلة في صعود معاداة السامية في الجامعات الأمريكية تعد عنصرا أساسيا في الجهود التي يبذلها السياسيون اليمينيون الرجعيون ومانحوهم من الملياردیرات لإسكات الانتقادات الموجهة لإسرائيل.

إنك تشاهد هذا المشهد وتتساءل: بينما تقوم إسرائيل بذبح الفلسطينيين في غزة والضفة الغربية بنشاط وبلا هوادة، فإن أنصارها في الكونجرس، الذين وافقوا للتو على تخصيص المزيد من مليارات الدولارات لتمويل استمرار إسرائيل في تشويه وتشويه الفلسطينيين، يضعون ثلاث نقاط رئيسية: رؤساء الجامعات في موقف دفاعي بناءً على افتراض افتراضي مفاده أن شخصًا ما ربما دعا إلى "الإبادة الجماعية لليهود".

لكن لم يفعل أحد ذلك على الإطلاق.

كان المشهد برمته خدعة، وخدعة، وتكتيكًا لتشتيت الانتباه عن الإبادة الجماعية الحقيقية والواقعية والمتلفزة والموثقة بالكامل للفلسطينيين. لقد كانت قراءة مسيئة للكلمة العربية "الانتفاضة" وللهتاف الفلسطيني " من النهر إلى البحر "، بدعوى وجود تهديد متخيل لليهود يشكله الإسرائيليون في الواقع على الفلسطينيين. المشهد غير واقعي إلى حد أنه حتى اللغة الأورويلية الجديدة لم تستطع أن تسخر منه أو تفضحه.

إن تهمة صعود معاداة السامية في الجامعات الأمريكية أمر أساسي في الجهود التي يبذلها السياسيون اليمينيون الرجعيون ومتبرعوهم من الملياردیرات لإسكات واستئصال الانتقادات الموجهة إلى المستعمرة الاستيطانية الإسرائيلية، وعكس مسار أجيال من التفكير النقدي والعلم.

تحرير "الحرم الجامعي المهدد"

والحقيقة هي أن الجامعات الأمريكية تتغير، وليس هناك الكثير مما يمكن للعنصريين وسياسييهم المشتراة القيام به لتغيير هذه الحقيقة.

ورغم أنهم تمكنوا من طرد قيادة جامعة بنسلفانيا، فإنهم واهمون إذا تصوروا أن هذا من شأنه أن يغير الخطابات الانتقادية في الجامعات الأمريكية التي صيغت بصبر وعناء على مدى نصف القرن الماضي على الأقل.

في الوقت الحالي، يحظر السياسيون الرجعيون، مثل حاكم ولاية فلوريدا، رون ديسانتيس، نظرية العرق النقدية في تلك الولاية. فلسطين موجودة هناك حيث توجد نظرية العرق النقدية. ومع ذلك، فإن الجهات المانحة المؤيدة لإسرائيل لا تضاهي إرث إدوارد سعيد والتغييرات الزلزالية التي افتتحها هو وجيله من المفكرين النقديين.

في الجامعات الأمريكية، حرية التعبير ليست مجانية للناشطين المؤيدين لفلسطين

في طليعة النضال من أجل قول الحقيقة للعنصريين والمتعصبين للبيض والقوة الصهيونية، هناك أعضاء هيئة التدريس والطلاب والإدارة اليهود على حد سواء، الناشطين في منظمات مثل الصوت اليهودي من أجل السلام .وفي الواقع، يقود عدد كبير من الطلاب وأعضاء هيئة التدريس اليهود القضية الفلسطينية في الجامعات – كما يفعلون في العديد من القضايا التقدمية الأخرى. وهم ليسوا في خطر أكبر أو أقل في الحرم الجامعي من الطلاب المسلمين والسود، الذين لا يدافع عنهم أي ملياردير مانح.

وبالتالي فإن القضية لا تكمن في شعور الطلاب اليهود بعدم الأمان، بل في فقدان المانحين الصهاينة للسيطرة التي ظنوا أنهم يمتلكونها على حرم الجامعات. لم يفعلوا ذلك قط. لقد ظنوا خطأً أن مكاتب رؤساء الجامعات المفروشة بألواح خشبية التي يترددون عليها، ظنوا أنها دفاتر شيكاتهم السميكة الخاصة بالجامعة. الجامعة ليست الإدارة العليا للشركات. الجامعة عبارة عن طلاب الدراسات العليا والموظفين وعمال الحراسة النقابيين الذين يناضلون من أجل لقمة العيش الهزيلة.

الجامعة عبارة عن قاعات دراسية متداعية، مهملة، بالكاد تعمل، حيث تتداعى الكراسي، وتتفتت المعدات السمعية والبصرية، وحيث يندر دوران الهواء بشكل مناسب – ومع ذلك، بين الحين والآخر، يجلس الطلاب وأعضاء هيئة التدريس ويبحثون عن الحقيقة. بين الحين والآخر، فإن حقيقة أن المستعمرة الاستيطانية الإسرائيلية هي قضية خاسرة أمر مفروغ منه.